شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة جامعة الرياض

مخطوطة

الداء والدواء

المؤلف

محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب الداء والدواء لابن القيم
الجوزية رحمه الله وصلى الله
على سيدنا محمد
وآله وصحبه
وسلم

مكتبة جامعة الملك سعود
الرياض
١٣٩٧

مكتبة جامعة الرياض — قسم المخطوطات
اسم الكتاب الداء والدواء الرقم ١٨٠٣
اسم المؤلف محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية
تاريخ النسخ ١٣٤٢
عدد الأوراق ١٢٣
الحالة جيدة

Copyright © King Saud University

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام شمس الدين ابن القيم الجوزية رحمه الله ما يقول السادة العلماء ائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين في رجل ابتلي ببلية وعلم انها ان استمرت به افسدت عليه دنياه واخرته وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق فما تزداد الا توقدا وشدة فما الحيلة في دفعها وما الطريق الى كشفها رحم الله من اعان مبتلى والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه افتونا ماجورين رحمكم الله ورضي عنكم وختم لكم بخير فاجاب رحمه الله تعالى الحمد لله ثبت في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما انزل الله داء الا وانزل له شفاء وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فاذا اصاب الداء الدواء برا باذن الله تعالى وفي مسند الامام احمد من حديث اسامة بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله وفي لفظ ان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء او دواء الا داء واحدا قالوا يا رسول الله ما هو قال الهرم قال الترمذي هذا حديث صحيح وهذا يعم دواء القلب والروح والبدن ودواءهما وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجهل داء وجعل دواءه سؤال العلماء وروى ابو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه ثم احتلم فسال اصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم قالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذا لم يعلموا فان شفاء العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده فاخبر ان الجهل داء وان شفاءه السؤال وقد اخبر سبحانه ان القرآن شفاء لكل ما في الصدور من الجهل والريب فقال لو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي وعربي قل هو للذين امنوا هدى وشفاء وقال وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وهي ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض فان القرآن كله شفاء كما قال في الاية الاخرى وهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب فلم

ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من القرآن وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابي سعيد قال انطلق نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفر سافروها حتى نزلوا على حي من احياء العرب فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم لو اتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله ان يكون عند بعضهم شيء فاتوهم فقالوا ايها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء فلم ينفعه فهل عند احد منكم من شيء فقال بعضهم نعم والله اني لارقي ولكن استضفناكم فلم تضيفونا فما انا بارق حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرا الحمد لله رب العالمين فكانما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة فاوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى ناتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر بما يامرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال وما يدريك انها رقية ثم قال قد اصبتم اقتسموا واضربوا لي معكم سهما فقد اثر هذا الدواء الذي اذا لم يكن وهو اسهل دواء وايسره ولو احسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تاثيرا عجيبا في الشفاء وحكيت بمكة مدة يعتريني داء ولا اجد طبيبا ولا دواء فكنت اعالج نفسي بالفاتحة فارى لها تاثيرا عجيبا فكنت اصف ذلك لمن يشتكي الما وكان كثير منهم يبرى سريعا ولكن ههنا امر ينبغي التفطن له وهو ان الاذكار والايات والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتاثيره فمتى تخلف الشفا كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل او لمانع قوي فيه يمنع ان يبخع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية فان عدم تاثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدواء بقبول تام كاملا انتفع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة اثر في ازالة الداء وكذلك الدعاء فانه من اقوى الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف

عنه اثره اما لضعفه في نفسه بان يكون دعاء لا يحبه الله تعالى لما فيه من العدوان
واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء فيكون بمنزلة
القوس الرخو فان السهم يخرج منه خرقا ضعيفا واما لحصول المانع من الاجابة
من اكل الحرام والظلم وربن الذنوب على القلوب والسيلاء الغفلة والسهو والذنوب
كما في صحيح الحاكم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
واعلموا ان الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه فهذا دواء نافع من يزيل الداء ويكشف
غفلة القلب عن الله تبطل قوته وكذلك اكل الحرام يبطل قوته او يضعفها كما في صحيح مسلم
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله
طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب
ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك وذكر
عبد الله بن احمد في كتاب الزهد له بسنده قال اصاب بني اسرائيل بلاء فخرجوا فخرجا فاوحى
الله الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجوا الي بابدان نجسة وثياب دنسة وقد عصوني اني كافة
سفككم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام الا وحق اشد غضبي عليكم
ولن تزدادوا مني الا بعدا وروي ابو در رضي الله عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام
من الملح فصل والدعاء من انفع الادوية وهو عدو البلاء يدافعه و
يعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المؤمن كما روى الحاكم في صحيح
من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح
المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض ولدفع البلاء ثلاث مقامات احدها ان
يكون اقوى من البلاء فيدفعه الثاني ان يكون اضعف من البلاء فيقوى عليه
البلاء فيصاب العبد ولكن قد يخففه وان كان ضعيفا الثالث ان يتقاوما ويمنع
كل واحد منهما صاحبه وقد روى الحاكم في صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان
البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيمة وفي ايضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

عن النبي

والله ٣
رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم

مطل
الملائكة في الدعاء

لعله
بطونكم

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء
وفيه ايضا من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء
ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه فصل
ومن انفع الادوية الالحاح في الدعاء وفي سنن ابن ماجه من حديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسئل الله يغضب عليه الله يغضب ان تركت سؤاله
وبني ادم حين يسئل يغضب وفي صحيح الحاكم من حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم لا تعجز وا في الدعاء فانه لا يهلك مع الدعاء احد وذكر الاوزاعي عن الزهري
عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الملحين في الدعاء
وفي كتاب الزهد للامام احمد عن قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موقرا ما
وجدت للموى مثلا الا رجلا في البحر على خشبة فهو يدعو يا رب يا رب لعل الله عز وجل
ان ينجيه فصل ومن الافات التي تمنع ترتب اثر الدعاء عليه ان يستعجل العبد
ويستبطئ الاجابة فيحسر ويدع الدعاء وهو بمنزلة من بذر بذرا او غرس غرسا
فجعل يتعاهده ويسقيه فلما استبطئ كماله وادراكه تركه واهمله وفي صحيح البخاري
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم
ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي وفي صحيح مسلم عنه لا يزال يستجاب للعبد ما لم
يدع بإثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قالوا يا رسول الله وما الاستعجال قال يقول
قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيتحسر عند ذلك ويدع الدعاء وفي مسند
احمد من حديث انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد بخير ما لم
يستعجل قالوا يا رسول الله كيف يستعجل قال يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي

فيتحسر

٤
واذا اجتمع مع الدعاء

فصل واذا جمع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب و
صادف وقتا من اوقات الاجابة الستة وهي الثلث الاخير من الليل وعند
الاذان وبين الاذان والاقامة وادبار الصلوات المكتوبات وعند صعود
الامام يوم الجمعة على المنبر حتى يقضي الصلاة واخر ساعة بعد العصر من ذلك
اليوم وصادف خشوع القلب وانكساره بين يدي الرب وذلاله وتقرعا
ورقته ويستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه الى الله وبدا
بحمد الله والثناء عليه ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قدم

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ثم دخل على الله واح عليه في المسئلة و
تملق ودعاه رغبة ورهبة وتوسل اليه باسمائه وصفاته وتوحيده وقدم بين
دعائه صدقة فان الدعا لا يكاد يرد ابدا ولا سيما ان صادف الادعية التي اجزل النبي
صلى الله عليه وسلم انها مظنة الاجابة وانها متضمنة للاسم الاعظم فمنها ما في السنن
وصحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن بريدة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني اسالك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال لقد سال الله بالاسم
الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب وفي لفظ لقد سالت الله باسمه الاعظم وفي
السنن وصحيح ابن حبان ايضا من حديث انس بن مالك رضي الله عنه انه كان مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلي ثم دعا فقال اللهم اني اسالك بان لك الحمد لا اله الا
انت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام ياحي ياقيوم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لقد سال الله باسمه العظيم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به
اعطى واخرج الحديثين الامام احمد في مسنده وفي جامع الترمذي من حديث
اسما بنت يزيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي مسند احمد وصحيح الحاكم من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه وانس بن مالك وربيعة بن عامر رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الظوا
بيا ذا الجلال والاكرام يعني تعلقوا بهاولازموها وداوموا عليها وفي جامع الترمذي من
حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اهمه الامر رفع راسه الى
السماء واذا اجتهد في الدعا قال ياحي ياقيوم وفيه ايضا من حديث انس بن
مالك رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اكربه امر قال ياحي ياقيوم
برحمتك استغيث وفي صحيح الحاكم من حديث ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اسم الله الاعظم في ثلث سور من القرآن في البقرة وال عمران
وطه قال القاسم فالتمستها فاذا هي آية الحي القيوم وفي جامع الترمذي وصحيح
الحاكم من حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوة
ذي النون اذ دعى ربه وهو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من

الظالمين

العله
الحنان المنان

نسخه
بشر بن

من الظالمين انه لم يدع بها مسلم في شئ قط الا استجاب الله له قال الترمذي حديث
صحيح وفي صحيح الحاكم ايضا من حديث سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الا اخبركم بشيء اذا نزل برجل منكم فدعى به يفرج عنه دعاء ذي النون وفي صحيح ابن حبان ايضا
اسم الله الاعظم دعاء يونس فقال رجل يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة فقال
الا تسمع قوله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين فايما مسلم دعا بها
في مرضه اربعين مرة فمات في مرضه ذلك الا اعطي اجر شهيد وان برا معفورا له
وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله
رب السموات السبع ورب العرش الكريم وفي مسند الامام احمد من حديث علي بن ابي طالب
قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل بي كرب ان اقول لا اله الا الله الحليم الكريم
سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفي مسند ايضا
من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب
احدا قط هم واحزن فقال اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك
ماض في حكمك عدل في قضائك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او علمته
احدا من خلقك او انزلته في كتابك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل
القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي الا اذهب الله همه وحزنه
وابدله مكانه فرج فقيل يا رسول الله الا نتعلمها قال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها
وقال ابن مسعود ما كرب نبي من الانبياء الا استغاث بالتسبيح وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب
المجابين في الدعا عن الحسن قال كان رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار يكنى
ابا معلق وكان تاجرا يتجر بمال له ولغيره يضرب به في الافاق وكان ناسكا ورعا فخرج
مرة فلقيه لص مقنع في السلاح فقال له ضع ما معك فاني قاتلك قال اني ما اريد الا مالي
قال لا والله فلي واست اريد الا دمك قال اما اذا ابيت وذر بي ان اربع ركعات قال صل
ما بدا لك فتوضا ثم صلى اربع ركعات وكان من دعائه في اخر سجدة ان قال يا ودود
يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يريد اسالك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي
لا يضام ونورك الذي ملا اركان عرشك ان تكفيني شر هذا اللص يا مغيث اغثني

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد اقبل ببيده حربة قد وضعها بين اذني فرسه فلما
بصر به اللص اقبل نحوه ليطعنه فقتله ثم اقبل الي فقال قم فقلت من انت بابي و
امي فقد اغاثني الله بك اليوم قال انا ملك من اهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الاول
فسمعت لابواب السماء قعقعة ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السماء ضجة
ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكروب فسألت الله ان يوليني قتله **فصل**
وكثيرا ما يجد ادعية دعا بها قوم فاستجيب لهم ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه
واقباله على الله او حسنة تقدمت منه جعل الله سبحانه اجابة دعوته شكرا لحسنته
او صادف وقت اجابة وكذلك اجيبت دعوة فنظن الظان السر في لفظ ذلك الدعا
فياخذه مجردا عن تلك الامور التي قارنته مما ذكرنا الدعائي وهذا كما استعمل الرجل دواء نافعا
في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينفع فانتفع به فظن عنزه ان استعمال هذا الدواء
بمجرده نافع في حصول المطلوب كان غالطا وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس و
من هذا قد يتفق دعاوه باضطرار عند قبر فيجاب الجاهل ان السر المقبر ولم يعلم ان السر
للاضطرار وصدق الالتجا الى الله فاذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله كان افضل
واحب الى الله **فصل** والادعية والتعويذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه
لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحا تاما الة فيه والساعد ساعدا قويا والمانع مفقود
حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التاثير
فاذا كان الدعا في نفسه غير صالح والداعي لم يجمع بين لسانه وقلبه في الدعا و
كان ثمة مانع من الاجابة لم يحصل الاثر **فصل** وههنا سوال مشهور وهو ان
المدعو به ان كان قد قدر لم يكن بدعاء العبد اولم يقع وان لم يكن قد
قدر لم يقع سواء سأله العبد اولم يسأله فظنت طائفة صحة هذا السوال فتركت
الدعا وقالت لا فائدة فيه وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون فان مراد مذهبهم
يوجب تعطيل جميع الاسباب فيقال لاحدهم ان كان الشبع والري قد قدرا لك فلا
بد من وقوعهما اكلت اولم تاكل وان كان الولد قد قدر لك فلا بد منه وطئت
الزوجة اولم تطا وان لم يقدر لم يكن فلا حاجة الى التزويج والتسري وهلم جرا فهل
يقول هذا عاقل او ادمي بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الاسباب التي

الهامش

بها قوامه وحياته فالحيوانات اعقل وافهم من هؤلاء الذين هم كالانعام بل هم
اضل سبيلا وتكاسى بعضهم وقال الاشتغال بالدعا من باب التعبد المحض يثيب الله عليه
الداعي من غير ان يكون له تاثير في المطلوب بوجه ما ولا فرق عند هذا الكسر بين الدعاء
وبين الامساك عنه بالقلب واللسان في التاثير في حصول المطلوب وارتباط المعا به عندهم
كارتباط السكوت ولا فرق وقالت طائفة اخرى الكيس هو الدعا علامة مجردة
نصبها الله سبحانه وتعالى امارة على قضاء الحاجة متى وفق العبد للدعا كان ذلك علامة
له وامارة على ان حاجته قد قضيت وهذا كما لو رايتا عيما اسود لبارد في الشتا فان
ذلك دليل وعلامة على انه يمطر قالوا وهذا حكم الطاعات مع الثواب والكفر والمعاصي
مع العقاب هي امارة محضة لوقوع الثواب والعقاب لا انها اسباب له وهكذا
عندهم الكسر مع الانكسار والحريق مع الاحراق والازهاق مع القتل ليس شيء من ذلك
سببا البتة ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه الا مجرد الاقتران العادي لا التاثير
السببي وخالفوا بذلك الحس والعقل والشرع والفطر وسائر طوائف العقلا
بل اضحكوا عليهم العقلاء والصواب ان ههنا قسما ثالثا غير ما ذكره السائل وهو ان
هذا للمقدور قد رتب اسبابا فالمقدر يقدر بمجرد داعي سببه ولكن قدر بسببه
متى اتى العبد بالسبب وقع المقدور ومتى لم يات بالسبب انتفى المقدور وهذا كما قدر الشبع
والري بالاكل والشرب وقدر الولد بالوطي وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج
نفس الحيوان بذبحه كذلك قدر دخول الجنة بالاعمال ودخول النار بالاعمال وهذا
القسم هو الحق وهو الذي يحرمه السائل ولم يوفقه وحينئذ فالدعا من اقوى الاسباب
فاذا قدر وقوع المدعو به بالدعا لم يصح ان يقال لا فائدة في الدعا كما لا يقال لا فائدة في
الاكل والشرب وجميع المكتسبات والاعمال وليس شيء من الاسباب انفع من الدعا ولا ابلغ
منه في حصول المطلوب **ولما** كان الصحابة رضي الله عنهم اعلم الامة بالله ورسوله واقفهم
في دينه كانوا اقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم وكان عمر رضي الله عنه يستفتح
به على عدوه فكان اعظم جنده وكان يقول للصحابة لستم تنصرون بكثرة وانما
تنصرون من السماء وكان يقول اني لا احمل هم الاجابة ولكن هم الدعا فاذا الهمت الدعا
فان الاجابة معه واخذ الشاعر هذا فنظمه فقال

﴿ لو لم ترد بنا ما ارجوه وأطلبه ﴿ من جودك فبك ما عودتني أطلبه ﴿

في الهم الدعاء قد اريد به الاجابة فان الله سبحانه يقول ادعوني استجب لكم وقال وإذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعاني وفي سنن ابن ماجه مما حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وهذا يدل على ان رضاه في سؤاله وطاعته وان رضى الرب تبارك وتعالى في كل خير في رضاه كما ان كل بلاء ومصيبة في غضبه وقد ذكر الامام احمد في كتاب الزهد ابتر الي انا الله لا اله الا انا اذا رضيت باركت وليس لبركتي منتهى واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد وقد دل العقل والنقل والفطر السليمة وتجارب الامم على اختلاف اجناسها ومللها ونحلها على ان التقرب الى رب العالمين وطلب مرضاته البر والاحسان الى خلقه من اعظم الاسباب الجالبة لكل خير واضدادها من اكبر الاسباب الجالبة لكل شر فما استجلبت نعم الله قط ولا استدفعت نقمه بمثل طاعته والتقرب اليه والاحسان الى خلقه وقد رتب الله سبحانه حصول السرور في الدنيا والاخرة في كتابه على الاعمال ترتيب الجزاء على الشرط والمعلول على العلة والمسبب على السبب وهذا يزيد في القرآن على الف موضع فتارة يرتب الحكم الخبري الكوني والامر الشرعي على الوصف المناسب له كقوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وكقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم وقوله ان المسلمين والمسلمات الى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وهذا كثير جدا وتارة يرتبه عليه بصيغة الشرط والجزاء كقوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وقوله فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين وقوله وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وتارة يأتي بلام التعليل كقوله ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله ولتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وتارة يأتي باداة كي الدالة على التعليل كقوله كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وتارة يأتي بباء السبب كقوله ذلك بما قدمت ايديكم كقوله بما كنتم تعملون وبما كنتم تكسبون وكقوله ذلك بانهم كفروا بايات الله وتارة يأتي بالمفعول له لاجله ظاهرا ومضمرا وقوله للرسول و امراتك من ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وقوله ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين كقوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اي كراهية

ان يقولوا او تارة يأتي بفاء السببيه كقوله فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وكقوله فعصوا رسولهم فاخذهم اخذة رابية وكقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين ونظائره وتارة يأتي باداة لما الدالة على الجزاء وكقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم ونظائره وتارة يأتي باء وما عملت يدي كقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات وقوله في ضد هؤلاء انهم كانوا قوما سوء فاغرقناهم اجمعين وتارة يأتي باداة لو الدالة على ارتباط ما قبلها بما بعدها كقوله ولولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وتارة يأتي بلو الدالة على الشرط كقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وبالجملة فالقرآن من اوله الى آخره صريح في ترتيب الجزاء بالخير والشر والاحكام الكونية والامرية على الاسباب بل ترتب احكام الدنيا والاخرة ومصالحها ومفاسدها على الاسباب والاعمال وتأمل تفقه في هذه المسئلة وتاملها حق التامل تنفع بها غاية النفع ولم تتكل على القدر جهلا منه وعجزا وتفريطا واضاعة فتكون توكله عجزا وعجزه توكلا بل الفقيه كل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر ويدفع القدر بالقدر ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن الانسان يعيش الا بذلك فان الجوع والشبع والبرد وانواع المخاوف والمحاذير هي من القدر والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر وهكذا من وفقه الله واعلمه رشاده يدفع قدر العقوبة الاخروية بقدر التوبة والايمان والاعمال الصالحة فهذا وزن القدر المخوف في الدنيا وما يضاده سواء فرق الدارين واحد وحكمته واحد الا ما قضى بعضها بعضا فهذه المسئلة من اشرف المسائل لمن عرف قدرها ورعاها حق رعايتها والله المستعان ثم ينبغي عليه امران بهما يتم سعادته وفلاحه احدهما ان يعرف تفاصيل اسباب الخير والشر جميعا مفصلة مبينة من السنة ويكون له بصيرة في ذلك بما شاهده في العالم وما جربه في نفسه وغيره وما سمعه من اخبار الامم قديما وحديثا وما انفع ما في ذلك تدبر القرآن فانه كفيل بذلك على اكمل الوجوه وفيه اسباب الخير والشر جميعا مفصلة مبينة ثم السنة فانها شقيقة القرآن وهي الوحي الثاني ومن صرف اليهما عنايته اكتفى بهما من غيرهما وهما يبينان الخير والشر واسبابهما كما مثل تعاين ذلك عيانا وبعد ذلك اذا تاملت اخبار الامم وايام الله في اهل طاعته واهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القرآن والسنة ورايت تفاصيل ما اخبر الله به ورسوله

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعلمت من اياته في الآفاق ما يدلك على ان القرآن حق وان الرسول حق وان الله سبحانه
يمتن وعده لا محالة فالتاريخ تفصيل بجزئيات ما عرفنا الله ورسوله من الامور
الكلية للخير والشر **فصل** والامر الثاني ان يحذر مغالطة نفسه له
على هذه الاسباب وهذا من اهم الامور فان العبد يعرف ان المعصية والغفلة من
الاسباب المضرة في دنياه واخرته ولا بد ولكن تغالطه نفسه بالاتكال على عفو الله
ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة تارة وبالاستغفار باللسان تارة وبفعل
المنذ وبات تارة وبالعلم تارة وبالاحتجاج بالقدر تارة وبالاحتجاج بالاشباه
والنظراء والاقتداء بالاكابر تارة وكثير من الناس يظن انه لو فعل ما فعل ثم قال استغفر الله
زال اثر الذنب وراح هذا بهذا وقال لي رجل من المنتسبين الى الفقه انا افعل ما
افعل ثم اقول سبحان الله وبحمده مائة مرة وقد ورد ذلك اجمعه كما صح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه وان
كانت مثل زبد البحر وقال لي آخر من اهل مكة نحن احدنا اذا فعل ما فعل ثم
اغتسل وطاف بالبيت اسبوعا وقد نهى عن ذلك وقال لي آخر قد صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اذنب عبد ذنبا فقال اي رب قد اصبت ذنبا فاغفر
لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا آخر فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفره
لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفره لي فقال
الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليصنع
ما شاء قال وانا لا اشك ان لي ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب من الناس قد
تعلق بنصوص الرجاء واتكل عليها وتعلق بها بكلتا يديه واذا عوتب على الخطايا
والانهماك فيها سرد ذلك ما يحفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجاء والجهال
من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب كقول بعضهم

وكم ما استطعت من الخطايا اذا كان القدوم على كريم

وقول الآخر المتزه من الذنوب جهد البضاعة عفو الله وقال الآخر ترك الذنوب جراءة
على مغفرة الله تعالى واستصغارها وقال محمد بن حرم رأيت بعض هؤلاء يقول في دعائه
اللهم اني اعوذ بك من المعصية ومن هؤلاء المغرورين ممن يتعلق بمسئلة الجبر وان

العبد

العبد لا فعل له البتة ولا اختيار وانما هو مجبور على فعل المعاصي ومن
هؤلاء من يغتر بمسئلة الارجاء وان الايمان هو مجرد التصديق والاعمال
ليست من الايمان وايمان افسق الناس كايمان جبريل وميكائيل ومن هؤلاء من
يغتر بمحبة الفقراء والمشائخ والصالحين وكثرة التردد الى قبورهم والتفرغ
اليهم والاستشفاع بهم والتوسل الى الله بهم وسؤاله بحقهم عليه وحرمتهم
عنده ومنهم من يغتر بإباحة واسلافه وان كان لهم عند الله مكانة وصلاحا
فلا يدعوا ان تخاصموا كما يشاهد في حضرة الملوك فان الملوك تهب لخواصهم ذنوب
اتباعهم واقاربهم واذا وقع احد منهم في امر مقطع خلصهم ابوه وجده بجاهه
ومنزلته ومنهم من يغتر بأن الله عز وجل غني عن عذابه وعذابه لا يزيد في
ملكه شيئا ولا ينقص مما ملكه شيئا فيقول انا مضطر الى رحمته وهو غني
الاغنياء ولو ان فقير مسكينا مضطرا الى شربة ماء عندي في داره شط يجري لما
منعه منها فالله اكرم واوسع فالمغفرة لا تنقصه شيئا والعقوبة لا تزيد في ملكه
شيئا ومنهم من يغتر بفهم فاسد فهمه هو واضرابه مما نصوص القرآن والسنة
فاتكلوا عليه كاتكال بعضهم على قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى فقالوا وهو
لا يرضى ان يكون في النار احد من امته وهذا من اقبح الجهل وابين الكذب عليه
فانه يرضى بما يرضى به عز وجل والله تعالى يرضيه بتعذيب الظلمة والفسقة والخونة
والمضرين على الكبائر فما شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يرضى بما يرضى به
ربه تبارك وتعالى وكاتكال بعضهم على قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا
ايضا من اقبح الجهل فان الشرك داخل في هذه الآية وانه تعالى الذنوب واساسها
وكاختلاف ان هذه الآية في حق التائبين فانه يغفر ذنب كل تائب من اي ذنب كان
ولو كانت الآية في حق غير التائبين لبطلت نصوص الوعيد كلها واحاديث اخراج
قوم من الموحدين من النار بالشفاعة وهذا انما اتى صاحبه من قلة علمه وفهمه فانه
سبحانه هيمنا عمم واطلق فعلم ان اراد التائبين وفي سورة النساء خصوص قيد
فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاخبر سبحانه ان لا يغفر
الشرك واخبر انه يغفر ما دون ذلك ولو كان هذا في حق التائب لم يفرق بين الشرك وغيره

كأيمان ص

فلا يدعوا أن ص

واتم والمشكل عنه مع انفراد احدهما وكلما قويت اسباب التكفير كان اقوى واتم
واشمل وكما تكال بعضهم على قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه انا عند ظن عبدي بي
فليظن بي ما شاء يعني ما كان في ظنه فاني فاعله ولا ريب ان حسن الظن انما يكون
مع الاحسان فان المحسن حسن الظن بربه انه يجازيه على احسانه ولا يخلف وعده
ويقبل توبته واما المسيئ المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فان وحشة المعاصي
والظلم والحرام يمنعه من حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد فان العبد الابق
المسيئ الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن بربه والمجامع وحشة الاساءة ما
الظن ابدا فان المسيئ مستوحش بقدر اساءته واحسن الناس ظنا بربه اطوعهم له
كما قال الحسن البصري ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان الفاجر اساء
الظن بربه فاساء العمل وكيف يكون محسن الظن بربه من هو شارد عنه حال مرتحل
في مساخطه وما يبغضه متعرض للفتنه قد هان عليه وامره عليه فاضاعه وهان
عليه فاركبه واصر عليه وكيف يحسن الظن بربه من بارزه بالمحاربه وعادى
اولياءه ووالى اعداءه ومجده صفات كماله واساء الظن بما وصف به نفسه وصف
به رسله وظن بجهله ان ظاهر ذلك ضلال وكفر وكيف يحسن الظن بربه من يظن
انه لا يتكلم ولا يامر ولا ينهى ولا يرضى ولا يغضب وقد قال تعالى في حق من شك في
تعليق سمعه ببعض الجزئيات وهو السر من القول وذكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين فهولاء لما ظنوا ان الله لا يعلم كثيرا مما يعملون كان هذا
اساءة ظنهم بربهم فاردام ذلك الظن وهذا شان من جحد صفات كماله ونعوت
جلاله ووصفه بما لا يليق به فاظن هذا انه يدخل الجنة كان هذا غرور او خداع
من نفسه وتسويل من الشيطان لا احسان الظن بربه فتامل هذا الموضع وتامل شدة
الحاجة اليه وكيف يجتمع في قلب العبد تيقنه بانه ملاق الله وان الله يسمع كلامه
ويرى مكانه ويعلم سره وعلانيته ولا يخفا عليه خافية من امره وانه موقوف بين
يديه ومسئول عن كل ما عمل وهو مقيم على مساخطه مضيع لاوامره معطل لحقوقه
وهو مع هذا يحسن الظن به وهل هذا الا من خدع النفوس وغرور الاماني وقد قال ابو
امامة بن سهل بن حنيف وخلت انا وعروة بن الزبير على عائشة رضي الله عنها فقالت

وكما غتر بعض الجهال يقول يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فيقول كرمه
وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا جهل قبيح وانما غره بربه الغرور
وهو الشيطان ونفسه الامرة بالسوء وجهله وهواه وان سبحانه بلفظ الكريم
وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به وكما اهمل حمقه فوضع هذا
المغتر الغرور في غير موضعه ولا غتر بمن لا ينبغي الاغترار به وكما غتر بعضهم
بقوله تعالى في النار لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقوله اعدت للكافرين
ولم يرد هذا المغتر ان قوله فانذرتكم نارا تلظى هو لنار مخصوصة من جملة دركات
جهنم ولو كانت جميع جهنم فهو سبحانه لم يقل لا يدخلها بل قال لا يصلاها الا الاشقى
والملزم من عدم صليها عدم دخولها فان الصلي اخص من الدخول ونفي الاخص
لا ينفي الاعم ثم ان هذا المغتر لو تامل الاية التي بعدها لعلم انه غير داخل فيها فلا
يكون مضمونا له ان يجنبها واما قوله في النار اعدت للكافرين فقد قال في الجنة
اعدت للمتقين وقال في اعداد النار للكافرين انه يدخلها الفساق والظلمة
والباغي اعداد الجنة للمتقين انه يدخلها من في قلبه ادنى مثقال ذرة من ايمان ولم
يعمل خيرا قط وكما تكال بعضهم على صوم يوم عاشورا يكفر ذنوب العام كلها
وبقي صيام يوم عرفة زيادة في الاجر ولم يعلم هذا المغتر ان صوم رمضان والصلوا
الخمس اعظم واجل من صيام يوم عرفة ويوم عاشورا وهي انما تكفر ما بينها اذا اجتنب
الكبائر فرمضان والجمعة الى الجمعة لا يقوى على تكفير الصغائر فكيف يكفر صوم
تطوع كل كبيرة عملها العبد وهو مصر عليها غير تائب منها هذا محال على
انه لا يمتنع ان يكون صوم يوم عرفة ويوم عاشورا يكفر الجميع ذنوب العام على
عمومه ويكون من نصوص الوعيد التي لها شروط وموانع ويكون اصرار على
الكبائر مانعا من التكفير فاذا لم يصر على الكبائر تساعد الصوم وعدم الاصرار
وتعاونا على عموم التكفير كما كان رمضان والصلوات الخمس مع اجتناب الكبائر
متساعدين متعاونين على تكفير الصغائر مع انه سبحانه وتعالى قد قال ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فعلم ان جعل الشيء سببا للتكفير لا يمنع
ان يتساعد هو وسبب اخر على التكفير ويكون التكفير مع اجتماع السببين اقوى

والله

Copyright © King Saud University

لو رأيتما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه له وكانت عندي ستة دنانير او سبعة فامرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افرقها قالت فشغلني وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى عافاه الله فسألني عنها فقال ما فعلت ما فعلت اكنت فرقت الستة الدنانير قلت لا والله
لقد كان شغلني وجعك قالت فدعا بها فوضعها في كفه فقال ما ظن نبي الله لو لقي
الله وهذه عنده فيا لله ما ظن اصحاب الكبائر والظلمة بالله اذا لقوه ومظالم
العباد عندهم فان كان يشفعهم قولهم حسنا ظنونا بالله لم يعذب ظالم والفاسق
فليصنع العبد ما شاء وليرتكب كل ما نهاه الله عنه وليحسن ظنه بالله فان النار
لا تمسه فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد وقد قال ابراهيم لقومه افكا الهة
دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي فما ظنكم به ان يفعل بكم اذا لقيتموه
وقد عبدتم غيره ومن تامل هذا الموضع حق التامل علم ان حسن الظن بالله هو
حسن العمل بنفسه فان العبد انما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه ان يجازيه
على اعماله ويثيبه عليها ويتقبلها منه فالذي حمله على العمل حسن الظن فلما حسن
ظنه حسن عمله والا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز كما في الترمذي والمسند من
حديث شداد بن اوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وبالجملة فحسن
الظن انما يكون مع انعقاد اسباب النجاح وامامع انعقاد اسباب الهلاك فلا يسمى
احسان الظن فان قيل بل يسمى ذلك ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة
الله ورحمته وعفوه وجوده وان رحمته سبقت غضبه وانه لا ينفعه العقوبة
ولا يضره العفو قيل الامر هكذا والله فوق ذلك واجل واكرم واجود وارحم
لكن انما يصنع ذلك في محله اللائق به فانه تعالى موصوف بالحكمة والعزة والانتقام
وشدة البطش وعقوبة من يستحق العقوبة ولو كان مجرد حسن الظن على مجرد
صفاته واسمائه لاشترك في ذلك البر والفاجر والمؤمن والكافر وولية وعدوه
فما ينفع المجرم اسماؤه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض للعنته وافراغ
في محارمه وانتهك حرماته بل حسن الظن ينفع من تاب وندم واقلع وبدل
السيئة بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم حسن الظن فهذا حسن

الهلاك

الظن والاول غرور والله المستعان ولا يستطيل هذا الفصل فان الحاجة اليه شديدة
كل احد ففرق بين حسن الظن بالله وبين الغرة به قال تعالى ان الذين آمنوا والذين
هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فجعل هؤلاء اهل الرجاء
لا الظالمين والفاسقين وقال تعالى ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم
جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فاخبر سبحانه انه بعد هذا
الاثنا لغفور رحيم لمن فعلها فالعالم يضع الرجا مواضعه والجاهل المغتر يضعه
في غير مواضعه **فصل** وكثير من الجهال اعتمد على رحمة الله وعفوه وكرمه
وضيعوا امره ونهيه ونسوا انه شديد العقاب وانه لا يرد باسه عن القوم
المجرمين ومن انعم على العفو مع الاصرار ونهوكا لمعاند قال معروف رجاؤك لرحمة
من لا تطيعه من الكذابين وقال بعض العلماء من قطع عضوا منك في الدنيا بسرقة
ثلاثة دراهم لا تامن ان تكون عقوبته في الاخرة على نحو هذا **وقيل** للحسن نراك
طويل البكا فقال اخاف ان يطرحني في النار ولا ابالي وسئل رجل الحسن فقال يا ابا سعيد
كيف نصنع بمجالسة اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله لان تصحب
اقواما يخوفونك حتى تدرك امنا خير لك من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى
تلحقك المخاوف **وقد** ثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد بن حارثة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى
في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به
اهل النار فيقولون يا فلان ما اصابك الم تكن تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر
فيقول كنت امركم بالمعروف ولا اتيته وكنت انهاكم عن المنكر واتيته **وذكر** الامام
احمد من حديث ابي رافع قال من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع فقال اف لك اف
لك فظننت انه يريدني قال لا ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيا على آل فلان فغل
نمرة فدرع الان مثلها من نار **وفي** مسنده ايضا من حديث انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض
من نار فقلت من هؤلاء فقالوا خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون الناس بالبر
وينسون انفسهم افلا يعقلون **وفيه** ايضا من حديث انس قال قال رسول الله صلى الله

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم
فقلت من هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وفيه ايضا
عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
فقلنا يا رسول الله امنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم قال انعم ان القلوب
بين اصبعين من اصابع الله يقلبها كيف يشاء وفيه ايضا عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لجبريل ما لي لم ار ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك منذ خلقت النار
وفي صحيح مسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يا نعم اهل الدنيا
من اهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له يا بن ادم هل رايت خيرا قط هل مر
بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى باشد الناس بوسا في الدنيا من
اهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة فيقال له يا بن ادم هل رايت بوسا قط هل
مر بك من شدة قط فيقول لا والله يا رب ما رايت بوسا قط ولا مر بي شدة قط
وفي المسند من حديث البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة
رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله
كانما على رؤسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الارض فرفع راسه فقال استعيذوا
بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من
الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كان وجوههم
الشمس معهم كفن من اكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه
مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند راسه فيقول اخرجي ايتها النفس الطيبة
اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فياخذها
فاذا اخذ لم يدعوها في يده طرفة عين حتى ياخذوها فيجعلوها في ذلك
الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على الارض
فيصعدون فلا يمرون بها على ملا من الملئكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون
فلان بن فلان باحسن اسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا الى السماء
الدنيا فيستفتحون له فيفتح الله له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها
حتى ينتهي به الى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين

واعيدوه

يا جبريل فقال هؤلاء

ولما يلحد

يجيء

بها

واعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى
قال فيعاد روحه في مكانه فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله
عز وجل فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي
بعث فيكم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له ما علمك فيقول قرات كتاب الله
فامنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه
من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة قال فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره
قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك
هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من انت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول
انا عملك الصالح فيقول رب اقم الساعة رب اقم الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال
وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه من السماء ملئكة
سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند
راسه فيقول ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط الله وغضبه قال فيفزق في
جسدها فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلل فياخذها فاذا اخذها
لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج كانتن ريح جيفة
وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملئكة الا قالوا
ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه التي كانوا يسمونه بها
في الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتح لهم ابواب السماء
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه
في سجين في الارض فيطرح روحه طرحا ثم قرا ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه
الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق فيعاد روحه الى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه
فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث
فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي فافرشوه النار
والبسوه النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره
حتى تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الثياب قبيح الوجه منتن الريح فيقول ابشر
بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من انت فوجهك الوجه الذي يجيء

لسفلى عج

Copyright © King Saud University

بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول رب لاتقم الساعة وفي لفظ لاحمد ايضا
ثم تقبض له اعمى اصم ابكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبلا كان ترابا ثم يعيده الله
عزوجل كما كان فيضربه ضربة اخرى فيصيح صيحة سمعها كل شئ
الا الثقلين قال فيفتح له باب من النار ويمهد له من فرش النار وفي المسند
ايضا عنه قال لم يسمعا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بصر بجماعة فقال على ما اجتمع
هؤلاء فقيل على قبر يحفرونه ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبذر بين اصحابه
مسرعا حتى انتهى الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته من بين يديه لانظر ما يصنع
فبكى حتى بل الثرى مما دموعه ثم اقبل علينا فقال امثال هذا اليوم فاعدوا
وفي المسند من حديث بريدة قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فاتى على ثلاث مرات
يا ايها الناس الا تدرون ما مثلي ومثلكم فقالوا الله ورسوله اعلم فقال انما مثلي ومثلكم مثل
قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلا يترايا لهم فابصر العدو فاقبل ليذيرهم
وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فاهوى بثوبه ايها الناس ايها الناس
اتيتم ثلاث مرات وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ما اسكر كثيره فقليله حرام وان على الله عزوجل عهدا لمن شرب المسكرات يسقيه من طينة الخبال
قيل وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وفي المسند ايضا
من حديث ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا عليه ملك ساجد لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم
الى الصعدات تجارون الى الله تعالى قال ابو ذر رضي الله عنه والله لوددت اني شجرة
تعضد وفي المسند ايضا من حديث حذيفة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في
جنازة فلما انتهينا الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته من بين يديه لانظر ما يصنع
فبكى حتى بل الثرى مما دموعه ثم اقبل علينا فقال اي اخواني لمثل هذا اليوم فاعدوا
وفيه ايضا من حديث جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى على معاذ حي توفي فلما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع في قبره وسوي عليه
سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبحنا طويلا ثم كبر فكبرنا فقيل يا رسول الله لم سبحت

ثم كبرت

مسكر

ثم كبرت فقال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه
وفي صحيح البخاري عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت
الجنازة واحتملها الرجال على اعناقهم فان كانت صالحة قالت قدموني قدموني
وان كانت غير صالحة قالت يا ويلها اين يذهبون بها يسمع صوتها كل شئ الا الانسان
ولو سمعها الانسان لصعق وفي مسند احمد من حديث ابي امامة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس يوم القيمة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا
يغلى منها الرؤس كما تغلى القدور ويعرقون فيها على قدر خطاياهم منهم من
يبلغ الى كعبيه ومنهم من يبلغ الى ساقيه ومنهم من يبلغ الى وسطه ومنهم من يلجمه العرق
وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب القرن
قد التقم القرن وحنى جبهته يسمع متى يؤمر فينفخ فقال اصحابه كيف نقول قال قولوا
حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وفي المسند ايضا عن ابن عمر رفعه من تعظم
في نفسه واختال في مشيته لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان وفي الصحيحين
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المصورين يعذبون يوم القيمة ويقال
لهم احيوا ما خلقتم وفيهما عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احدكم اذا مات
عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان
من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عزوجل يوم القيمة
وفيهما ايضا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار
الى النار جيء بالموت حتى يوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة
خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم
ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم وفي المسند عنه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم
وفيها درهم من حرام لم يقبل الله صلوة ما دام عليه ثم ادخل اصبعيه في اذنيه ثم قال
صمتا ان لم اكن سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقوله وفيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة سكر امرة واحدة فكانما كانت له الدنيا
وما عليها فسلبها وفي ترك الصلاة سكر اربع مرات كان حقا على الله ان يسقيه من طينة
الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال عصارة اهل جهنم وفيه ايضا عنه

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

مرفوعا من شرب الخمر شربة لم يقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله
عليه فلا ادري في الثالثة او في الرابعة قال فان عاد كان حقا على الله ان يسقيه
من ردغة الخبال يوم القيمة وفي المسند ايضا من حديث ابي موسى قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مات مدمنا للخمر سقاه الله من نهر الغوطة قيل وما نهر الغوطة
قال يجري من فروج المومسات يوذي اهل النار ريح فروجهن وفيه ايضا
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات
فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي
فاخذ بيمينه واخذ بشماله وفي المسند ايضا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايام ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل
حتى يهلكنه فضرب لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا كمثل قوم نزلوا بارض
فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود
حتى جمعوا سوادا واججوا نارا فانضجوا ما قذفوا فيها وفي الصحيح من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الجسر على جهنم فاكون
اول من يجيز ودعوى الرجل يومئذ اللهم سلم سلم وعلى حافتيه كلاليب مثل
شوك السعدان تخطف الناس باعمالهم فمنهم الموثق بعمله ومنهم المحردل ثم ينجوا
حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد واراد ان يخرج من النار من اراد ان يرحم
ممن كان يشهد ان لا اله الا الله امر الملائكة ان يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة اثار
السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم من ماء يقال له ماء الحيوة فينبتون
نبات الحبة في حميل السيل وفي صحيح مسلم عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان اول الناس يقضى بينهم يوم القيمة ثلاثة رجل استشهد فاتي به فعرفه نعمه
فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت حتى
يقال هو جري وقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل تعلم
العلم وعلمه وقرا القران فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت
فيك العلم وعلمته وقرات فيك القران فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم
فقد قيل وقرات القران ليقال هو قارئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه

حتى القي

حتى القي في النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله فاتي به فعرفه
نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا
انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به
فسحب على وجهه حتى القي في النار وفي لفظ فنهوا اول خلق تسعر بهم النار
يوم القيمة وسمعت شيخ الاسلام يقول كما ان خير الناس الانبياء فشر الناس من
تشبه بهم من الكذابين وادعى انه منهم وليس منهم فخير الناس بعدهم العلماء
والشهداء والمتصدقون المخلصون وشر الناس بعدهم من تشبه بهم يوهم انه
منهم وليس منهم وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من كانت عنده لاخيه مظلمة في مال او عرض فليات فليستحلها منه قبل ان يوخذ
وليس عنده دينار ولا درهم فان كانت له حسنات اخذ من حسناته فاعطيها
هذا والاخذ من سيئات هذا فطرحت عليه ثم طرح في النار وفي الصحيح من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن صلى الله عليه وسلم من اخذ شبرا من الارض بغير حقه خسف
به يوم القيمة الى سبع ارضين وفي الصحيحين عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ناركم هذه التي توقد بنو ادم جزء من واحد وسبعين جزء من نار
جهنم قالوا والله ان كانت لكافية قال فانها قد فضلت عليها تسعة وستين
جزء كلهن مثل حرها وفي المسند عن معاذ رضي الله عنه قال اوصاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لا تشرك بالله شيئا وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان
امراك ان تخرج من اهلك ومالك ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن ترك صلاة
واحدة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشربن خمرا فانه راس كل فاحشة
واياك والمعصية فان المعصية تحل سخط الله والاحاديث في هذا الباب اضعاف
اضعاف ما ذكرنا ولا ينبغي لمن نصح نفسه ان يتعامى عنها ويرسل نفسه في
المعاصي ويتعلق بحبل الرجاء حسن الظن قال ابو الوفا بن عقيل ولا اعتز وافانه
قطع اليد في ثلاثة دراهم وجلد الحد في مثل راس ابرة من الخمر وقد دخلت
امراة النار في هرة واشتعل الشملة نارا على من غلها وقد قتل شهيد قال الامام
احمد حدثنا معاوية حدثنا الاعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

يرفعه قال دخل رجل النار في ذباب ودخل رجل الجنة في ذباب قالوا كيف ذلك
يا رسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم ولا يجوزه احد حتى يقرب له شيئا
قالوا لاحدهما قرب فقال ليس عندي شيء قالوا قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا
سبيله فدخل النار وقالوا للاخر قرب فقال ما كنت لاقرب لاحد شيئا دون
الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة وهذه الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد
يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب وربما اتكل بعض المغترين على ما يرى
مما نعم الله عليه في الدنيا وانه لا يغتر بما يرى ويظن ذلك محبة الله له وانه
يعطيه في الاخرة افضل من ذلك وهذا من الغرور قال الامام احمد حدثنا يحيى
ابن غيلان حدثنا رشيد بن سعد عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم
عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد
الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا
به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون وقال بعض السلف اذا رأيت الله يتابع نعمه عليك وانت مقيم على
معاصيه فاحذره فانما هو استدراج منه يستدرج به وقد قال تعالى ولولا ان
يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة و
معارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان
كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقد رد الله سبحانه
على من يظن هذا الظن بقوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول
ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا اي ليس
كل من نعمته ووسعت عليه رزقه اكون قد اكرمته ولا كل من ابتليته
وضيقت عليه رزقه اكون قد اهنته بل ابتلي هذا بالنعمة [redacted] هذا بالابتلا
وفي جامع الترمذي عن صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب
ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال بعض السلف رب مستدرج بنعم الله عليه
وهو لا يعلم ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم ورب مفتون بثناء
الناس عليه وهو لا يعلم **فصل** واعظم الخلق غرورا من اغتر بالدنيا

وعاجلها

من الأخرة

وعاجلها واثرها على الاخرة ورضي بها حتى يقول بعض هؤلاء الدنيا نقد والاخرة
نسيئة والنقد انفع من النسيئة ويقول بعضهم ذرة منقوده ولا درة
موعوده ويقول اخرون منهم لذات الدنيا متيقنة ولذات الاخرة مشكوكة
فيها والداع اليقيني للمشكوك وهذا من اعظم تلبيس ابليس الشيطان وتسويله
والبهائم العجم اعقل من هؤلاء فان البهيمة اذا خافت مضرة شيء لم تقدم عليه
ولو ضربت وهؤلاء يقدم احدهم على عطبه وهو بين مصدق ومكذب فهذا
الضرب ان آمن احد منهم بالله ورسوله ولقائه واجزائه هو من اعظم الناس
حسرة يوم القيمة لانه اقدم على علم وان لم يؤمن بالله ورسوله فما عدله وقول
هذا القائل النقد خير من النسيئة نحو ان تساوى النقد والنسيئة فالنقد
خير وان تفاوتا وكانت النسيئة اكثر وافضل فهي خير فكيف والدنيا
مما اولها الى اخرها كنفس واحد من انفاس الاخرة كما في مسند احمد والترمذي من
حديث المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا
كما يدخل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فانظر هذا النقد على هذه النسيئة
من اعظم الغبن وافح الجهل وانى كان هذا نسبة الدنيا بجموعها الى الاخرة فما مقدار
عمر الانسان بالنسبة الى الاخرة فايهما اولى بالعاقل ايثار العاجل في هذه
المدة اليسيرة وحرمان الكثير الدائم في الاخرة ثم ترك شيئا حقيرا صغيرا منقطعا
عن قريب لشيء خطره لا يقدر قدره ولا نهاية لعدده ولا غاية لامده **واما**
قول الاخر لا اترك متيقنا لمشكوك فيه فيقال له اما ان يكون على شك من
وعد الله ووعيده وصدق رسله او تكون على يقين من ذلك فان كنت على
يقين فما تركت الاذرة عاجلة منقطعة فانية عن قرب لامر متيقن لا شك
فيه ولا انقطاع له وان كنت على شك فتراجع ايات الرب تعالى الدالة على وجوده
وقدرته ومشيئته ووحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به عنه الله **وتجرد**
وتفهم له ناظرا ومناظرا حتى يبين لك ايما جاءت به الرسل عن الله فهو الحق
الذي لا شك فيه وان خالف هذا العالم رب السموات والارض يتعالى ويتقدس
وينزه عن خلاف ما اخبرت به رسله عنه ومن نسبه الى غير ذلك فقد شتمه و

كلها

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكذبه وانكر ربوبيته وملكه اذ من المحال الممتنع عند كل ذي فطرة سليمة
ان يكون الملك الحق عاجزا او جاهلا لا يعلم شيئا ولا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم
ولا يامر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يغني من يشاء ويذل من يشاء ولا
يرسل رسله الى اطراف مملكته ونواحيها ولا يعتني باحوال رعيته بل يتركهم
سدى ويخليهم هملا وهذا يقدح في ملك احاد ملوك البشر فكيف
يجوز نسبة الملك الحق المبين اليه فاذا تامل الانسان حاله من مبدا كونه
نطفة الى حين كماله واستوائه تبين له ان مما عنى به هذه العناية ونقله
في هذه الاحوال وصرفه في هذه الاطوار لا يليق به ان يهمله ويتركه سدى لا
يامره ولا ينهاه ولا يعرفه حقوقه عليه ولا يثيبه ولا يعاقبه ولو تامل العبد
حق التامل لكان كل ما ابصره وما لا يبصره دليلا له على التوحيد والنبوة
والمعاد وان القران كلامه وقد ذكرنا وجه الاشكال بذلك في كتاب ايمان
القران عند قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وانه لقول رسول كريم
وذكرنا طرفا مما في ذلك عند قوله وفي انفسكم افلا تبصرون وان الانسان دليل
بنفسه على وجوب خالقه وتوحيده وصدق رسله واثبات صفات كماله
فقد بان ان المضيع معذور على التقديرين تقدير تصديقه وتقدير
تكذيبه وشكه فان قلت كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه
بالمعاد والجنة والنار وتكليف العمل وهل في الطباع البشرية ان يعلم
العبد انه مطلوب غدا الى بين يدي بعض الملوك ليعاقبه اشد عقوبة
او يكرمه اتم كرامة ويبيت ساهيا غافلا لا يذكر هو قبه بين يدي الملك
ولا يستعد له ولا يا خذ له اهبته قيل هذا لعمر الله سوال صحيح وارد على
اكثر هذا الخلق واجتماع هذين الامرين من اعجب الاشياء وهذا التخلف
له عدة اسباب احدها ضعف العلم او نقصان اليقين ومن ظن ان العلم
لا يتفاوت فقوله من افسد الاقوال وابطلها وقد سال ابراهيم الخليل ربه
ان يريه احياء الموتى عيانا بعد علمه بقدرة الرب على ذلك ليزداد طمانينة
ويصير المعلوم عيانا شهادة وقد روى احمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال

انه قال ليس المخبر كالمعاين فاذا اجتمع الى ضعف العلم عدم استحضاره
وغيبته عن القلب في كثير من اوقاته او اكثرها لاشتغاله بما يضاده او يضم
ذلك الى تقاضي الطبع وغلبات الهوى واستيلاء الشهوة وتسويل النفس وغرور
الشيطان واستبطاء الوعد وطول الامل ورقدة الغفلة وحب العاجلة وترجيح
التاويل والف العوائد فهناك لا يمسك الايمان الا الذي يمسك السموات
والارض ان تزولا ولهذا السبب يتفاوت الناس في الايمان حتى ينتهي الى ادنى
مثقال ذرة في القلب وجميع هذه الاسباب ترجع الى ضعف البصيرة والبصر
ولهذا سبحانه مدح اهل البصائر واليقين وجعلهم ائمة الدين فقال تعالى
وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بايانا يوقنون فصل
فقد تبين الفرق بين حسن الظن والمغرور وان حسن الظن ان حمل على العمل
وحث عليه وساق اليه فهو صحيح وان دعا الى البطالة والانهماك في المعاصي فهو
غرور وحسن الظن هو الرجاء متى كان رجاء حاذيا له على الطاعة زاجرا له عن
المعاصي فهو رجاء صحيح ومن كانت بطالته رجاء ورجاؤه بطالة وتفريطه فهو
المغرور ولو ان رجلا كان له ارض يؤمل ان يعود عليه من غلتها ما ينفعه
فاهملها ولم يبذرها ولم يحرثها وحسن ظنه بانه ياتي من غلتها ما ياتي من غرس
وبذر وسقي وتعاهد الارض لعد الناس من اسفه السفهاء وكذلك لو حسن
ظنه وقوه رجاؤه بان يجيء ولدا من غير جماع او يصير اعلم اهل زمانه من غير طلب
العلم وحرص تام عليه وامثال ذلك وكذلك من حسن ظنه وقوى رجاؤه
في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة والتقرب الى الله بامتثال
اوامره واجتناب نواهيه وبالله التوفيق وقد قال الله تعالى ان الذين امنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فتامل
كيف جعل رجاءهم بايمانهم بهذه الطاعات وقال المعذرون ان المفرطين
المضيعين حقوق الله المعطلين لاوامره الباغين على عباده المتجرين على
محارمه اولئك يرجون رحمة الله وسر المسئلة ان الرجاء حسن الظن انما
يكون مع الايمان بالاسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجو ان لا يكله اليها وان يجعلها موصله
الى ما ينفعه ويصرف ما يعارضها ويبطل اثرها **فصل** ومما ينبغي ان يعلم
ان من رجا شيئا استلزم رجاؤه امورا احدها حبه ما يرجو الثاني خوفه
من فواته الثالث سعيه في تحصيله بحسب الامكان واما رجاء لا يقارنه شيء من
ذلك فهو من باب الاماني والرجا شيء والاماني شيء اخر فكل راج خائف والسائر
على الطريق اذا خاف اسرع السير مخافة الفوات **وفي** جامع الترمذي من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج
بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة
وهو سبحانه كما جعل الرجا لاهل الاعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لاهل الاعمال
السيئة فعلم ان الرجا والخوف النافع هو ما اقترن به العمل قال تعالى ان
الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يومنون والذين هم
بربهم لا يشركون والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم
راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون **وقد** روى الترمذي
في جامعه عن عائشة رضي الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه
الاية اهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون قال لا يا بنت الصديق
ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ان لا يقبل منهم
اولئك الذين يسارعون في الخيرات **وقد** روى من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
ايضا ولله سبحانه وصف اهل السعادة بالاحسان مع الخوف ووصف الاشقيا
بالاساءة مع الامن ومن تامل احوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية التعبد
مع غاية الخوف فجمعوا بين التقصير بالتقريط والامن فهذا الصديق يقول
وددت اني شعرة في جنب عبد مؤمن ذكر واحد عنه وذكر عنه انه كان يمسك
بلسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد وكان يبكي كثيرا ويقول ابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا وكان اذا قام الى الصلوة كانه عود من خشية الله عز وجل واتي
بطاير فقلبه ثم قال ما صيد من صيد ولا قطعت من شجرة الا بما ضيعت من
التسبيح **ولما** احتضر رضي الله عنه قال لعائشة يا بنية اني اصبت من مال المسلمين

هذ

هذه العباءة وهذا الحلاب وهذا العبد فاسرعي بها الى ابن الخطاب وقال والله لوددت
اني هذه الشجرة توكل وتعضد **وقال** قتادة بلغني ان ابا بكر قال وددت اني
تمام كلتني الدواب **وهذا** عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرا سورة حتى بلغ الى ان عذاب
ربك لواقع بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعاده وقال لا منه وهو في الموت ويحك
ضع خدي على الارض عساه ان يرحمني ثم قال ويل امي ان لم يرحمني ثلاثا ثم قضى وراه
يمر بالاية في ورده بالليل فيخنقه فيبقى في البيت اياما يعاد يحسبونه مريضا **وكان**
في وجهه رضي الله عنه خطان اسودان من البكاء وقال لابن عباس مصر الله بك الامصار
وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فعال وددت اني انجو لا احرا ولا ازر **وهذا** عثمان
رضي الله عنه كان اذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته وقال القبر اول منازل
الاخرة فان نجا منه فما بعده ايسر منه وقال ما رايت منظرا قط الا القبر احزن منه
وان الذي بعده ايسر منه وقال ما رايت منظرا قط الا رايت القبر احزن منه
وهذا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان من اشد خوفه لما انتهى من طول الامل
واتباع الهوى قال اما طول الامل فينسي الاخرة واما اتباع الهوى فيصد عن الحق الا
ان الدنيا ولت مدبرة والاخرة قد اقبلت ولكل واحدة بنون فكونوا
من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا
حساب ولا عمل **وهذا** ابو الدرداء رضي الله عنه يقول ان اشد ما اخاف على نفسي
يوم القيمة ان يقال لي يا ابا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت **وكان** يقول
لو تعلمون ما انتم لاقون بعد الموت لما اكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على
شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعيد تضربون صدوركم
وتبكون على انفسكم ولوددت اني شجرة تعضد وتوكل وكان عبد الله بن عباس
اسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع **وكان** ابو ذر يقول يا ليتني كنت شجرة
تعضد وددت اني لم اخلق ومرضت عليا الفقة فقال عندنا عنز نحلبها واحرم
ننقل عليها ومحرر يخدمنا وفضل عباء واني اخاف الحساب فيها **وقرا** تميم الداري
ليلة سورة الجاثية فلما اتى على هذه الاية ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات جعل يردد ها ويبكي حتى اصبح **وقال** ابو
عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فذبحني اهلي واطبخوا لحمي وحسوا مرقتي **وهذا**

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

باب يطول تتبعه قال البخاري في صحيحه باب خوف المؤمن من ان يحبط عمله وهو
لا يشعر وقال ابراهيم التيمي ما عرضت قولي على عملي الا خشيت ان اكون مكذبا وقال
ابن ابي مليكة ادركت ثلثين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق
على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل ويذكر عن الحسن
ما خافه الا مومن ولا امنه الا منافق وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة انشدك
الله اهل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في المنافقين فيقول لا ولا ازكي
بعدك احدا فسمعت شيخنا يقول ليس مراده اني لا ابرئ غيرك من النفاق بل
المراد لا افتح على هذا الباب فكل من سالني هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فازكيه **ثلث** وقريب من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي ساله ان يدعو الله
ان يكون من سبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب سبقك بها عكاشة
ولم يرد ان عكاشة وحده احق بذلك ممن عداه من الصحابة ولكن لو دعا له
لقام اخر واخر وانفتح الباب وربما قام من لم يسبق ان يكون منهم فكان الامساك
اولى والله اعلم **فصل** فلنرجع الى ما كنا عليه من ذكر دواء الداء
الذي اذا استمر فسد دنيا العبد واخرته فمما ينبغي ان يعلم ان الذنوب تضر
ولا بد وان ضررها في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها
في الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر من الاوساخ الذنوب والمعاصي فما
الذي اخرج الابوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور الى دار
الالام والاحزان والمصائب وما الذي اخرج ابليس من ملكوت السماء
وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته اقبح صورة واشنعها
وباطنه اقبح من صورته واشنع وبدل بالقرب بعدا وبالرحمة لعنة وبالجمال
قبحا وبالجنة نار تلظى وبالايمان كفرا وبولاية المولى الحميد اعظم عداوة
ومشاقة وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل رجل الكفر والشرك الكذب
والزور والفحش وبلباس الايمان لباس الكفر والفسوق والعصيان وهان على
الله غاية الهوان وسقط من عينه غاية السقوط وحل عليه غضب الرب تعالى
فاهواه ومقته اكبر المقت فاردا ه وصار قوادا لكل فاسق ومجرم رضى

لنفسه

لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة فعياذا بك اللهم ....
من مخالفة امرك وارتكاب نهيك وما الذي اغرق اهل الارض كلهم ....
حتى علا الماء فوق رؤس الجبال وما الذي سلط الريح على قوم عاد ....
حتى القتهم موتى على وجه الارض كانهم اعجاز نخل خاوية ودمرت ما
مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ومواشيهم حتى صار واعبرة للامم
الى يوم القيمة وما الذي ارسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في
اجوافهم وماتوا عن اخرهم وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملئكة
نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فاهلكتهم جميعا ثم اتبعهم حجارة
من السماء اعطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على امة غيرهم
والخوانهم امثالها وما هي من الظالمين ببعيد وما الذي ارسل على قوم شعيب
سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق راوسهم امطر عليهم نارا تلظى وما
الذي اغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت ارواحهم الى جهنم فالاجساد للغرق
والارواح للحرق وما الذي خسف بقارون وداره وماله واهله وما الذي
اهلك القرون من بعد نوح بانواع العقوبات ودمرها تدميرا وما الذي
اهلك قوم يونس بالصيحة ثم حمد واعاد اخرهم وما الذي بعث على بني اسرائيل
قوما اولي بلى شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال وسبوا الذرية
والنساء واحرقوا الديار ونهبوا الاموال ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فاهلكوا
ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرا وما الذي سلط عليهم انواع العقوبات
مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد ومرة بحول الملوك ومرة بمسخهم قردة
وخنازير واخر ذلك قسم الرب تبارك وتعالى ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من
يسومهم سوء العذاب **قال** الامام احمد **حدثنا** الوليد بن مسلم **حدثنا** صفوان
ابن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن ابيه قال لما فتحت قبرس فرق
بينا اهلها فبكى بعضهم الى بعض رايت ابا الدرداء جالسا وحده يبكي فقلت يا ابا
الدرداء ما يبكيك في يوم اعز الله فيه الاسلام واهله فقال ويحك يا جبير ما اهون

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحجة على الله اذا اضاعوا امر نبيها على امة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا امر الله
فصاروا الى ما ترى وقال علي بن الجعد ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت ابا البختري
يقول اخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم يهلك الناس حتى يعذروا
من انفسهم وفي مسند احمد من حديث ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا ظهرت المعاصي في امتي عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول
الله اما فيهم يومئذ اناس صالحون قال بلى قالت فكيف يصنع باولئك قال
يصيبهم ما اصاب الناس ثم يصيرون الى مغفرة من الله ورضوان وفي مراسيل الحسن
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله وفي كنفه مالم يمالوا قراءها
امراءها وعالم بزك صلحاءها فجارها وعالم يهن خيارها شرارها فاذا هم
فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم فسامومهم سوء العذاب
ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر المسند من حديث ثوبان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفيه ايضا عنه قال قال
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان تتداعى عليكم الامم من كل افق
كما تتداعى الاكلة على قصعتها قلنا يا رسول الله امن قلة بنا يومئذ قال انتم يومئذ
كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم
الوهن قالوا وما الوهن قال حب الحياة وكراهة الموت وفي المسند من حديث
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار
من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال
هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وفي جامع الترمذي
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في
اخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين ويلبسون للناس مسوك الضان
من اللين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل
ابي يغترون وعلي يجترؤن فبي حلفت لابعثن على اولئك منهم فتنة تدع
الحليم منهم حيرانا وذكر ابن ابي الدنيا من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن جده
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام

الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم
شر من تحت اديم السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود وذكر من حديث
سماك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن ابيه قال اذا ظهر الزنا و
الربا في قرية اذن الله عز وجل بهلاكها ومن مراسيل الحسن اذا اظهر الناس
العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الارحام
لعنهم الله عز وجل عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم وفي سنن ابن ماجه من حديث
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنت لما شر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال يا معشر
المهاجرين خمس خصال واعوذ بالله ان تدركوهن ما ظهرت الفاحشة في
قوم حتى اعلنوا بها الا ابتلوا بالطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم
الذين مضوا ولا نقص قوم المكيال والميزان الا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة
وجور السلطان وما منع قوم زكوة اموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم
لم يمطروا ولا خفر قوم العهد الا سلط عليهم عدوهم من غيرهم فاخذوا بعض ما
في ايديهم وما لم يعمل ائمتهم بما انزل الله عز وجل في كتابه الا جعل بأسهم بينهم
وفي المسند والسنن مما حديث عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن ابي عبيدة
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من كان قبلكم
كان اذا عمل فيهم العامل بالخطيئة جاءه الناهي تعذيرا فاذا كان الغد جالسه
وواكله وشاربه وكانه لم يره على خطيئة بالامس فلما راى الله عز وجل ذلك منهم
ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان بنيهم داود وعيسى ابن
مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفس محمد بيده لتامرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد السفيه ولتاطرنه على الحق اطرا او ليضربن
الله بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم وذكر ابن ابي الدنيا عن ابراهيم بن
عمرو الصنعاني قال اوحى الله الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا
من خيارهم وستين الفا من شرارهم قال اي رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار
قال انهم لم يغضبوا لغضبي يعني لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وكانوا يواكلونهم

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويثاربونهم وذكر ابو عمرو بن عبد البر عن ابي هريرة قال بعث الله عز وجل ملكين
الى قرية ان دمرها بمن فيها فوجد وا رجلا قائما يصلي في مسجد فقالا يارب
ان فيها عبدك فلانا يصلي قال الله عز وجل دمرها ودمر اه معهم فانه ما تمعر
وجهه في قط وذكر الحميدي عن سفيان بن عيينة قال حدثني سفيان بن سعيد
عن ابي مسعر ان ملكا امر ان يخسف بقرية فقال يارب ان فيها فلانا العابد فاوحى
الله عز وجل اليه ان به فابدا فانه لم يتمعر وجهه في ساعة قط وذكر ابو ابي
الدنيا عن وهب بن منبه قال لما اصاب داود الخطيئة قال يارب اغفر لي قال
قد غفرتها لك والزمت عارها بني اسرائيل قال يارب كيف وانت الحكم العدل
لا تظلم احدا فعلمت انما الخطيئة ولزم عارها غيري فاوحى الله عز وجل اليه انك
لما عملت الخطيئة لم يعجلوا عليك بالانكار وذكر ابن ابي الدنيا عن انس بن مالك
انه دخل على عائشة هو ورجل اخر فقال لها الرجل يا ام المؤمنين حدثينا
عن الزلزلة قالت اذا استباحوا الزنى وشربوا الخمر وضربوا بالمعازف
الله عز وجل في سمائه وقال للارض تزلزلي بهم فان تابوا وتزعوا
الاهدبها عليهم قال يا ام المؤمنين اعذابا لهم قالت بل موعظة ورحمة
للمؤمنين ونكالا وعذابا وسخطا على الكافرين فقال اني ما سمعت حديثا
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اشد فرحا به مني بهذا الحديث وذكر ابو ابي
الدنيا حدثنا موسى ان الارض تزلزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوضع يده عليها فقال لها اسكني فانك لم يأذن لك بعد ثم التفت الى
الصحابة فقال ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه ثم تزلزلت بالناس على عهد
عمر بن الخطاب فقال ايها الناس ما كانت هذه الزلزلة الا من شيء
احدثتموه والذي نفسي بيده لان عادت لا اساكنكم فيها ابدا وذكر ابو ابي الدنيا
عن مالك ان الارض بمنى تزلزلت على عهد عمر فضرب يده عليها وقال
مالك اما انها لو كانت القيمة حدثت اخبارها سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة فليس فيها ذراع ولا شبر الا وهو يتفط
وذكر الامام احمد عن صفية قالت زلزلت المدينة على عهد عمر فقال ايها

الناس

فكر وله تمعر الوجه وال الراهب الذي تغير من الغضب اه

الناس ما هذا ما اسرع ما احدثتم لان عادت لا اساكنكم فيها وقال
كعب انما تزلزل الارض اذا عمل فيها المعاصي فترعد فزعا من الرب جل جلاله
ان يطلع عليها وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار اما بعد فان هذا
الرجف شيء يعاتب الله عز وجل به عباده وقد كتبت الى الامصار ان يخرجوا
في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا فمن كان عنده شيء فليتصدق به فان
الله عز وجل يقول قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقولوا كما قال ادم
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقولوا كما
قال نوح والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وقولوا كما قال يونس لا
اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال الامام احمد حدثنا اسود
بن عامر حدثنا ابو بكر عن الاعمش عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عمر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس بالدرهم والدينار
وتبايعوا بالعينة واتبعوا اذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله انزل
الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم ورواه ابو داود باسناد
حسن وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر قال لقد رأيتنا وما احد
احق بدينار ودرهم من اخيه المسلم ولقد سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة
وتركوا الجهاد واخذوا اذناب البقر انزل الله عليهم من السماء بلاء فلا
يرفعه حتى يراجعوا دينهم وقال الحسن ان الفتنة والله ما هي الا القوة
من الله عز وجل على الناس ونظر بعض ابناء بني اسرائيل الى ما يصنع بهم
بخت نصر فقال لئن مكنت ايدينا سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا
وقال بخت نصر لدانيال ايها الذي سلطني على قومك قال عظم خطيئتي وظلم
قومي انفسهم وذكر ابن ابي الدنيا من حديث عمار بن ياسر وحذيفة عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا اراد بالعباد نقمة اصابت الاطفال
واعقم ارحام النساء فتنزل النقمة وليس فيهم مرحوم وذكر عن مالك بن دينار
قال قرأت في الحكمة يقول الله عز وجل انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

فمن اطاعني جعلتهم رحمة عليه ومن عصاني جعلتهم نقمة عليه فلا تشغلوا
انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم ومن مراسيل الحسن اذا اراد
الله بقوم خيرا جعل امرهم الى سفهائهم حكماهم وفيهم عند سمحائهم واذا
اراد الله بقوم شرا جعل امرهم الى سفهائهم وفيهم عند بخلائهم وذكر الامام
احمد وغيره عن قتادة قال موسى يارب انت في السماء وبخ في الارض فما علامة
غضبك علي رضاك قال اذا استعملت عليكم خياركم فهو مني علامة رضائي عليكم واذا
استعملت عليكم شراركم فهو مني علامة سخطي عليكم وذكر ابن ابي الدنيا عن الفضيل
ابن عياض قال اوحى الله الى بعض الانبيا اذا عصاني من يعرفني سلطت عليهم من لا
يعرفني وذكر ايضا من حديث ابن عمر يرفعه والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة
حتى يبعث الله امراء كذبة ووزراء فجرة واعوانا خونة وعرفاء ظلمة وقراصنة
سماهم سيما الرهبان وقلوبهم انتن من الجيف اهواهم مختلفة فيتيح الله لهم
فتنة غبراء مظلمة فيتهاوكون فيها وكون فيها والذي نفس محمد بيده ليبقض الاسلام عروة
عروة حتى لا يقال الله الله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن
الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم لتامرن
بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر
كبيركم وفي معجم الطبراني من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما طفف قوم كيلا او بخس وزنا الا اصغهم الله عز وجل الفقر
وما ظهر في قوم الزنا الا ظهر فيهم الموت وما ظهر في قوم الربا الا سلط الله عليهم العدو
ولا ظهر في قوم القتل الا قتل بعضهم بعضا الا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكم
في قوم عمل قوم لوط الا ظهر الله فيهم الخسف وما ترك قوم الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر الا لم يرفع اعمالهم ولم يسمع دعاؤهم ورواه ابن ابي الدنيا من حديث
ابراهيم بن الاشعث عن عبد الرحمن بن زيد عن ابيه عن سعيد وفي المسند
وغيره من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد حضرني الغضب فعرفت في وجهه ان قد حضره شيء فما تكلم حتى توضا وخرج
فلصقت بالحجرة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان الله عز وجل

يقول

النهي عن الشيء وفي النهاء
النهي عن الشيء كالنهي
الوقوع في الامر
بالاولوية اهـ

وذكر

وذكر

وذكر

وزنا

يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا فلا اجيبكم وتستنصروني
فلا انصركم وتسالوني فلا اعطيكم وقال العمري الزاهد ان من غفلتك عن نفسك
واعراضك عن الله ان ترى ما يسخط الله فتجاوزه ولا تامر فيه ولا تنهى عنه خوفا ممن
لا يملك ضرا ولا نفعا وقال من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة من المخلوق فيما
نزعت عنه الطاعة ولو امر ولده او بعض مواليه لاستخف بحقه وذكر الامام احمد في
مسنده من حديث قيس بن ابي حازم قال قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ايها الناس انكم
تتلون هذه الاية وانكم تضعونها على غير مواضعها يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه وفي لفظ اذا راوا المنكر فلم يغيروه اوشك
ان يعمهم الله بعقاب من عنده وذكر الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخفيت الخطيئة لم تضر الا صاحبها
واذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة وذكر الامام احمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يوشك القرى ان تخرب وهي عامرة قال اذا علا فجارها امراءها وساد القبيلة
منافقوها وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستظهر
شرار امتي على خيارها حتى يستخفا المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا اليوم
وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عباس يرفعه قال ياتي زمان يذوب قلب المؤمن
كما يذوب الملح في الماء قيل وهم ذلك يا رسول الله قال مما يرى من المنكر فلا يستطيع
تغييره وذكر الامام احمد من حديث جرير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يعمل
فيهم المعاصي هم اعز واكثر ممن يعمله لم يغيروه الا عمهم الله بعقاب وفي صحيح البخاري
عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء
بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار
برحاه فيجتمع عليه اهل النار فيقولون اي فلان ما شانك الست كنت تامرنا
عن المنكر وتنهانا بالمعروف قال كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم عن المنكر
واتيه وذكر الامام احمد عن مالك بن دينار قال كان جبريل احبار بني اسرائيل
يعني شرفة الرجال والنساء فيعظهم ويذكرهم بايام الله فراى بعض بنيه يوما

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

يغمز النساء فقال مهلا يا بني مهلا يا بني فسقط من سريره وانقطع نخاعه واسقطت
امرأته وقتل بنوه فاوحى الله الى نبيهم انا اخبر فلانا اني لا اخرج من صلبك صديقا
ابدا ما كان غضبك بي الا قلت مهلا يا بني مهلا يا بني وفي صحيح البخاري عن انس
ابن مالك قال انكم لتعملوا اعمالا هي ادق في انفسكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت
النار لا هي اطعمتها ولا سقتها ولا تركتها تاكل من خشاش الارض وفي الحلية لابي
نعيم عن حذيفة انه قيل له في يوم واحد تركت بنو اسرائيل دينهم قال لا
ولكنهم كانوا اذا امر وابشيء تركوه واذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من
دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه وفي هيهنا قال بعض السلف المعاصي بريد
الكفر كما ان القبلة بريد الجماع والغمز بريد الزنا والنظر بريد العشق و
المرض بريد الموت وفي الحلية ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يا صاحب
الذنب لا تامن سوء عاقبته ولا يتبع الذنب اعظم من الذنب اذا علمت قلة
حياءك مما على اليمين وعلى الشمال وانت على الذنب اعظم من الذنب وضحكك و
انت لا تدري ما الله صانع بك واعظم من الذنب وفرحك بالذنب اذا ظفرت به
وحزنك على الذنب اذا فاتك اعظم من الذنب وخوفك من الريح اذا حركت
ستر بابك وانت على الذنب ولا يضطرب فوادك من نظر الله اليك اعظم من
الذنب ويحك هل تدري ما كان ذنب ايوب فابتلاه الله بالبلا في جسده وذهاب
ماله استغاث بمسكين على ظالم يدرؤه عنه فلم يغثه ولم ينه الظالم عن ظلمه
فابتلاه الله بالبلا في جسده وقال الامام احمد حدثنا الوليد قال سمعت الاوزاعي
يقول سمعت بلال بن سعد يقول لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت
وقال الفضيل بن عياض بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله وبقدر
ما يعظم عندك يصغر عند الله وقيل اوحى الله الى موسى يا موسى ان اول ذنب
من خلق ابليس وذلك انه عصاني وانا اعد من عصاني من الاموات وفي المسند
وجامع الترمذي من حديث ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب و
نزع واقلع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى يعلو قلبه فذلك الران
الذي ذكره الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الترمذي
هذا حديث حسن صحيح وقال حذيفة اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة
سوداء حتى يصير قلبه كالشاة الربداء وقال الامام احمد حدثنا يعقوب بن
ابي صالح عن ابن شهاب حدثني عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما بعد يا معشر قريش فانكم
اهل هذا الامر ما لم تعصوا الله فاذا عصيتموه بعث عليكم من يلحاكم كما يلحى
هذا القضيب ليقضيب في يد احدكم فاذا هو ابيض يصلد وذكر الامام
احمد عن وهب ان الرب عز وجل قال في بعض ما يقول لبني اسرائيل اني
اذا اطعت رضيت واذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية واذا عصيت
غضبت واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ الولد السابع وذكر ايضا عن وكيع
حدثنا زكريا عن عامر قال كتبت عائشة الى معاوية رضي الله عنهما اما بعد فان العبد
اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاما وذكر ابو نعيم عن سالم بن ابي الجعد
عن ابي الدرداء قال ليحذر امرؤ ان تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر فتقول
مدريه ما هذا قلت لا قال ان العبد يخلو بمعاصي الله فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من
حيث لا يشعر وذكر عبد الله بن احمد في كتاب الزهد عن محمد بن سيرين
انه لما ركبه الدين اعتم لذلك فقال اني لاعرف هذا الغم بذنب اصبته منذ
اربعين سنة وهيهات نكتة دقيقة يغلط فيها الناسي في امر الذنب
وهي انهم لا يرون تاثيره في الحال وقد يتاخر تاثيره فينسى ويظن انه لا يغتر بعد
ذلك وانى الامر كما قال القائل اذا لم يغثر حائط في وقوعه فليس له بعد الوقوع غبار
وسبحان الله كم اهلكت هذه النكتة من الخلق وكم ازالت من نعمة وكم
جلبت من نقمة وما اكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء فضلا عن الجهال ولم
يعلم المغتر ان الذنب ينقض ولو بعد حين كما ينقض السم وكما ينقض الجرح
المندمل على الغش والدغل وقد ذكر الامام احمد عن ابي الدرداء اعبد والله كانكم

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

توبة وعد وا انفسكم مما في المرتى واعلموا ان قليلا يغنيكم خير مما كثير يلهيكم واعلموا ان البلاء يبلى وان الاثم لا ينسى **ونظر** بعض العباد الى صبي فتامل محاسنه فاتي في منامه وقيل له لتحدثن عنها بعد اربعين سنة هذا مع ان الذنب يعقب تعجلا لا يتاخر عنه **وقال** سليمان التيمي ان الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته **وقال** يحيى بن معاذ الرازي عجبت من ذي عقل يقول في دعائه اللهم لا تشمت بي الاعداء ثم هو يشمت بنفسه كل عدو وله فيل وكيف ذلك قال يعصي الله فيشمت به كل عدو وله يوم القيمة

فصل

قال ذو النون من خان الله في السر هتك الله سره في العلانية وللمعاصي من الاثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن والدنيا والاخرة ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور **ولما** جلس الشافعي بين يدي مالك رأى عليه مجيه ما رأى مما هو فطنة وتوقد ذكائه وكمال فهمه فقال في نفسه اني الله قد القى على قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية **وقال** الشافعي رحمه الله

٤ شكوت الى وكيع سوء حفظي ٤ فارشدني الى ترك المعاصي ٤

٤ وقال اعلم بان العلم نور ٤ ونور الله لا يوتى لعاصي ٤

ومنها حرمان الرزق بالذنب **وفي** المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد تقدم وكما ان تقوى الله مجلبة للرزق فترك التقوى مجلبة للفقر فما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصي **ومنها** وحشة يجدها العاصي بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة اصلا ولو احققت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة وهذا امر لا يحس به الا من قلبه في حياة وما يخرج بينه وبين ايلام فلو لم يترك الذنوب الا حذارا من تلك الوحشة لكان العاقل حريا بتركها واشتكى رجل الى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال اذا كنت قد اوحشتك الذنوب فدعها اذا شئت ولستا نفسي وليس على القلب اضر من وحشة الذنب على الذنب فالله المستعان **ومنها** الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس ولا سيما اهل الخير منهم فانه يجد وحشة بينه و

بينهم

بينهم وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع بهم وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فيقع بينه وبين امراته وولده واقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشا من نفسه **قال** بعض السلف اني لاعصي الله فارى ذلك في خلق دابتي وامراتي **ومنها** تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا وجده معقلا دونه و متعسرا عليه وهذا كما ان من اتقى الله جعل الله له من امره يسرا فمن عطل التقوى جعل له من امره عسرا وياله العجب كيف يجد العبد ابواب الخير والمصالح مسدودة عنه وطرقها معسرة عليه وهو لا يعلم من اين اتي **ومنها** ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره فان الطاعة نور و المعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع و الضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر كاعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده وتقوى هذه الظلمة حتى يظهر في العين ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه حتى يراه كل احد **قال** عبد الله بن عباس ان للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب **ومنها** ان المعاصي توهن القلب والبدن اما وهنها للقلب فامر ظاهر بل لا يزال يقال توهنه حتى تزيل حيويته بالكلية واما وهنها للبدن فان القوى من قوته من قلبه وكلما قوي قلبه بدنه واما الفاجر فانه وان كان قوي البدن فهو اضعف شيء عند الحاجة فتخونه قوته احوج ما يكون الى نفسه وتامل قوة ابدان فارس والروم كيف خانتهم احوج ما كانوا اليها وقهرهم اهل الايمان بقوة ابدانهم وقلوبهم **ومنها** حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب عقوبة الا انه يصد عن طاعة تكون له ويقطع طريق طاعة اخرى فينقطع عليه طريق ثلاثة ثم رابعة وهلم جرا فيقطع عليه طاعات كثيرة كل واحدة خير له من الدنيا وما عليها وهذا الرجل اكل الحلة او جيشه

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

مرضا طويلا مسغته من علل الآلات اطبت منها فاحه المستعان **ومنها** ان المعاصي تقصر
العمر ويمحق بركته ولابد فان البركة بين يدي العمر فالمحبوب يقصر العمر وقد اختلف
الناس في هذا الموضع فقالت طائفة تنقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره ومحقها
عليه وهذا صحيح وهو بعض تاثير المعاصي وقالت طائفة بل ينقصه حقيقة كما
ينقص الرزق فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق اسبابا تكثره وتزيده وللبركة في العمر اسبابا
تكثر وتزيده قالوا ولا يمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب قالوا الارزاق والاجال
والسعادة والشقاوة والصحة والمرض والغنى والفقر وان كانت بقضاء الرب عز وجل
وهو يقضي ما يشاء بالاسباب جعلها موجبة لمسبباتها مقتضية لها وقالت طائفة اخرى
تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بانه حقيقة لحيوة هو حياة القلب ولهذا جعل
الله سبحانه الكافر ميتا غير حي كما قال تعالى اموات غير احياء فالحياة في الحقيقة حيوة القلب
وعمر الانسان مدة حيوته فليس عمره الا وقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر
والتقوى والطاعة تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره والا عمر له سواها
وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقة
التي يجد غب اضاعتها يوم يقول يا ليتني قدمت لحيوتي فلا يخلو اما ان يكون له مع
ذلك تطلع الى مصالحه الدنيوية والاخروية والا فان لم يكن له تطلع الى ذلك فقد ضاع
عليه عمره وذهبت حيوته باطلا وان كان له تطلع الى ذلك طالت عليه الطريق بسبب
العوائق وتعسرت عليه اسباب الخيرات بسبب اشتغاله باضدادها وذلك نقصان
حقيقي وسر المسئلة ان عمر الانسان مدة حياته ولا حياة له الا باقباله على ربه بالتنعم
بحبه وذكره وايثار مرضاته **وصل** ومنها ان المعاصي تزرع امثالها ويولد
بعضها بعضا حتى يعسر على العبد مفارقتها والخروج منها كما قال بعض السلف ان من
عقوبة السيئة السيئة بعدها واوه من ثواب الحسنة الحسنة بعدها فان العبد
اذا عمل حسنة قالت اخرى الى جانبها اعملي ايضا فاذا عملتها قالت الثالثة كذلك وهلم
جرا فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات وكذلك جانب السيئات ايضا حتى تصير الطاعات
والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة فلو عطل المحسن الطاعات
لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الارض بما رحبت واحس من نفسه انه كالحوت

اذا فارق

اذا فارق الماحي يعاودها فتسكن نفسه وتقر عينه ولو عطل المجرم المعصية
واقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاق عليه صدره واعيت عليه مذاهبه
حتى يعاودها حتى ان كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ولا داعية
اليها الا انه يجد من الالم بمفارقتها كما صرح بذلك شيخ القوم الحسن بن هاني حيث يقول

كاس شربت على لذة ... وافزع تداويت منها بها ... وفلك الاخر

كما يداوي شارب الخمر بالخمر ... وكانت دائي وهي دائي بعينها ... ولا يزال العبد يعاني الطاعة
ويالفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عز وجل عليه الشياطين فتوزه اليها ازا فالاول
قوي جند الطاعة بالمدد فصار داعي الى البر اعوانه وهذا قوى جند المعصية بالمدد
وكانوا اعوانا عليه **فصل** ومنها وهو من اخوفها على العبد انها تضعف القلب عن
ارادة فتفوت ارادة المعصية وتضعف ارادة التوبة شيئا فشيئا الى ان تضمحل
من قلبه ارادة التوبة بالكلية فلو مات نصفه لما تاب الى الله فتابي من الاستغفار
وتوبة الكذابين بالسنتهم بشيء كثير وقلبه معقود بالمعصية مصر عليها عازم على
مواقعتها متى امكنته وهذا من اعظم الامراض واقربها الى الهلاك **فصل**
ومنها ان يسلب من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس
له ولا كلامهم فيه وهذا عند ارباب الفسوق هو غاية الهتك وتمام اللذة حتى
يفتخر احدهم بالمعصية ويحدث بها ما لم يعلم انه عملها فيقول يا فلان عملت كذا
وكذا وهذا الضرب من الناس لا يعافون وتسد عليهم طريق التوبة وتغلق عنهم ابوابها
في الغالب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل امتي معافا الا المجاهرون وان من الاجتهار
ان يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح نفسه ويقول يا فلان عملت يوم كذا وكذا
كذا وكذا فيهتك ستر نفسه وقد بات يستره ربه **ومنها** ان كل معصية من المعاصي فهي
ميراث عن امة من الامم التي اهلكها الله عز وجل فالوطية ميراث عن قوم لوط
واخذ الكيل بالمد ودفعه بالنقص ميراث عن قوم لوط شعيب والعثو في الارض
والفساد ميراث عن قوم فرعون والتكبر والتجبر ميراث عن قوم هود فالعاصي لبس
بعض ثياب هذه الامم وهم اعداء الله **وقد** روى عبد الله بن احمد في كتاب الزهد
لابيه عن مالك بن دينار قال اوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل قل لقومك لا يدخلوا

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

مداخل اعدائي ولا يطعموا مطاعم اعدائي ولا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يركبوا مراكب
اعدائي فيكونوا هم اعدائي كما هم اعدائي وفي مسند احمد من حديث عبد الله
ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله
وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من
خالف امري ومن تشبه بقوم فهو منهم **فصل** ومنها المعصية سبب هوان
العبد على ربه وسقوطه من عينه قال الحسن البصري هانوا على الله فعصوه ولو
عزوا عليه لعصمهم فاذا هان العبد على الله لم يكرمه احد كما قال الله تعالى ومن
يهن الله فما له من مكرم وان عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم اليهم او خوفا
من شرهم فهم في قلوبهم احقر شيء واهونه **ومنها** ان العبد لا يزال يرتكب الذنب
حتى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك فان الذنب كلما صغر في عين
العبد عظم عند الله **وقد** ذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال انه المؤمن
يرى ذنوبه كانها في اصل جبل يخاف ان تقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب
وقع على انفه فقال به هكذا فطار **فصل** ومنها ان يحرم من الناكل والدواب
يعود عليه شؤم ذنبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم **قال** ابو هريرة
ان الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم **وقال** مجاهد وان البهائم تلعن عصاة
بني ادم اذا اشتدت السنة وامسك المطر ويقول هذا بشؤم معصية بني ادم
وقال عكرمة دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا
القطر بذنوب بني ادم فلا يكفه عقاب ذنبه حتى يبوء بلعنة من لا ذنب له **ومنها**
ان المعصية تورث الذل ولا بد فان العز كل العز في طاعة الله تعالى قال الله تعالى من
كان يريد العزة فلله العزة جميعا اي فليطلبها بطاعة الله فانه لا يجدها الا في
طاعته وكان في دعاء بعض السلف اللهم اعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك
قال الحسن البصري انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين الا
ذل المعصية لا يفارق قلوبهم الى الله ان يذل الامة عصياه **وقال** عبد الله بن المبارك

٤ رايت الذنوب تميت القلوب ٤ وقد يورث الذل ادمانها ٤ وترك الذنوب حياة القلوب
٤ وخير لنفسك عصيانها ٤ وهل افسد الدين الا الملوك ٤ واحبار سوء ورهبانها

فصل

قال العقل نور

فصل ومنها ان المعاصي تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية
تطفئ نور العقل ولا بد اذا طفئ نوره ضعف ونقص وقال بعض السلف ما
عصى الله احد حتى يغيب عقله وهذا ظاهر فانه لو احضره عقله لحجزه عن
المعصية وهي في قبضة الرب تعالى وتحت قهره وهو مطلع عليه وفي دار وعلى
بساطه وملائكته شهود عليه ناظرون اليه وواعظ القرآن ينهاه وواعظ
الايمان ينهاه وواعظ الموت ينهاه وواعظ النار ينهاه والذي يفوته بالمعصية
من خير الدنيا والاخرة اضعاف اضعاف ما يحصل له من السرور واللذة فهل
يقدم على الاستهانة بذلك كله والانخلاع به ذو عقل سليم **فصل**
ومنها الذنوب اذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين
كما قال بعض السلف في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
قال هو الذنب بعد الذنب **وقال** الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب
وقال غيرهم لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم احاطت بقلوبهم واصل هذا
ان القلب يصدا من المعصية فاذا ازدادت عليه غلب الصدا حتى يصير
رانا ثم يغلب حتى يصير طبعا وقفلا وختما فيصير القلب في غشاوة وغلاف
فاذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار اعلاه اسفله فحينئذ
يتولاه عدوه ويسوقه حيث اراد وانى اعلم **فصل** ومنها ان الذنوب
تدخل العبد تحت لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لعن على معاصي
عيزها اكبر منها فهو اولا يدخل فاعلها تحت اللعنة فلعن الواشمة و
المستوشمة والواصلة والمستوصلة والناميصة والمتنمصة والواشرة
والمستوشرة ولعن اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ولعن المحلل
والمحلل له ولعن السارق ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها
وبايعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه ولعن من غير منار الارض
وهي اعلامها وحدودها ولعن من لعن والديه ولعن من اتخذ شيئا
فيه الروح غرضا يرميه بسهم ولعن من الحرير المخنثين من الرجال والمترجلات
من النساء ولعن من ذبح لغير الله ولعن من احدث حدثا او اوى محدثا ولعن

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

المصوريين ولعن من عمل عمل قوم لوط ولعن من سب اباه وامه وانضم اليما
عن الطريق ولعن من اتى بهيمة ولعن من وسم دابة في وجهها ولعن من ضار مسلما
او مكره ولعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ولعن من
افسد امراة على زوجها او مملوكا على سيده ولعن امن اتى امراة في دبرها او جارية
ان من اشار الى اخيه بحديدة فان الملئكة تلعنه ولعن من سب الصحابة وقد
لعن الله من افسد في الارض وقطع رحمه واذاه واذا رسوله ولعن من كتم
ما انزل الله سبحانه من البينات والهدى ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات
المؤمنات بالفاحشة ولعن من جعل سبيل الكافر هدى من سبيل المسلم ولعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل الذي يلبس لبس المراة والمراة التي تلبس لبس
الرجل ولعن الراشي والمرتشي والرائش وهو الواسطة في الرشوة ولعن عاملا
اشياء اخر غير هذه فلو لم يكن في فعل ذلك الا رضا فاعله بان يكون ممن يلعنه
الله ورسوله وملئكته كفاه في ذلك مايدعوا الى تركه **فصل** ومن اعظم ما
دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوة الملئكة فان الله سبحانه وتعالى امر نبيه ان
يستغفر للمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك
انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فهذا
دعاء الملئكة للمؤمنين التائبين المتبعين لكتابه وسنة رسوله الذين لا سبيل
لهم غيرهما فلا يطمع غيرهم اجابة الدعوة اذ لم يتصف بصفاة المدعو لهم
فصل ومن عقوبات المعاصي ما رواه البخاري في صحيحه من حديث
سمرة بن جندب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكثر ان يقول لاصحابه هل
راى احد منكم البارحة رويا فيقص عليه ما شاء الله وانه قال لنا ذات
غداة انه اتاني الليلة اتيان وانهما ابتعثاني وانهما قالا لي انطلق وانى انطلقت
معهما وانا اتينا على رجل مضطجع واذا اخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة

ن من باشت مهاجرة لفراش زوجها لعنتها
علا لكه حتى تصبح ولعن من انتسب لغير
يه واخبر صح

المؤمن

راسه فيثلغ راسه فيتدهده الحجر ههنا فيتبع الحجر فياخذه فلا يرجع اليه
حتى يصح راسه كما يكون ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الاولى قال
قلت لهما سبحان الله ما هذا قالا لي انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل مستلق لقفاه
واذا اخر قائم عليه بكلاب من حديد واذا هو ياتي احد شقي وجهه فيشرشر
شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه ثم يتحول الى الجانب الاخر فيفعل
به مثل ما فعل بالجانب الاول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان
ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذا ما هذا قالا
لي انطلق فانطلقنا فاتينا على مثل التنور واذا فيه لغط واصوات قال فاطلعنا
فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا هم ياتيهم لهب من اسفل منهم فاذا اتاهم ذلك
اللهب ضوضوا فقال قلت من هؤلاء فقالا لي انطلق قال فانطلقنا فاتينا على نهر
احمر مثل الدم فاذا في النهر رجل سابح يسبح واذا رجل على شط النهر قد جمع عنده
حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم ياتي ذلك الذي جمع عنده الحجارة
فيفغر فاه فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغر له فالقمه
حجرا قلت ما هذان قالا لي انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل كريه المنظر وكاكره
ما انت راءٍ رجلا منظرا واذا هو عند نار يحشها ويسعى حولها قال قلت لهما
ما هذا قالا لي انطلق فانطلقنا على روضة معتمة اي مظلم فيها من كل نور الربيع
واذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا اكاد ارا راسه طولا في السما واذا حول
الرجل من اكثر ولدان رايتهم قط قال قلت ما هذا ما هؤلاء قال قالا لي انطلق
انطلق فانطلقنا فاتينا على دوحة شجرة كبيرة عظيمة لم ار دوحة قط اعظم
منها ولا احسن قال قالا لي ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن
من ذهب ولبن من فضة قال فاتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها
فتلقانا رجال شطر خلقهم كاحسن ما انت راءٍ وشطر كاقبح ما انت راءٍ
قال قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك قال واذا نهر معترض يجري كان ماؤه المحض
في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك السوء عنهم قال
قلت ما هذا قال قالا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك قال فسما بصري صعدا فاذا

انطلق صح بكلوب

انطلق صح

انطلق

انطلق م

انطلق م

منهم صح

قصر مثل الربابة البيضا قال قالالي هذا منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما فذراني
فادخله قالا اما الان فلا وانت داخله قال قلت لهم فاني رايت منذ اليوم عجبا
فما هذا الذي رايت قال قالالي اما انا سنخبرك اما الرجل الاول الذي اتيت عليه
الذي يثلغ راسه بالحجر فانه الرجل ياخذ القران فيرفضه وينام عن الصلوة
المكتوبة اما الرجل الذي اتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه
وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الافاق
واما الرجال والنساء العراة الذي هم في مثل اثناء التنور فانهم الزناة
والزواني واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فانه
اكل الربى واما الرجل الكريه المنظر الذي عند النار يحشها ويسعى حولها
فانه مالك خازن النار واما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم واما
الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة وفي رواية البرقاني وكل
على الفطرة قال بعض المسلمين يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين واما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن و
شطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا تجاوز الله عنهم

فصل واما اثار الذنوب والمعاصي انها تحدث في الارض انواعا من الفساد
في المياه والهوى والزرع والثمار والمساكن قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر
بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قال مجاهد
اذا ولي الظالم سعى في الظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد ثم قرا ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس
ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ثم قال اما والله ما هو بحر كم
هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر وقال عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر
اما انا لا اقول لكم بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء وقال قتادة اما البر فاهل
العمد واما البحر فاهل القرى والريف قلت قد سمى الله تعالى الماء العذب بحرا
فقال تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج
وليس في العالم بحر حلو واقف وانما هي الانهار الجارية باسم تلك المياه الجارية

وقال ابن زيد

وقال ابن زيد ظهر الفساد في البر والبحر قال الذنوب قلت اراد ان الذنوب
سبب الفساد الذي ظهر واما اراد ان الفساد الذي ظهر هو الذنوب فعلى هذا
فيكون قوله ليذيقهم الم العاقبة والتعليل وعلى الاول فالمراد بالفساد
النقص والشر والالام التي يحدثها الله في الارض عند معاصي العباد فكلما احدثوا
ذنبا احدث الله لهم عقوبة كما قال بعض السلف كلما احدثتم ذنبا احدث
الله لكم عقوبة من سلطانه والظاهر والله اعلم ان الفساد المراد به الذنوب و
موجباتها ويدل عليه قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا فهذا حالنا وانما
اذاقنا البعض اليسير من اعمالنا فلو اذاقنا كل اعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة
ومن تاثير المعاصي لله في الارض ما يحل بها من الخسف والزلازل ومحق بركتها
وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود فمنعهم من دخول ديارهم
وشرب مياههم ومن الاستقاء من ابارهم حتى امران تعلف العجين الذي
عجن بمائهم الناضح لتاثير شوم المعصية في الماء وكذلك تاثير شوم الذنوب
في نقص الثمار وتمحق ما يحل به من الافات وقد ذكر الامام احمد في مسنده في ضمن
حديث قال وجد في خزائن بني امية حنطة الحبة بقدر نواة التمر وهي في
صرر مكتوب عليها هذا كان في زمن العدل وكثير من هذه الافات احدثها
الله سبحانه بما احدث العباد من الذنوب واخبرني جماعة من شيوخ
الصحراء انهم كانوا يعهدون الثمار اكبر مما هي الان وكثير من هذه الافات التي
تصيبها لم يكونوا يعرفونها وانما احدثت من قرب واما تاثير الذنوب في الصور
والخلق فقد روى الترمذي في جامعه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله ادم و
طوله في السماء ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص حتى الان وما يظهر الله سبحانه
الارض من الظلمة والفجور والخونة ويخرج عبادا من عباده من اهل بيت نبيه صلى
الله عليه وسلم فيملا الارض قسطا كما ملئت جورا ويقتل المسيح اليهود والنصارى
ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله ويخرج الارض بركتها ويعود كما كانت حتى
ان العصابة من الناس لياكلون الرمانة ويستظلون بقحفها ويكون العنقود
من العنب وقدر بعير ولبن اللقحة الواحدة يكفي القبيلة من الناس وهذا لان الارض

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

لما ظهرت من المعاصي حتى ظهر فيها اثار البركة من الله التي محقتها الذنوب والكفر
ولا ريب ان العقوبات التي انزلها الله في الارض بقيت اثارها سارية في
الارض يطلب ما يشاكلها من الذنوب التي هي اثار تلك الجرايم التي عذبت
بها الامم فهذه الاثار في الارض من اثار تلك العقوبات كما ان هذه المعاصي
من اثار تلك الجرائم فتناسبت حكمة الله الكوني اولا واخرا وكان العظيم من
العقوبة للعظيم من الجناية والاخف الاخف وهذا بحكم الله سبحانه بين خلقه
في دار البرزخ ودار الجزاء وتامل مقارنة الشيطان ومحله وفاره فانه لما
قارن العبد واستولا عليه نزعت البركة من عمره وعمله وقوله ورزقه ولما
اثرت طاعته في الارض ما اثرت نزعت البركة من كل محل ظهرت فيه طاعته
وكذلك مسكنه لما كان الجحيم لم يكن هناك شيء من الريح والرحمة والبركة

فصل ومن عقوبات الذنوب انها تطفئ من القلب نار الغيرة التي
هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن فالغيرة حرارة ونار
التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة كما يخرج الكير خبث الحديد
والفضة والذهب واشرف الناس واعلاهم قدرا وهمة اشدهم غيرة على
نفسه وخاصته وعموم الناس ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اغير الخلق على
الامة والله سبحانه اشد غيرة منه كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
اتعجبون من غيرة سعد لانا اغير منه والله اغير مني وفي الصحيح ايضا عنه
انه قال في خطبة الكسوف يا امة محمد ما احد اغير من الله ان يزني عبده
او تزني امته وفي الصحيح ايضا عنه انه قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله عز وجل
من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله
عز وجل من اجل ذلك اثنا على نفسه فجمع في هذا الحديث بين الغيرة التي
اصلها كراهة القبايح وبغضها ومحبة العذر المحمي الذي يوجب كمال العدل
والرحمة والاحسان والله سبحانه مع شدة غيرته يجب ان يعتذر اليه عباده
ويقبل عذر من اعتذر اليه وانه لا يواخذ عبيده بارتكاب ما يغار من

ارتكابه

ارتكابه حتى يعتذر اليهم ولاجل ذلك ارسل رسله وانزل كتبه اعذارا
وانذارا وهذا غاية المجد والاحسان ونهاية الكمال فان كثيرا ممن يشتد
غيرته مما المخلوقين ويتحمل شدة الغيرة على سرعة الايقاع والعقوبة
من غير اعتذار منه ومن غير قبول العذر ممن اعتذر اليه بل يكون له
في نفسي الامر عذرا ولا تدعه شدة الغيرة ان يقبل عذره وكثير ممن يقبل
المعاذير فيحمله على قبولها قلة الغيرة حتى يتوسع في طرق المعاذير ويرى
عذرا ما ليس بعذر حتى يعذر كثيرا منهم بالقدر وكل منهما غير ممدوح
على الاطلاق وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مما يغير ماكرها
الله ومنها ما يبغضها الله فاما التي يبغضها الله الغيرة في غير ريبة وذكر الحديث
وانما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر فيغار في محل الغيرة ويعذر في محل
العذر ومتى كان هكذا فانها الممدوح حقا ولما جمع سبحانه صفات
الكمال كلها كان حقا بالمدح من كل احد والابلغ احد ان يمدحه كما يثني
له بل هو كما مدح نفسه واثنى على نفسه فالعفو قد وافق من وافق
سبحانه صفة من صفاته ومن وافق الله سبحانه في صفة من صفاته فاوته
تلك الصفة اليه بزمامه فادخلته على ربه وادنته منه وقربته من رحمته
وصيرته محبوبا له فانه سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء كريم يحب الكرماء عليم
يحب العلماء قوي يحب المؤمن القوي وهو احب اليه من المؤمن الله
الضعيف جميل يحب اهل الجمال فاصل يحب الكمال وتر يحب اهل الوتر ولو
لم يكن في الذنوب والمعاصي الا انها توجب لصاحبها ضد هذه الصفات
وتمنعه من الاتصاف بها لكفاها عقوبة فان الخطرة تنقلب وسوسة والوسوسة
تصير ارادة والارادة تقوى فتصير عزيمة ثم تصير فعلا ثم تصير صفة لازمة
وهيئة ثابتة راسخة وحينئذ يتعذر الخروج منها كما يتعذر عليه الخروج
من صفاته القديمة بل المقصود انه كلما اشتدت مطالب الذنوب اخرجت
من القلب الغيرة على نفسه واهله وعموم الناس وقد تضعف في القلب
جدا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره ولذا وصل الهذا

ملابست

الحد فقد دخل في باب الهلاك فكيف من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح
بل يحسن الفواحش والظلم للغير ويزينه له ويدعو اليه ويحثه عليه
ويسعى له في تحصيله وهذا كان الديوث اخبث خلق الله والجنة
حرام عليه وكذلك محل الظلم والبغي للغير ويزينه فانظر ما الذي حملت عليه
قلة الغيرة وهذا يدلك على ان اصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له فالغيرة
تحمي القلب فتحميها الجوارح فتدفع السوء والفواحش وعدم الغيرة تميت
القلب فتموت الجوارح فلا يبقى عندها دافع للسوء ومثل الغيرة في القلب
مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه فاذا ذهبت القوة وجد الداء محلا
قابلا ولم يجد دافعا فتمكن فكان الهلاك ومثلها مثل صياصي الجاموس التي
يدفع بها عن نفسه وولده فاذا كسرت طمع فيه عدوه **فصل** ومن
عقوباتها ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب وهو اصل كل خير
وذهابه ذهاب الخير اجمعه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحياء
خير كله وقال مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع
ما شئت وفيه تفسيران احدهما انه على التهديد والوعيد والمعنى من لم يستح
فانه يصنع ما يشاء من القبائح اذا حمله على تركها الحياء فاذا لم يكن هناك
حياء يزعه عن القبائح فانه يواقعها وهذا تفسير ابي عبيد **الثاني** اذا الفعل
اذا لم تستحي فيه من الله فافعله وانما الذي ينبغي تركه ما يستحيي فيه من الله وهذا
تفسير للامام احمد في رواية ابن هاني فعلى الاول يكون تهديدا كقوله اعملوا
ما شئتم وعلى الثاني يكون اذنا واباحة فان قيل فهل من سبيل الى حمله على المعنيين
قلت لا ولا على قول من يحمل المشترك على جميع معانيه لما بين الاباحة والتهديد
من المنافاة ولكن اعتبار احد المعنيين يوجب اعتبار الاخر والمقصود ان الذنوب
تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية حتى انه ربما لا يبالي ان يعلم الناس
بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبيح ما يفعله والحامل له
على ذلك انسلاخه من الحياء واذا وصل العبد الى هذه الحالة لم يبق في اصلاحه مطمع
واذا راى ابليس طلعة وجهه حياء وقال قد تبت مما لا يفلح والحياء مشتق من الحياة و

والغيث يسمى حيا بالقصر لان به حيوة الارض والنبات والدواب وكذلك الحيا،
حياة الدنيا والاخرة فمن لا حيوء فيه ميت في الدنيا شقي في الاخرة وبين الذنوب
وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطريقين وكل منهما يستدعي الاخر ويطلبه
حثيثا ومن استحى من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته يوم يلقاه ومن
لم يستحي من معصيته لم يستحي الله من عقوبته **فصل** ومن عقوبات الذنوب
انها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله ويضعف وقاره في قلب العبد
والبتة شاء ام ابى ولو تمكن وقاره وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معصيته
مرة واحدة وقال انما يحملك على المعاصي حسن الرجاء وطمعك في عفو الله ضعف
عظمته في قلبك وهذا من مغالطة النفس فان عظمة الله وجلاله في قلب العبد
وتعظيم حرماته تحول بينه وبين الذنوب فالمجترئون على المعاصي ما قدروا الله حق
قدره وكيف قدر حق قدره او يعظمه او يكبره ويرجو وقاره وجملة من يهون
عليه امره ونهيه وهذا من المحال المحال وبين انما طل وكفى بالمعاصي عقوبة ان
يضمحل في قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته ويهون عليه ومن عقوبة بعض عقوبة
هذا ان يرفع الله عز وجل مهابته من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفون به
كما هان عليه امر والتحف به فعلى قدر محبة العبد لله يحببه الناس وعلى قدر
خوفه من الله يخافه الخلق وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يعظم الناس من حرماته
وكيف ينتهك عبد حرمات الله ويطمع ان لا ينتهك الناس حرماته ام كيف يهون
عليه حق الله ولا يهونه الله على الناس ام كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به
الخلق وقد اشار سبحانه الى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب وانه اركس
اهلها بما كسبوا وغطى على قلوبهم وطبع عليها بذنوبهم وانه نسيهم كما نسوه
واهانهم كما اهانوا دينه وضيعهم كما ضيعوا امره ولهذا قال تعالى في آية سجود
المخلوقات له ومن يهن الله فما له من مكرم فانهم لما هانوا عليهم السجود له و
لم يخافوا به ولم يعظموا اهانهم فلم يكن لهم من مكرم بعد ان اهانهم ومن ذا
يكرم من اهانه الله او يهين من اكرمه الله **فصل** ومن عقوبتها انها
تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه وهناك

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فامر بتقواه ونهى ان يتشبه عباده المؤمنون بمن تشبه بترك تقواه واخبر انه عاقب من ترك التقوى بان انساه نفسه اي انساه مصالحها وما ينجيها من عذابه وما يوجب له الحياة الابدية وكمالها وسرورها ونعيمها فانساه ذلك كله جزاء بما نسيه من عظمته وخوفه والقيام فيما يحب العاصي بحمله لمصالح نفسه مضيعا لها قد اغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا قد فرط في عليه مصالح دنياه واخرته وقد فرط في سعادته الابدية واستبدل بها ادنى ما يكون من لذة ٤ انما هي سحابة صيف او خيال طيف ٤ احلام نوم او كظل زائل ٤ ان اللبيب بمثلها لا يخدع ٤ واعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه واهماله لها واضاعة حظها ونصيبها من الله وبعدها ذلك بالغين والهوان واجل الثمن فضيع مما لا غنا له عنه ولا عوض له منه وستبدل به مما عنه كل الغنى عنه كل الفقر ٤ مما كل شيء اذا ضيعته عوض ٤ وما مما الله اذا ضيعته عوض ٤ فانه سبحانه يعوض عن كل شيء ما سواه ولا يعوض منه شيء ويغني عن كل شيء ولا يغني عنه شيء ويمنع من كل شيء ولا يمنع منه شيء ويجير من كل شيء ولا يجير منه شيء فكيف يستغني العبد عن طاعة من هذا شانه طرفة عين وكيف ينسى ذكره ويضيع امره حتى ينسيه نفسه فيخسرها ويظلمها اعظم الظلم فما ظلم العبد ربه ولكن ظلم نفسه وما ظلمه ربه ولكن هو الذي ظلم نفسه **فصل** ومن عقوباتها انها تخرج العبد من دائرة الاحسان وتمنعه ثواب المحسنين فان الاحسان اذا باشر القلب منعه من المعاصي فان مع عبد الله كانه يراه ولم يكن ذلك الا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه بحيث يصير كانه يشاهده وذلك يحول بينه وبين ارادة ما يعلم انه يسخط ربه فضلا عن مواقعتها فاذا خرج من دائرة الاحسان فاتته صحبة ربه ومعيته الخاصة وعيشهم الهنيء ونعيمهم التام فان اراد الله به خيرا اقره في دائرة عموم المؤمنين فان عصاه بالمعاصي التي تخرجه من دائرة عموم الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع اليه فيها الناس ابصارهم حتى ينتهبها وهو مؤمن فاياكم اياكم والتوبة مفروضة بعد كل ذنب من دائرة الايمان وفاتة رفقة المؤمنين وحسن دفاع الله عنهم فاما ان يدفع عن الذين امنوا وفاتة كل خير ربنا الله في كتابه على الايمان وهو كما تاه خصلة كل خصلة منها خير من الدنيا وما فيها مثلها الاجر العظيم وسوف يوتى الله المؤمنين اجرا عظيما ومنها الدفع عنهم شرور الدنيا والاخرة ان الله يدافع عن الذين امنوا ومنها استغفار حملة العرش لهم الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ومنها موالاة الله لهم ولا يتولى من والاه الله قال الله عز وجل الله ولي الذين امنوا ومنها امره ملئكته بتبشيرهم اذ يوحي ربك الى الملئكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا ومنها انالهم الدرجات العلى عند ربهم والمغفرة والرزق الكريم ومنها العزة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومنها معية الله لاهل الايمان وان الله مع المؤمنين ومنها الرفعة في الدنيا والاخرة برفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومنها اعطاؤهم كفلين من رحمته واعطاؤهم نورا يمشون به ومغفرة ذنوبهم ومنها الود الذي يجعله الله لهم وهو انه يحبهم ويحببونه ويحببهم الى ملئكته وانبيائه وعباده الصالحين ومنها امانهم من الخوف يوم يشتد الخوف فمن امن وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومنها النعم المنعم عليهم الذي امرنا ان نسأله ان اهدنا الصراط المستقيم في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة ومنها ان القرآن انما هو هدى لهم وشفاء لما في الصدور هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى واولئك ينادون من مكان بعيد والمقصود ان الايمان سبب لجالب كل خير وكل خير في الدنيا والاخرة فسببه الايمان وكل شر في الدنيا والاخرة فسببه عدم الايمان فكيف يهون على العبد ان يرتكب شيئا يخرجه من دائرة الايمان ويحول بينه وبينه ولكن لا يخرج من دائرة عموم المسلمين فان استمر على الذنوب واصر عليها خيف عليه ان يزين على قلبه فيخرجه عن الاسلام بالكلية وها هنا اشتد خوف

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

خوف السلف كما قال بعضهم انتم تخافون الذنوب وانا اخاف الكفر **فصل** ومن عقوباتها انها تضعف سير القلب الى الله تعالى والدار الاخرة او تقوفه او توقفه وتقطعه عن السير فلا تدعه يخطو الى الله تعالى خطوة هذا اذا لم ترده من وجهه الى وراء فان الذنب يحجب الواصل ويقطع السائر وينكس القلب والقلب انما يسير الى الله بقوته فاذا مرض بالذنب ضعفت تلك القوة التي تسير فان زالت بالكلية انقطع عن الله فما يبعد تاركه والله المستعان فالذنب اما يميت القلب او يمرضه مخوفا او يضعف قوته ولابد حتى ينتهي ضعفه الى الاشياء الثمانية التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم وهي الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال وكل اثنين منها قرينان فالهم والحزن قرينان فان المكروه الوارد على القلب ان كان من امر مستقبل يوقع الهم وان كان من امر ماض فقد وقع احدث الحزن والعجز والكسل قرينان فان تخلف العبد عن اسباب الخير والفلاح ان كان لعدم قدرته فهو العجز وان كان لعدم ارادته فهو الكسل والجبن والبخل قرينان فان عدم الدفع منه ان كان ببدنه فهو الجبن وان كان بماله فهو البخل وضلع الدين وقهر الرجال قرينان فان استعلا الغير عليه ان كان بحق فهو من ضلع الدين وان كان بباطل فهو من قهر الرجال والمقصود ان الذنوب من اقوى الاسباب الحالة لهذه الثمانية كما انها من اقوى الاسباب الجالبة لجهد البلاء ودرك الشقاوة وسوء القضاء وشماتة الاعداء ومن اقوى الاسباب الجالبة لمن والنعم الله وتحول عافيته وفجاءة نقمته وجميع سخطه **فصل** ومن عقوبات الذنوب انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب كما قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ما نزل بلاء الا بذنب ولا رفع بلاء الا بتوبة وقد قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم واخبر تعالى انه لا يغير نعمة انعمها على احد حتى يكون هو الذي يغيرها بنفسه فيغير طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره واسباب رضاه باسباب سخطه فاذا غير غير عليه جزاء وفاقا

ربك بظلام للعبيد فان عفو عن المعصية بالطاعة عزل الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وفي بعض الآثار الالهية عن الرب تبارك وتعالى انه قال وعزتي وجلالي لا اكون عبدي من عبيدي على ما احب ثم ينتقل عنه الى ما اكره الا انتقلت له مما يحب الى ما يكره ولا اكون عبدي من عبيدي على ما اكره ثم ينتقل عنه الى ما احب الا انتقلت له مما يكره الى ما يحب وقد احسن القائل حيث يقول

اذا كنت في نعمة فارعها ... فان المعاصي تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد ... فرب العباد سريع النقم
واياك والظلم مهما استطعت ... فظلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك يمم الورى ... لتبصر اثار من قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم ... شهود عليهم ولا تتهم
وما كان ربك ليهلكهم اظ ... من الظلم وهو الذي قد قضم
فكم تركوا من جنان لهم ... وقصور واحرى عليهم اطم
صلوا بالجحيم وفات النعيم ... وكان الذي ناهم كالحلم

فصل ومن عقوباتها ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي فلا تراه الا خائفا هاربا فان الطاعة حصن الله الاعظم الذي من دخله كان من الامنين من عقوبة الدنيا والاخرة ومن هرب عنه احاطت به المخاوف من كل جانب فمن اطاع الله انقلبت المخاوف في حقه امانا ومن عصاه انقلب امنه مخاوف فلا يجد العاصي الا وقلبه كانه بين جناحي طائر ان حركت الريح الباب قال جاء الطلب واذا سمع وقع قدم خاف ان يكون نذيرا بالعطب يحسب كل صيحة عليه وكل مكروه قاصدا اليه فمن خاف الله امن من كل شيء ومن لم يخف الله اخافه الله من كل شيء

بذا قضى الله بين الناس منذ خلقوا ... ان المخاوف والاجرام في قرن

ومن عقوباتها انها توقع الوحشة العظيمة في القلب فيجد المذنب نفسه مستوحشة قد وقعت الوحشة بينه وبين ربه وبينه وبين الخلق وبينه وبين نفسه

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة واعز العيش عيش المستوحشين الخائفين
واطيب العيش عيش المستانسين فلو نظر العاقل ووازن بين لذة المعصية
وما توقعه مما لخوف والوحشة لعلم سوء حاله وعظم غبنه اذ باع انسه
الطاعة وامنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه من الخوف شعر
٤ فان كنت قد وحشتك الذنوب ٤ فدعها فانا شئت واستانسي
وسر المسئلة ان الطاعة توجب القرب من الرب وكلما اشتد القرب من الرب
قوى الانس والمعصية توجب البعد من الرب وكلما زاد البعد من الرب قوى
الوحشة ولهذا يجد العبد وحشة بينه وبين عدو المبعد الذي بينهما
فان كان ملابسا قريبا منه وجد انسا وقربا بينه وبين ما يحب وان كان بعيدا
عنه والوحشة سببها الحجاب وكلما غلظ الحجاب زادت الوحشة فالغفلة
توجب الوحشة واشد منها وحشة المعصية واشد منهما وحشة الشرك
والكفر ولا يجد احد بلا بد شيئا من ذلك ويعلو الوحشة بحسب ملابسته منه
فصل
فمعلو الوحشة وجهه وقلبه فيستوحش ويستوحش منه
وهي عقوبة بها اتلف القلب عن صحته واستقامته الى مرضه وانحرافه
فلا يزال مريضا معلولا لا ينتفع بالاغذية التي بها حياته وصلاحه فان تاثير
الذنوب في القلوب كتاثير الامراض في الابدان بل الذنوب امراض القلوب
ودولها ولا دواء لها الا تركها وقد اجمع السائرون الى الله ان القلوب لا تعطاها
حتى تفصل الى مولاها والتصل الى مولاها حتى يكون صحيحة سليمة حتى ينقلب
دولها فيصير بفنى دواها ولا يصح لها ذلك الا بمخالفة هواها فهو لها امرضها
وشفاؤها مخالفته فاذا استحكم المرض قتل او كاد وكما ان من نهى نفسه عن
الهوى كما نت الجنة ماواه كذلك يكون قلبه في هذه الدار جنة عاجلة لا يشبه نعيم
اهلها نعيمه البتة بل التفاوت الذي بين النعيمين كالتفاوت الذي بين
نعيم الدنيا والاخرة وهذا الامر لا يصدق به الا من باشر قلبه هذا ولا يحسب ان
قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم مقصور على نعيم الاخرة وجحيمها
فقط بل في دورهم الثلاثة هم كذلك اعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار
مهولا

فهولاء في نعيم وهولاء في جحيم وهل النعيم الا نعيم القلب وهل العذاب الا عذاب
القلب واي عذاب اشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر واعراضه عما الله
والدار الاخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبة وكل شعبة
تعلق به واحبه من دون الله فانه يسومه سوء العذاب فكل من احب شيئا غير الله
عذب به ثلاث مرات في هذه الدار فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فاذا حصل
عذب به حال حصوله بالخوف من سلبه وفواته والتنغيص والتنكيد عليه وانواع
العارضات فاذا سلبه اشتد عذابه عليه وهذه ثلثة انواع من العذاب في هذه
الدار واما في البرزخ فعذاب يقارنه الم الفراق الذي لا يرجا عوده والم الفوات
ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده والم الحجاب عن الله والم الحسرة التي
تقطع الاكباد والهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم نظير ما يعمل الهوام
والديدان في اجسامهم في الدنيا فالنفوس دائما مستريحة حتى يردها الله الى اجسادها فحينئذ تنقل
العذاب الى انواع هو ادهى وامر فاذا هذا من نعيم من يرقى قلبه طربا وفرحا
وانسا بربه واشتياقا اليه وارتياحا بحكمه وعلمه بسنته تذكره حتى يقول بعضهم
في حال نزعه واطرابه ويقول الاخر ان كان اهل الجنة في مثل هذا الحال انهم لفي عيش
طيب ويقول الاخر مساكين اهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا اطيب ما في العيش فيها
وما ذاقوا اطيب ما فيها ويقول الاخر لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه
لجالدونا عليه بالسيوف ويقول الاخر ان في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل
جنة الاخرة فيا من باع حظه العالي بحس الثمن وغبن كل الغبن في هذا العقد
وهو يرى ان قد غبن اذا لم يكن له حزم بقيمة السلع فسئل المقومين فيما
مجيا من بضاعة تعلك احد مشتريها وثمنها جنة المأوى والسعير الذي جزا
على ابرم عقد التبايع وضمن الثمن على المشتري هو الرسول وقد بعتها بغاية الهوان
٤ اذ كان هذا فعل عبد بنفسه ٤ فمن ذا له من بعد ذلك يكرم ٤
وبيد الله تعالى مكرم ان الله يفعل ما يشا فصل وهي عقوبة بها
ايضا يعمى بصيرة القلب ويطمس نوره ويسد طرق العلم ويحجب مراة الهداية وقد
قال مالك للشافعي لما اجتمع به ورأى تلك المخايل اني ارى الله قد القى في قلبك نورا

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا تطفيه بظلمة المعصية ولا يزاله هذا النور يضعف ويضمحل وظلام
المعصية يقوى حتى يصير القلب مثل الليل البهيم فكم من مهلك يسقط
فيه وهو لا يبصره كما عمى خريت الليل في طريق ذات مهالك ومعاطب فيا عمرة
السلامة ويا سرعة العطب ثم تقوا تلك الظلمات ويفيض من القلب الى الجوارح
فتغشى الوجه منها سواد بحسب قوتها وتزايدها فاذا كانت عند الموت
ظهرت في البرزخ فامثلا القلب القبر ظلمة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه
القبور ممتلئة على اهلها ظلمة فان الله منورها بصلاتي عليهم فاذا كان يوم
المعاد وحشر الاجساد علت الظلمة الوجه علوا ظاهرا يراه كل احد حتى يصير
الوجه اسود مثل القتمة فيالها عقوبة للتوازن لذات الدنيا باجمعها من
اولها الى اخرها فكيف ببعض العبد المنغص المنكد المتعب فذنبي انما هو ساعة
من حلم واله المستعان **فصل** ومن عقوباتها انها تصغر النفس وتحقرها
وتدسيها وتحقرها حتى تصير اصغر كل شيء واحقره كما ان الطاعة تنميها وتزكيها
وتكبرها قال الله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها والمعنى قد افلح من كبرها
واعلاها بطاعة الله واظهرها وقد خسر من اخفاها وحقرها وصغرها بمعصية
الله واصل التدسية الاخفاء **ومنه** قوله تعالى يدسه في التراب والعاصي يدسي
نفسه في المعصية ويخفي مكانها يتوارى من الخلق من سوء ما يأتي به وقد
انفع عند نفسه وانفع عند الله وانفع عند الخلق فالطاعة والبر تكبر النفس
وتعزها وتعليها حتى تصير اشرف شيء واكبره وازكاه واعلاه ومع ذلك
فهو اذل شيء واحقره واصغره لله وبهذا الذل حصل لها هذا الشرف والنمو
والعز فاصغر النفوس مثل معصية الله وما كبرها وشرفها وعزها مثل طاعة
الله **فصل** ومن عقوباتها ان العاصي دائما في اسر الشيطان وسجن
شهواته وقيود هواه فهو اسير مسجون مقيد ولا اسير اسوء حالا من اسير
اسره اعداءه وله ولا سجن اضيق من سجن الهوى ولا قيد اصعب من
قيد الشهوة فكيف بسير الى الله والدار الاخرة قلب هذا سوره مسجون مقيد
وكيف يخطو خطوة واحدة اذا تقيد طريقه الالفات من كل جانب بحسب قيوده

ومثل القلب مثل الطائر كلما علا بعد عن الافات وكلما نزل احتوشته
الافات وفي الحديث الشيطان ذيب الانسان وكما ان الشاة التي لا حافظ
لها وهي بين الذياب سريعة العطب فكذا العبد اذا لم يكن عليه حافظ من
الله فذيبه مفترسة ولابد وانما يكون عليه حافظا من الله بالتقوى فهي
وقاية وجنة حصينة بينه وبين ذيبه كما هي وقاية بينه وبين عقوبة
الدنيا والاخرة وكلما كانت الشاة اقرب الى الراعي فكانت اسلم من الذيب وكلما
بعدت عن الراعي كانت اقرب الى الهلاك فاعلم ما تكون الشاة اذا قربت من
الراعي وانما ياخذ الذيب القاصية من الغنم وهي البعيدة من الراعي واصل هذا
كله ان القلب كلما كان ابعد من الله كانت الافات اليه اسرع وكلما قرب
من الله بعدت عنه الافات والبعد من الله مراتب بعضها اشد من بعض
فالغفلة بعد العبد من الله والمعصية اعظم من بعد الغفلة وبعد البدعة
اعظم من بعد المعصية وبعد النفاق والشرك اعظم من ذلك كله **فصل**
ومن عقوباتها سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه فان
اكرم الخلق عند الله اتقاهم واقربهم منه منزلة واعلوهم له وعلى قدر طاعة
العبد له تكون منزلته فاذا عصاه وخالف امره سقط من عينه فاسقطه
من قلوب عباده ولو لم يبق له جاه عند الخلق وهان عليهم عاملوه على
حسب ذلك فعاشى بينهم اسوء عيش خامل الذكر ساقط القدر يزدري
الكل لا حرمة له ولا قدر له ولا سرور فان حصول الذكر وسقوط القدر
والجاه معه كل غم وهم وحزن ولا سرور معه ولا فرح فاين هذا اللئم من لذة
المعصية لو لا سكر الشهوة ومن اعظم نعم الله على العبد ان يرفع له بين العالمين
ذكرا ويعلي قدره ولهذا خص انبياءه ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم كما قال
تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا
اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اي خصصناهم بخصيصة وهو الذكر الجميل
الذي يذكرون به في هذه الدار وهو لسان الصدق الذي سأله ابراهيم
الخليل حيث قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقال سبحانه عنه وعن بنيه

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقال لنبيه ورفعنا لك
ذكرك فاتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم وحبابهم
وكل من خالفهم فانه من ذلك بحسب حرمانهم من طاعتهم ومحبتهم بحسب مخالفتهم
ومعصيتهم **فصل** ومن عفوها انها تسلب صاحبها اسماء المدح والثناء
وتكسوه اسماء الذم والصغار فتسلبه اسم المؤمن والبر والمحسن والمتقي
والمطيع والمنيب والولي والورع والمصلح والعابد والخائف والاواب
والطيب والمرضي ونحوها وتكسوه اسم الفاجر والعاصي والمخالف
والمسيء والمفسد والخبيث والسخوه والزاني والسارق والقاتل و
الكاذب والخائن والمؤثم وقاطع الرحم والغادر وامثالها فهذه اسماء
الفسوق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان الذي يوجب غضب
الديان ودخول النار وعيش الخزي والهوان وتلك الاسماء توجب
رضى الرحمن ودخول الجنان وتوجب شرف الاسم بها على سائر نوع الانسان
فلو لم يكن في عقوبة المعصية الا استحقاق تلك الاسماء وموجباتها
لكان في العقل ناه عنها ولو لم يكن في ثواب الطاعة الا الفوز بتلك الاسماء
وموجباتها لكان في العقل امر بها ولكن لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع
ولا مقرب لمن باعد ولا مبعد لمن قرب ومن يهن الله فما له من مكرم ان
الله يفعل ما يشاء **فصل** ومن عقوباتها انها تؤثر بالخاصة في نقصان
العقل فلا تجد عاقلين احدهما مطيع لله تحت والآخر عاص الا وعقل
المطيع منهما أوفر وأكمل وفكره اصح ورأيه اسدد وصوابه أرشد
ولهذا تجد خطاب القرآن انما هو مع اولي الالباب والعقول كقوله تعالى
فاتقون يا اولي الالباب وقوله فاتقوا الله يا اولي الالباب والعقول كقوله تعالى
وما يذكر الا اولوا الالباب ونظائر ذلك كثيرة وكيف يكون عاقلا وافر العقل من
هو في قبضته وفي دار وهو يعلم انه يراه ويشاهد
فيعصيه وهو يعينه غير متوار عنه ويستعين بنعمته على مساخطه
ويستدعي كل وقت غضبه له ولعنته له وابعاده من قربه وطرده مما يحبه

واعراضه عنه

واعراضه عنه وخذلانه والتخلية بينه وبين نفسه وعدوه وسقوطه
من عينه وحرمانه روح رضاه وجنته وقرة العين بقربه والفوز بجواره
والنظر الى وجهه في زمرة اوليائه الى اضعاف ذلك من كرامات اهل الطاعة واضعاف
اضعاف ذلك من عقوبة المعصية فاي عقل لمن اثر لذة ساعة او يوم او دون
ثم ينقضي كانها حلم لم تكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم بل هو سعادة
الدنيا والآخرة ولولا العقل الذي تقوم به عليه الحجة كان بمنزلة المجانين
بل قد يكون المجانين احسن حالا منه واسلم عاقبة فهذا من هذا الوجه **واما** ثانيها
في نقصان العقل المعيشي فلولا الاشتراك في هذه النقصان لظهر لطيعنا نقصان
عقل عاصينا ولولا الحاجة عامة والكون فنون وبالجملة لو صحت العقول العالمة
ان طريق تحصيل اللذة والفرحة والسرور وطيب العيش انما هو في رضا من النعيم
كله في رضاه والالم والعذاب كله في سخطه وغضبه ففي رضاه قرة العيون وسرور
النفوس وحياة القلوب ولذة الارواح وطيب الحياة ولذة العيش واطيب النعيم
بالجملة منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا بل لا نسبة بينه بل لا تحصل للطالب من ذلك اليسير
نصيب لم يرض بالدنيا وما فيها عوضا منه ومع هذا فهو بنعيم بنصيبه من
الدنيا اعظم من تنعم المترفين فيها ولا يشوب تنعمه بذلك لحظ اليسير ما يشوب
تنعم المترفين من الهموم والغموم والاحزان والمعارضات بل قد حصل من النعيمين
وهو ينتظر نعيما اخر هو اعظم منهما وما يحصل له في خلال ذلك من الالام فالامر
كما قال الله تعالى ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون
فلا اله الا الله ما انفق عقل من باع الدرة بالبعر والمسك بالرجيع ومرافقة
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بمرافقة
الذين غضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا **فصل و**
ومن عقوباتها انها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى واذا وقعت
القطيعة انقطعت عنه اسباب الخير واتصلت به اسباب الشر فاي فلاح واي زجاج
واي عيش لمن انقطع عنه اسباب الخير وقطع ما بينه وبين وليه ومولاه الذي
لا بد منه ولا غناء له عنه طرفة عين ولا بد له منه والعجب لمن له عقل واتصلت به

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا تجد اقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله وما محقت البركة
من الارض الا بمعاصي الخلق قال الله تعالى فلو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم
ماء غدقا وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي الحديث اذا روح
القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله و
اجملوا في الطلب فانه لا ينال ما عند الله الا بطاعته وان الله جعل الروح والفرح
في الرضى واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وقد تقدم الاثر
الذي ذكرته احمد في كتاب الزهد انا لنجد ان ارضا بركت وليس بركتها
انبتته واذا غضبت لعنت ولعنها تبلغ السابع من الولد وليست سعة
الرزق والعمر بكثرة والاطول العمر بكثرة الشهور والاعوام ولكن سعة الرزق
والعمر بالبركة فيه وقد تقدم ان عمر الانسان هو مدة حياته والحيوان لمن
اعرض عن الله وشغل بغيره بل حيوة البهائم جزء من حياته فان حيوة
الانسان بحياة قلبه وروحه والحيوان لقلب الابعرة فاطرح ومحبته
وعبادته وحده والانابة اليه والطمانينة بذكره والانس بقربه ومن فقد هذه
الحياة فقد الخير كله ولو تعوض عنها بما تعوض بما في الدنيا بل ليست الدنيا بجميعها
عوضا عن هذه الحيوة فان كل شيء يفوت العبد عوض واذا فاته الله لم يعوض
عنه البتة وكيف يعوض الفقير بالذات عن الغني بالذات والعاجز بالذات
عن القادر بالذات والميت عن الحي الذي لا يموت والمخلوق عن الخالق ومن لا
وجود له ولا يتهيأ له من ذاته البتة عن من عنده وجوده وحياته ووجوده و
رحمته من لوازم ذاته وكيف يعوض من لا يملك مثقال ذرة عمن له ملك السموات
والارض وانما كانت معصية الله سببا لمحق بركة الرزق والاجل لان الشيطان
موكل بها وبأصحابها فسلطانه عليهم وحوالته على هذا الديوان واهله و
اصحابه وكل شيء يتصل به الشيطان ويقارنه فبركته ممحوقة ولهذا شرع
ذكر اسم الله تعالى عند الاكل والشرب واللبس والركوب والجماع لما في مقارنة اسم
الله من البركة وذكر اسمه يطرد الشيطان فتحصل البركة ولا معارض لها وكل شيء

اسباب الشر ووصل ما بينه وبين اعداء عدو وله فتولاه عدوه وتخلا عنه
وليه فلا تعلم نفس ما في هذا الانقطاع والاتصال من انواع الالام وانواع
العذاب قال بعض السلف رايت العبد ملقى بين الله سبحانه وبين الشيطان
فان اعرض الله عنه تولاه الشيطان وان تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان و
قد قال الله تعالى واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان
من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا يقول سبحانه لعباده انا اكرمت اباكم وفرغت
قدره وفضلته على غيره وامرت ملئكتي كلهم ان يسجدوا له تكريما له
وتشريفا فاطاعوني فابى عدوي وعدوه ففعصى امري وخرج عن طاعتي
فكيف يحسن بكم بعد هذا ان تتخذوه وذريته اولياء من دوني فتطيعونه
في معصيتي وتوالونه في خلاف مرضاتي وهو اعدا عدو لكم فوا لئيم عدوي
وقد امركم بعداوته ومن والا اعداء الملك كما هو واعداؤه عنده
سواء فان المحبة والطاعة لا يتم الا بعداوة اعداء المطاع وموالاة اوليائه
والعجب ممن يوالي اعداء الملك ثم تدعي انك موال له فهذا محال هذا العلم بكم عدو
الملك عدو لكم فكيف اذا كان عدوكم على الحقيقة والعداوة التي بينكم
وبينه اعظم من العداوة التي بين الشاة والذيب فكيف يليق بالعاقل
ان يوالي عدوه وعدو وليه وموالاة الذي لا مولى له سواه وبئسه
سبحانه على قبح هذه الموالاة بقوله وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا
وكما بئسه على قبحها بقوله ففسق عن امر ربه فبئس ان عداوته لربه وعداوته
لنا كل منهما بسبب يدعو الى معاداته فما هذه الموالاة وما هذه الاستذال بئس
للظالمين بدلا وينبغي ان يكون تحت هذا الخطاب نوع من العتاب لطيف يجب
وهو اني عاديت ابليس اذ لم يسجد لابيكم ادم مع ملئكتي فكانت معاداته
لاجلكم ثم كان عاقبة هذه المعاداة ان عقد بينكم وبينه عقدة المصالحة

فصل ومن عقوباتها انها تمحق بركة العمر وبركة الرزق وبركة
العلم وبركة العمل وبركة الطاعة وبالجملة تمحق بركة الدين والدنيا

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا يكون الله فبركته من وعة فان الرب هو الذي يبارك وحده والبركة كلها
منه وكلما نسب اليه مبارك فكلامه مبارك ورسوله مبارك وعبده
المومن النافع لخلقه مبارك وبيته الكرام مبارك وكتابه مما ارضه وهي
ارض الشام ارض البركه وصفها بالبركة في ست ايات من كتابه فلا مبارك
الا هو وحده ولا مبارك الا ما نسب اليه يعني الى الوهيته ومحبته ورضاه
والافاكون كله منسوب الى ربوبيته وخلقه وكلما باعد من نفسه من
الاعيان والاقوال والاعمال فلا بركة فيه ولا خير فيه وكلما كان قريبا
منه من ذلك ففيه البركة على حسب قربه وضد البركة اللعنة فاذا لعنها
الله او شخص لعنة او عمل لعنة الله ابعد شيء عن الخير والبركة وكلما اتصل
بذلك وارتبط به وكان منه بسبيل فلا بركة البتة وقد لعن عدو الله
ابليس وجعله ابعد خلقه منه فكل ما كان من جهته فانه من اللعنة بقدر
قربه منه واتصاله به ومن هنا كان للمعاصي اعظم تاثير في محق بركة العمر و
الرزق والعلم والعمل فكل وقت عصيت الله فيه او مال عصي الله فيه او بدن
او جاه او علم او عمل فهو على صاحبه ليس له فليس من عمره وماله وجاهه
وعمله وعلمه الا ما اطاع الله به فلهذا ما الناس من يعيش في هذه الدار مائة
او نحوها ويكون عمره لا يبلغ عشرين او نحوها كما ان منهم من يملك القناطير
المقنطرة من الذهب والفضة ويكون ماله في الحقيقة لا يبلغ الفدرهم
او نحوها وهكذا الجاه والعلم وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ما كان لله فهذا هو الذي فيه البركة خاصة والله المستعان
وعليه التكلان **فصل** ومن عفو بها انها تجعل صاحبها من السفلة بعد
ان كان محببا لا يكون من العلية فان الله خلق خلقه قسمين عليه وسفلة
وجعل عليين مستقر العلية واسفل سافلين مستقر السفلة وجعل اهل
طاعته العليين في الدنيا والاخرة واهل معصيته الاسفلين في الدنيا والاخرة
كما جعل اهل طاعته اكرم خلقه واهل معصيته اهون خلقه عليه واسفل
سافلين واهل معصيته الاسفلين في الدنيا والاخرة كما جعل اهل الطاعة

مصر كنانة الله في ارضه من اراده بسوء قصمه الله

٢ فيه

٣ ذكر الله عز وجل وما والاه وعالم او متعلم وفي آثار اخر الدنيا ملعونة ملعون ما فيها

٢ عليه

بياض في الاصل

اكرم خلقه عليه مستقر اسفله وجعل اهل طاعته الاعلين في الدنيا
الاخرة واهل معصيته اهون خلقه عليه وجعل العز لهوان والذلة والصغار
لهوان كما في مسند احمد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال جعلت الذلة والصغار على من خالف امري فكلما
عمل العبد معصية نزل الى اسفل درجة ولا يزال في نزول حتى يكون من
الاسفلين وكلما عمل طاعة ارتفع بها درجة ولا يزال في ارتفاع حتى يكون
من العليين وقد يجمع للعبد في ايام حيوته الصعود ما وجم والنزول ما
وجم وايهما كان اغلب كان من اهله فليس من صعد مائة درجة ونزل
درجة واحدة كمن كان بالعكس ولكن يعرض للنفوس هنا غلط عظيم
وهو ان العبد قد ينزل نزولا بعيدا ابعد ما بين المشرق والمغرب وما بين
السماء والارض فلا يفي صعوده الف درجة بهذا النزول الواحد كما في
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد ليتكلم بالكلمة الواحدة
لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب فاي صعود
وفاي صعود يوازن هذه النزوله والنزول امر لازم للانسان ولكن من
الناس من يكون نزوله الغفلة فهذا متى استيقظ من غفلته عاد الى درجته
او الى ارفع منها بحسب يقظته ومنهم من يكون نزوله الى مباح لا ينوي به
الاستعانة على الطاعة فهذا متى رجع الى الطاعة فقد يعود الى درجته وقد لا
يصل اليها وقد لا ينتفع عنها فانه قد يعود اعلاهم مما كان وقد يكون اضعف
همه وقد يكون همته كما كانت ومنهم من يكون نزوله الى معصية
اما صغيرة او كبيرة فهذا يحتاج في عوده الى درجته الى توبة نصوح وانابة
صادقة فاختلف الناس هل يعود الى درجته بعد التوبة التي كان فيها
بناء على ان التوبة تمحو اثر الذنب ويجعل وجوده كعدمه فكانه لم يكن او لا
يعود بناء على ان التوبة تاثيرها اسقاط العقوبة واما الدرجة التي فاتته
فلانه لا يصل اليها فالواو وتقرير ذلك انه كان مستعدا باشتغاله بالطاعة في الزمن
الذي عصى فيه لصعود اخر وارتفاع فحمله اعماله السالفة بمنزلة كسب الرجل

٢ عليه

تحمله بيان

اكرم

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

كل يوم يجعله ماله الذي يملكه وكلما تضاعف المال تضاعف الربح فقد ارتفع عليه
في زمن المعصية ارتفاع وربح بجعله اعماله فاذا استانف العمل استانف صعودا
من نزول وكان قبل ذلك صاعدا في علو وبينهما فرق عظيم قالوا ومثل ذلك رجلان
مرتفقان في سلمين الى نهاية لهما وهما سواء فنزل احدهما الى اسفل ولو درجة
ثم استانف الصعود فان الذي لم ينزل يعلو عليه ولا بد وحكم شيخ الاسلام
ابن تيمية بين الطائفتين حكما مقبولا فقال التحقيق ان من التائبين من يعود
الى ارفع درجة ومنهم من يعود الى مثل درجته ومنهم من لا يصل الى درجته
قلت وهذا بحسب قوة التوبة وكمالها وما احدثته المعصية للعبد من
الذل والخضوع والانابة والحذر والخوف من الله والبكاء من خشية الله فقد
تقوى هذه الامور حتى يعود التائب الى ارفع من درجته ويصير بعد التوبة
خيرا منه قبل الخطيئة وهذا قد تكون الخطيئة في حقه رحمة فانها نفعت
منه داء العجب وخلصه من ثقته بنفسه واعماله ووضعت خد ضراعته وذله
وانكساره على عتبة باب سيده ومولاه ومعرفته قدره واشهدته فقره وضرورته
الى حفظ سيده له والى عفوه عنه ومغفرته له واخرجت من قبله صولة الطاعة
وكسرت النفس ان يشمخ بها او يتكبر بها او يرى نفسه بها خيرا ممن عثر وان وقفت
بين يدي ربه موقف الخطائين المذنبين ناكسي الرؤس بين يدي سيده منكسرا
منه خائفا وجلا محتقرا الطاعة مستعظما لمعصيته قد عرف نفسه بالنقص
والذم وربه منفردا بالكمال والحمد والوفاء كما قيل استانر الله بالوفاء والحمد وبلى
الملامة الرجلا فاى نعمة وصلت من الله اليه استكثرها على نفسه ورأى نفسه
دونها لم يرها اهلا لها واي نعمة او بلية وصلت اليه رأى نفسه اهلا لها واهلا
اكثر منها ورأى مولاه قد احسن اليه اذ لم يعاقبه على قدر جرمه ولا اشطر ولا ادنى
جزء منه فان ما يستحقه من العقوبة لا تحتمله الجبال الراسيات فضلا عن هذا
العبد الضعيف العاجز فان الذنب وان صغر فان مقابلة العظيم الذي لا شيء
اعظم منه الكبير الذي لا شيء اكبر منه الكريم الذي لا احد اكرم منه ولا اجل المنعم
بجميع اصناف النعم دقيقها وجليلها من اقبح الامور واقضحها واشنعها فان

مقابلة

مقابلة العظماء والاجلاء وسادات الناس بمثل ذلك يستقبح كل احد وهو من
وكافر وارذل الناس واسقطهم مروءة ممن قابل بالرذائل فكيف بعظيم السموات
والارض ومالك السموات والارض ولولا انه رحمة الله غلبت غضبه ومغفرته
سبقت عقوبته والا لتدكدكت الارض من قابله بما لا يليق بمقابلته ولولا
حلمه ومغفرته لزالت السموات والارض بمعاصي العباد قال الله تعالى ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه
كان حليما غفورا فتامل ختم هذه الاية باسمين من اسمائه وهما الحليم والغفور
كيف تجد ذلك بحيث انه لولا حلمه عن الجناة ومغفرته للعصاة لما استقرت السموات
والارض وقد اخبر الله سبحانه عن بعض كفر عباده انه تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والمقصود ان العبد قد يكون بعد التوبة خيرا
مما كان قبل الخطيئة وارفع درجة وقد تضعف الخطيئة همته وتوهن عزمه
ومرض قلبه فلا يقوى دواء التوبة على اعادته الى الصحة الاولى فلا يعود الى درجته
وقد يزول المرض بحيث تعود الصحة كما كانت وتعود الى مثل عمله فيعود الى درجته
هذا كله اذا كان نزوله الى معصية فان كان الى موبقة في اصل الايمان
مثل الشكوك والريب والنفاق فذاك نزول لا يرجى لصاحبه صعود الا بتجديد
اسلام من راسه فصل ومن عقوباتها انها تجري على العبد ما لم يكن
يجري عليه من اصناف المخلوقات فتجري عليه الشياطين بالاغواء والوسوسة
والتخويف والتحزين وانسائه ما مصلحته في ذكره ومضرته في نسيانه فتجري
عليه الشياطين حتى تازه الى معصية الله ازا وتجري بما تقدر عليه من اذاه في
غيبته وحضوره ويجري عليه اهله وخدمه واولاده وجيرانه حتى ان
لحيوان البهيم وقال بعض السلف اني لاعصي الله فاعرف ذلك في خلق امراتي
ودابتي وكذلك يجري عليه او الامر بالعقوبة التي ان عدلوا فيها اقاموا عليه
حدود الله وتجري عليه نفسه فتشاكسه عليه وتستصعب عليه فلو اراد الخير
لم تطاوعه ولم تنقد اليه وتسوقه الى ما فيه هلاكه شاء ام ابى وذلك لان الطاعة
حصن الرب تعالى الذي من دخله كان من الامنين فاذا فارق الحصن اجترأ عليه

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

قطاع الطريق وغيرهم وعلى حسب اجترائه على معاصي الله يكون اجتراء هذه الافات والنقوص
عليه وليس شيئ يرد عنه فان ذكر الله وطاعته والصدقة وارشاد الجاهل والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقاية ترد عن العبد بمنزلة القوة التي ترد المرض وتقاومه فاذا سقطت
القوة غلب داءه وازداد المرض فلا بد للعبد من شيئ يرد عنه فان موجب
السيئات والحسنات يتدافع ويكون الحكم للغالب كما تقدم وكلما قوي جانب الحسنات
كان الرد اقوى فان الله يدافع عن الذين امنوا والايمان قول وعمل فبحسب قوة الايمان
يكون الدفع والله المستعان **فصل** ومن عقوباتها انها تحوج العبد الى
ما يكون الى نفسه فان كل احد محتاج الى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه
ومعاده واعلم الناس اعرفهم بذلك على التفصيل واقواهم واكيسهم مما قوي على نفسه
وارادته بها واشغالها فيما ينفعه وكفها عما يضره وفي ذلك تفاوت معارف الناس
وهممهم ومعارفهم فامرفهم من كان عارفا باسباب السعادة والشقاوة وارشدهم
مما انزهد على هذا كما ان اسقطهم من عكس الامر والمعاصي يحوج العبد احوج ما
كان الى نفسه في هذا العلم وايثار الحظ الاشرف العالي الدائم على الحظ الخسيس
الادنا المنقطع فتحجبه الذنوب عن كمال هذا العلم وعن الاشتغال بما هو اولى به
وانفع له في الدارين فاذا وقع في مكروه واحتاج الى التخلص منه خانه قلبه ونفسه
وجوارحه وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الحرب ولزم قرابه بحيث لا يجذب
مع صاحبه اذا جذبه وعرض له مريد قتله فوضع يده على قائم سيفه واجتهد
ليخرجه فلم يخرج فعه فدهمه العدو واظفر به وكذلك القلب يصدي بالذنوب
ويجرب ويصير مثخنا بالمرض فاذا احتاج الى محاربة العدو ولم يجد معه من سلاحها والعبد
انما يحارب ويصاول ويقدم بقلبه ولجوارحه تبع للقلب فاذا لم يكن عند ملكها قوة
عند ملكها يدفع بها فانها الفلن بها وكذلك النفس فانها تتخنث بالشهوات والمعاصي
وتضعف عن النفس المطمئنة وان كانت الامارة تقوى وتتاسد وكلما قويت
هذه ضعفت تلك فيبقى الحكم والتصرف للامارة فربما ماتت نفسه المطمئنة موتا
لا يرجى معه حياة فهذا ميت في الدنيا ميت في البرزخ غير حي في الاخرة حيوة يشقى
بها بل حياة حيوة يدرك بها الالم فقط والمقصود ان العبد اذا وقع في شدة او كربة

اوبليته

اوبليته خانه قلبه ولسانه وجوارحه عما هو انفع شيئ له فلا يجذب قلبه
للتوكل على الله والانابة اليه والجمعية عليه والتضرع والتذلل والانكسار
بين يديه والايطاء بلسانه لذكره وأي ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه
فينحبس القلب عن اللسان بحيث يوشك الذكر ولا ينحبس القلب واللسان
عن المذكور بل ان ذكرا ودعا ذكر بقلب لاه ساه غافل ولو اراد من جوارحه
ان تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ولم تطاوعه وهذا كله اثر الذنوب
والمعاصي كم له جند يدفعون عنه الاعداء فاهمل جنده وضيعهم واضعفهم
وقطع اخبارهم ثم اراد منهم عند هجوم العدو عليه ان ينصروه ويدفعوا عنه
في الدفع عنه بغير قوة هذا ومن اعظم ما اخوف من ذلك وارديه منها وامر وهو
ان تخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال الى الله فلا يمكنه
النطق بالشهادة كما شهد الناس كثيرا من المحتضرين اصابهم ذلك حتى قيل
لبعضهم قل لا اله الا الله فقال اه لا استطيع ان اقولها وقيل للاخر قل لا اله الا
الله فقال شاه رخ علبتك ثم قضا وقيل لاخر قل لا اله الا الله فقال
يا رب قائلة يوما وقد غلطت ☙ اني الطريق الى الهام منجاب ☙ ثم قضا وقيل
للاخر قل لا اله الا الله فجعل يهذي بالغنى ويقول ثلاثا ثلاثا حتى قضا وقيل
للاخر ذلك فقال هو كافر بما يقول وقضى وقيل للاخر ذلك فقال كلما اردت ان اقولها
ولساني يمسك عنها واخبرني من حضر بعض النجارين عند موته فجعل يقول ليس
له فليس حتى قضى واخبرني بعض التجار عن قرابة له انه احتضر وهو عند
فجعلوا يلقنونه لا اله الا الله وهو يقول هذه القطعة رخيصة هذه مشتري
جيد هذه كذا حتى قضى وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرا والذي يخفى
عليهم من احوال المحتضرين اعظم واعظم واذا كان العبد في حال حضوره وذهنه
وكمال ادراكه قد تمكن منه الشيطان واستحلبه فيما يريده من معاصي الله وقد اغفل قلبه
عن الله وعطل لسانه عن ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند سقوط
قواه واشتغاله قلبه ونفسه بما هو فيه من الم الغراغر وجمع الشيطان له كل قوته
وهمته وحسده عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصة فان ذلك عز العدو فاقوى ما يكون

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعليم شيطانه ذلك الوقت واضعف ما يكون هو في تلك الحالة فمن تراه يسلم من
ذلك فهناك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا والاخرة ويضل
الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء فكيف يوفق لحسن الخاتمة من اغفل الله سبحانه قلبه
عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا بعيدا من قلب بعيد عن الله غافل عنه متعبد
لهواه اسير شهوانه ولسان يابس من ذكره وجوارح معطلة من طاعته مشتغلة بمعصته
ان يوفق للخاتمة بالحسنى ولقد تقطع خوف الخاتمة ظهور المتقين وكان المسيئين القائلين
قد اخذ واثيقهم بالايمان ام لكم ايمان علينا بالغة الى قوله زعيم شعر

يا امنا من قبيح الفعل منه ٤ اهل اتال توقيع امن انت تملكه ٤
جمعت شيئين اهنا واتباع هوى ٤ هذا واحد بهما في المرء تهلكه ٤
والمحسنون على رب المخاوف قد ٤ سارو او ذلك درب لست تسلكه ٤
فرطت في الزرع وقت البذر من سفه ٤ فكيف عند حصاد الناس تدركه ٤
هذا وانت على فيك زهدك في ٤ دار البقا بيني سوف تتركه ٤
من السفيه اذا باعته ام المغبون في البيع عنا سوف تدركه ٤

فصل ومن عقوباتها انها تعمي القلب فانما تعمه اضعفت بصيرته ولابد وقد
تقدم بيان انها تضعفه ولابد فاذا عمي القلب وضعف فانه من معرفة الهدى وقوته
على تنفيذه في نفسه وفي غيره بحيث يضعف بصيرته فان الكمال الانساني مداره
على اصلين معرفة الحق من الباطل وايثار عليه وهما تفاوت منازل الخلق عند الله
في الدنيا والاخرة ابتدر تفاوت منازلهم في هذين الامرين وهما اللذان اثنى الله
سبحانه على انبيائه بهما في قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي
والابصار فالايدي القوة في تنفيذ الحق والابصار البصائر في الدين فوصفهم
بكمال ادراك الحق وكمال تنفيذه وينقسم الناس في هذا المقام اربعة اقسام
فهؤلاء اشرف الخلق واكرمهم على الله القسم الثاني عكس هؤلاء لا بصيرة في الدين ولا
قوة على تنفيذ الحق وهو اكثر لهذا الخلق الذين رؤيتهم قذاء العين وعمى الارواح و
سقم القلوب بضيقون الديار ويغلون الاسعار ولا يستفاد بصحبتهم الا العار
والشنار والقسم الثالث من له بصيرة بالحق ومعرفة به لكنه ضعيف القوة له

على تنفيذه

على تنفيذه ولا الدعوة اليه وهذا حال المؤمن الضعيف والمؤمن القوي خير و
احب الى الله منه القسم الرابع من له قوة وهمة وعزيمة لكنه ضعيف البصيرة في الدين
لا يكاد يميز بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان بل يصيب كل ما عنت
وكل بيضاء شحمة ويحسب العرم شحما والدوا النافع سما وليس فيهؤلاء من يصلح
للامامة في الدين ولا هم موضعها سوا القسم الاول قال الله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وكانوا بايتنا يوقنون فاخبر سبحانه وتعالى ان بالصبر واليقين نالوا
الامامة في الدين وهؤلاء هم الذين استثناهم الله سبحانه وتعالى من جملة الخاسرين
والقسم بالعصر الذي هو زمن الخاسرين والراجين على ان من عداهم فهو من
الخاسرين فقال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات و
تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فلم يكتف منهم بمعرفة الحق والصبر عليه حتى يوصي
بعضهم بعضا ويحث بعضهم بعضا عليه ويحضه عليه واذا كان من عدا هؤلاء خاسر المعلوم
ان المعاصي والذنوب يعمي بصيرة القلب فلا يدرك الحق كما ينبغي وتضعف قوته
وعزيمته فلا تصبر عليه بل قد تتوارد على القلب حتى ينعكس ادراكه كما ينعكس سيره
فيدرك الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا فينكر في سيره
ويرجع عما سفره الى الله والدار الاخرة الى سفره الى مستقر النفوس المبطلة التي رضيت
بالحيوة الدنيا واطمانت بها وغفلت عن الله واياته وتركت الاستعداد للعاقبة ولو
لم يكن في عقوبة الذنوب الا هذه العقوبة وحدها لكانت داعية الى تركها والبعد
منها والله المستعان وهذا كما ان الطاعة تنور القلب وتجلوه وتصقله وتقويه
وتغذيه حتى يصير كالمراة المجلوة في جلائها وصفائها فيتمثل فيها نور الاذان الشيطان
منه اصابه من نفره ما يصيب مسترق السمع من الشهب المواقف فالشيطان يفر ق
مما هذا القلب اشد من فرق الذئب من الاسد حتى ان صاحبه ليصرع الشيطان فيخر
صريع فيجتمع عليه الشياطين فيقول بعضهم لبعض ما شانه فيقال اصابه الشيطان به
نظرة من الانس فيا نظرة من قلب حر منور يكاد بها الشيطان بالنور يحترق
افيستوي هذا القلب وقلب مظلمة ارجاؤه مختلفة اهواؤه فتاخذه الشيطان
وطنه واعده مسكنه اذا اصبح بطلعة حياه قال فديت مما لا يعلم في دنياه ولا في اخراه

يحترق

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ قرينك في الدنيا وفي الحشر بعدها ﴿ وانت قرين لي بكل مكان ﴿
﴿ فان كنت في دار الشقاء فانني ﴿ وانت جميعا في شقاء وهوان ﴿

قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون واخبر سبحانه من عشي عن ذكره وهو كتابه الذي انزله على رسوله فاعرض عنه وتعامى عنه وعشيت بصيرته عن فهمه وتدبره ومعرفة مراد الله منه قيض الله له شيطانا عقوبة له باعراضه عن كتابه فهو قرينه الذي لا يفارقه في الاقامة ولا في السفر ومولاه وعشيره الذي هو بئس المولى وبئس العشير

﴿ رضيعي لبان ثدي ام تقاسما ﴿ بأسحم داج عوض لا نتفرق ﴿

ثم اخبر سبحانه ان الشيطان يصد قرينه وليه عن سبيله الموصل اليه والى جنته ويحسب هذا الضال المصدود انه على طريق هدى حتى اذا جاءه القرين يوم القيمة قال احدهما للآخر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين كنت لي في الدنيا اضلالتني عن الهدى بعد اذ جاءني وصددتني عن الحق واغويتني حتى هلكت وبئس انت لي اليوم ولما كان المصاب اذا شاركه غيره في مصيبته حصل بالتاسي نوع تخفيف وتسلية اخبر الله سبحانه ان هذا غير موجود وغير حاصل في حق المشترك في العذاب وان القرين لا يجد راحة ولا ادنى فرج بعذاب قرينه وان كانت المصايب في الدنيا اذا عمت صارت سلوة كما قالت الخنساء في اخويها صخر

﴿ فلولا كثرة الباكين حولي ﴿ على اخوانهم لقتلت نفسي ﴿
﴿ وما يبكون مثل اخي ولكن ﴿ اعزي النفس عنه بالتاسي ﴿

ونفى هذا القدر من الراحة عن اهل النار فقال ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون

فصل ومما عرفوا بها انها مدد من الانسان يمد به عدوه عليه وجيش تقوى به على حربه وذلك ان الله سبحانه ابتلى هذا الانسان بعدو لا يفارقه طرفة عين وصاحب لا ينام عنه يفعل ولا يغفل عنه بل هو وقبيله من حيث لا يراه يبذل جهده في معاداته في كل حال ولا يدع امرا يكيده به يقدر على

انصاله

انصاله اليه الا اوصله اليه ويستعين عليهم بني ابيه من شياطين الجن وعزهم من شياطين الانس قد نصب له الحبائل وبغاة الغوائل وعدو له الاشراك ونصب له الفخاخ والشباك وقال لاغوانه دونكم عدوكم وعدو ابيكم لا يفوتنكم ولا يكون حقه الجنة وحظكم النار ونصيبه الرحمة ونصيبكم اللعنة وقد علمتم ان ما جرا على وعليكم من الخزي واللعن والابعاد من رحمة الله ومما احاط فابذلوا جهدكم ان يكونوا شركاء في هذه البلية اذ قد فاتتهم شركة صاحبيهم في الجنة وقد اعلمنا سبحانه بذلك كله من عدونا وامرنا ان نأخذ له اهبته ونعد له عدته ولما علم سبحانه ان ادم وبنيه قد بلوا بهذا العدو وانه قد سلط عليهم امدهم بعساكر وجند يلقونها وامدد عدوهم ايضا بجند وعساكر يلقاهم بها واقام سوق الجهاد في هذه الدار في مدة العمر التي هي بالاضافة الى الاخرة اقل من لمح البصر واخذ مما انفاسها فاشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون واخبر ان ذلك وعد مؤكد عليه في اشرف كتبه وهي التوراة والانجيل والقرآن ثم اخبر ان لا اوفى بعهده من الله سبحانه وتعالى فاموهم ان يستبشروا بهذه الصفقة التي من اراد ان يعرف قدرها فلينظر الى المشتري ما هو والى الثمن المبذول في هذه السلعة والى ما جرا على بايعه هذا العقد فاي خوز اعظم من هذا واي تجارة اربح من هذه ثم اكد سبحانه هذا الامر بقوله يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ولم يسلط سبحانه هذا العدو على عبد المؤمن الذي هو احب انواع المخلوقات اليه الا لان الجهاد احب شيء اليه واهله ارفع الخلق عنده درجات واقربهم اليه وسيلة فعقد سبحانه لواء هذا الحرب لخلاصه مخلوقاته وهو القلب الذي هو محل معرفته ومحبته وعبوديته والاخلاص له والتوكل عليه والانابة اليه فولاه امر هذا الحرب واموج جند من

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

الملائكة لا يفارقونه لمعقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من
امر الله يعقب بعضهم بعضا كلما ذهب بدل جاء بدل اخر يشيعونه ويمرونه
بالخير ويحضونه عليه ويعدونه بكرامة الله ويصبرونه ويقولون انما هو
صبر ساعة وتداستحت براحة الابد ثم امده الله سبحانه وتعالى بجند اخر من
وحيه وكلامه فارسل اليه رسوله وانزل اليه كتابه فازداد قوة الى قوته ومدد
الى مدده وعدة الى عدته وامده مع ذلك بالعقل وزيرا له ومدبرا وبالعرفة
مشيرة عليه ناصحة له وبالايمان مشاورا ومؤيدا وناصرا وباليقين كاشفا له عن
حقيقة الامر كانه يعاين ما وعد الله به اولياءه وحزبه على جهاد اعدائه فالعقل
يدبر امر جيشه والمعرفة تضع له امور الحرب واسبابها مواضعها اللائقة
بها والايمان يشجعه ويقويه ويصبره واليقين يقدم به ويحمل به الحملات
الصادقة ثم امد سبحانه القائم بهذا الحرب بالقوة الظاهرة والباطنة فجعل
العين طليعته والاذن صاحب خبره واللسان ترجمانه واليدين والرجلين
اعوانه واقام ملئكته وحملة عرشه يستغفرون له ويسالون له ان
يقيه السيئات ويدخله الجنات وتولى سبحانه الدفع والدفاع عنه بنفسه
وقال هؤلاء حزبي وحزب الله هم الغالبون وعلم عباده كيفية هذا الحرب
والجهاد فجمعها لهم في اربع كلمات فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ولا يتم امر هذا الجهاد الا بهذه الامور
الاربعة فلا يتم الصبر الا بمصابرة العدو وهي مواقعته ومنازلته فاذا صابر
عدوه احتاج الى امر اخر وهو المرابطة وهي لزوم ثغر القلب وحراسته
لئلا يدخل منه ولزوم ثغر العين والاذن واللسان والبطن واليد والرجل
فهذه الثغور منها يدخل العدو ويتجسس خلال الديار ويفسد ما قدر عليه
فالمرابطة لزوم هذه الثغور فلا يخلا منها فينصاب العدو الثغر خاليا
فيدخل منه فهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الخلق بعد النبيين
والمرسلين واعظمهم حماية وحراسة من الشيطان وقد اخلوا المكان الذي
امروا بلزومه يوم احد فدخل منه فكان ما كان وجماع هذه الثلاثة وعمودها

الذي

يذل الكدم

الذي يقوم بها هو تقوى الله فلا ينفع الصبر ولا المصابرة ولا المرابطة
الا بالتقوى ولا يقوم التقوى الا على ساق الصبر فانظر الان الى التقاء الجيشين
واصطفاف العسكرين وكيف مرة وعليك اخرى قتل ملك الكفر بجنوده و
عساكره فوجد القلب في حصنه جالسا على كرسي مملكته امر ناف ذني اعوانه
وجنده قد حفوا به يقاتلون عنه ويدافعون عن جوزته فلم يمكنه الهجوم عليه
الا بخامرة بعض امرائه وجنده عليه فسال عن احصن الجند به واقربهم منه
منزلة فقيل له هي النفس فقال لاعوانه ادخلوا عليها من مرادها وانظروا
مواقع محبتها وما هو محبوب لها فعدوه من بين ومنوها اياه وانقشوا صورة
المحبوب فيها في بعضها ومنامها فاذا اطمانت اليه وسكنت عنده فاطرحوا
عليها كلاليب الشهوة وخطاطيفها ثم جروها اليكم فاذا خامرت على القلب
وصارت معكم عليه ملكتم ثغر العين والاذن واللسان والفم واليد والرجل
فرابطوا على هذه الثغور كل المرابطة حتى دخلتم منها الى القلب فهو قتيل او
اسير او جريح مثخن بالجراحات والتخلوا هذه الثغور ولا تمكنوا سرية تدخل
منها الى القلب فتخرجكم وان غلبتم فاجتهدوا في اضعاف السرية و
وهنها حتى لا تصل الى القلب وان وصلت اليه وصلت ضعيفة لا تغني
عنه شيئا فاذا استوليتم على هذه الثغور فامنعوا ثغر العين ان يكون نظره
اعتباطا بل اجعلوا نظره تزجاجا وانحسانا وتلصصا فان اسرف نظره عين فاسدة
عليه بنظر الغفلة والانحسان والشهوة فانه اقرب اليه واعلق بنفسه و
اخف عليه ودونكم ثغر العين فان منه تنالون بغيتكم فاني ما افسدت
بني ادم بشيء مثل النظر فاني ابذر به القلب بذر الشهوة ثم اسقيه بماء
الامنية ثم لا ازال اعده وامنيه حتى اقويه عزيمة واقوده لزمام المشهوة
ثم استسقيه الى الانخلاع من العصمة فلا تهملوا امر هذا الثغر وافسدوه بحسب
استطاعتكم وهونوا عليه امره وقولوا له ما هذا نظر تدعوك الى تسبيح
الخالق والتامل لبديع صنعته وحسن هذه الصورة التي انما خلقت ليستدل
بها الناظر عليه وما خلق لك العينين سدى وما خلق هذه الصورة التي تحبها

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن النظر وان ظفرتم به قليل العلم فاسد العقل فقولوا هذه الصورة تظهر من
مظاهر الحق وتجلى من مجالبه فادعوه الى القول بالايجاد فان لم يقبل فالقوله بالحمالة
العام والخاص ولا يقنعوا منه بدون ذلك فانه نصيرة من اخوان النصارى
حينئذ بالعفو والصيانة والعبادة والزهد في الدنيا واصطادوا عليه الجهال
فهذا من اقرب حلفائي واكبر جندي بل انا من جنده واعوانه **فصل** ثم اسمعوا
ثغر الاذن ان يدخل منه ما يفسد عليكم الامر فاجتهدوا ان لا تدخلوا منه الباطل
فانه خفيف على النفس تستحليه وتشتهيه ويجر والله اعذب الالفاظ واسحرها للالباب
وامزجوا له بما تهوى النفوس مزجا واقوا الكلمة فان رأيتم منه اصغاء اليها
فرجوا باخوانها وكلما صادفتم منه استحسان شيء فالهجوا له بذكره واياكم ان
يدخل من هذا الثغر شيء من كلام الله او كلام رسوله او كلام النصحا فان غلبتم على ذلك
ودخل من ذلك شيء فحولوا بينه وبين فهمه واما بتهويل ذلك وتعظيمه وان هذا
امر قد حيل بين النفوس وبينه فلا سبيل لها اليه وهو حمل ثقيل عليها لا تستقل
به وخوف ذلك واما بان خاصه على النفوس فان الاشتغال ينبغي ان يكون اهم بما هو اعلى
عند الناس واعز عليهم واغرب عندهم وزينوا القائلون له اكثر واما الخلق فهو مجهود
وقالهم وهو معرض نفسه للعداوة والمزاحم بين الناس اولا بالايثار وخوذ لك فيدخلون
الباطل عليه في كل قالب يقلبه ويخف ويجر جون له الحق في كل قالب يكرهه ويثقل
عليه واذا شئت ان تعرف ذلك فانظر الى اخوانهم من شياطين الانس كيف يجر جون
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب كثرة الفضول وتتبع عثرات الناس
والتعرض من البلا لما لا يليق والقاء الفتن بين الناس وخوذ لك ويجر جون اتباع
السنة ووصف الرب سبحانه بما وصف نفسه ووصفه به رسله في قالب
التجسيم والتشبيه والتكييف ويسمون علو الله على خلقه واستواءه على عرشه و
مباينته لمخلوقاته تحيزا ويسمون نزوله الى سماء الدنيا وقوله من يسئلني فاعطيه
تحركا وانتقالا ويسمون ما وصف به نفسه من اليد والوجه اعضاء وجوارح
ويسمون ما يقوم به من صفات افعاله وما يقوم به من صفته اعراضا ثم يقولون
الى غير هذه الامور ويوهمون الاغمار وضعفاء البصائر ان اثبات الصفات التي

بطريق
رسوله

نطق

نطق بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تستلزم هذه الامور ويخرجون
هذا التعطيل في قالب التنزيه والتعظيم واكثر الناعي صنعا العقول يقبلون
الشيء بلفظ ويردونه بعينه بلفظ اخر فلله الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا سماه زخرفا
وهو باطل لان صاحبه يزخرفه ويزينه ما استطاع ويلقيه الى سمع المغرور فيغتر به
والمقصود ان الشيطان قد يلزم ثغر الاذن يدخل فيها ما يضر العبد ولا ينفعه
ويمنع ان يدخل اليها ما ينفعه وان دخل بغير اختياره افسده عليه **فصل**
ثم يقولون قوموا الى ثغر اللسان وهو امنع الثغور الاعظم وهو قبالة الملك فاجروا
عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه وامنعوه ان يجري عليه شيء مما ينفعه من
ذكر الله واستغفاره وتلاوة كتابه ونصيحة عباده او التكلم بالعلم النافع
ويكون لكم في هذا الثغر امران عظيمان لا تنالون بهما ظفرتم احدهما التكلم
بالباطل فان المتكلم بالباطل اخ مما اخوانكم ومن اكبر اعوانكم وجندكم **والثاني**
السكوت عن الحق فان الساكت عن الحق اخ لكم اخرس كما ان الاول اخ ناطق وربما
كان الاخ الثاني انفع اخوانكم لكم اما سمعتم قول الناطق المتكلم بالباطل شيطان
ناطق والساكت عن الحق شيطان اخرس فالرباط الرباط على هذا الثغر ان يتكلم
بحق او يسكت عن باطل وزينوا له التكلم بالباطل بكل طريق وخوفوه من التكلم
بالحق بكل طريق واعلموا يا بني ان ثغر اللسان هو الذي اهبط منه بني ادم واكبهم
منه على مناخرهم في النار فكم له من قتيل واسير وجريح اخذته من هذا
الثغر واوصيكم بوصية فاحفظوها لينطق احدكم على لسان اخيه
من الانس بالكلمة وتكون الاخرى على لسان السامع فينطق بالتحسانها وتعصيها
والتعجب منها ويطلب من اخيه اعادتها وكونوا اعوانا على الانس كل طريق
وادخلوا عليهم من كل باب واقعدوا لهم كل مرصد اما سمعتم قسمي الذي اقسمت
به لربهم بحيث قلت فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم
شاكرين او ما تزوي تعدت لابي ادم بطرقها كلها فلا يفوتني من طريق الا تعدت

له بطريق غيره حتى اصبت منه حاجتي او بعضها وقد حذرهم ذلك رسولهم فقال لهم
ان الشيطان قد قعد لابن ادم بطرقه كلها فقعد لهم بطريق الاسلام فقال تسلم
وتذر دينك ودين اباءك فخالفه فاسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر
ارضك وسماك فخالفه وهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فتقتل فتقسم
المال وتنكح الزوجة فهكذا فاقعدهم بكل طريق الخير فاذا اراد احدهم ان يتصدق
فاقعدوا له على طريق الصدقة وقالوا له في نفسه اتخرج المال فتبقى مثل السائل
وتصير بمنزلته انت وهو سواء وما سمعتم ما لقيت على لسان رجل سأله احراز
يتصدق وعليه هي اموالنا اعطيناكموها صرنا مثلكم واقعدوا بطريق الحج فقعدوا
طريق مخوفة مشقة يتعرض سالكها لتلف النفس والمال وهكذا فاقعدوا له على
سائر طرق الخير بالتفنن منها وذكر صعوبتها واقتحامها فاقعدوا له على طرق المعاصي
فحسنوها في اعين بني ادم وزينوها في قلوبهم واجعلوا اكثر اعوانكم على ذلك الشباب
وهي ابوابهن فاذا خلوا عليهم فنعم العون هن لكم ثم الزموا ثغر اليدين و
الرجلين فامنعوها ان يبطش بما يضركم او يمشي فيه واعلموا ان اكبر اعوانكم
على لزوم هذه الثغور مصالحة النفس الامارة فاعينوها واستعينوا بها واعدوها
وسلموا اسنتها وكونوا معها على حرب النفس المطمئنة واجتهدوا في كسرها وابطال قواها
والا سبيل الى ذلك الا بقطع موادها عنها فاذا انقطع موادها وقويت مواد النفس الامارة
وانطاعت لكم اموالها فاستزلوا القلب عن حصنه وازعزلوه عن مملكته وولوا مكانه
النفس الامارة فانها لاتامر الا بما تهواه وتحبونه ولا تحكم بما تكرهونه البتة مع انها
لا تخالفكم في شيء تشيرون به عليها بل اذا اشرتم عليها بشيء بادرت الى فعله فان
احسستم من القلب منازعة الى مملكته واردتم الامر من ذلك فاعقدوا بينه
وبين النفس عقد النكاح فزينوها وحلوها واروه اياها في احسن صورة
عروس توجد وقولوا له ذق طعم هذا الوصال والتمتع بهذا العروس كما ذقت
طعم الحرب وباشرت مرارة الطعن والضرب ثم دارت بينك لذة هذه المسئلة و
مرارة تلك المحاربة فدع الحرب تضع اوزارها فليست بيوم وتنقضي وانما هو
حرب متصل بالموت وقوك لا يضعف عن حرب دايم واستعينوا بابني بجنديين عظيمين

لن تغلبوا

لن تغلبوا معهما احدهما جند الغفلة فاغفلوا قلوب بني ادم عن الله والدار
الاخرة بكل طريق فليس لكم شيء ابلغ في تحصيل غرضكم من ذلك فان القلب اذا غفل
عن الله تمكنتم منه وهي الغواية والثاني جند الشهوات فزينوها في قلوبهم وحسنوها
في اعينهم وصولوا عليهم بهذين العسكريين فليس لكم في بني ادم ابلغ منهما والمتغلبها
على الشهوات بالغفلة واقربهما من الغافلين ثم استعينوا بهما على الذكر والا يغلب
واحد خمسة فان مع الغافلين شيطانين صار والاربعة وشيطان الذاكر معهم و
اذا رايتم جماعة مجتمعين على امر يضركم من ذكر الله او مذاكرة امر ودينه
ولم تقدروا على تفريقهم فاستعينوا عليهم بنفي جنسهم من الانس البطالين فقوموا
منهم وشوشوا عليهم بهم وبالجملة فاقعدوا للامور اقرانها واد خلوا على كل
واحد من بني ادم من باب ارادته وشهوته فساعدوه عليها وكونوا اعوانا له
على تحصيلها وان كان الله قد امرهم بالصبر ان يصبر والكم ويصابروا ويرابطوا
عليكم بالثغور فاصبروا وصابروا عليهم بالثغور والثغر وافرضتكم فيهم عند الشهوة
تكلا والغضب فلا تصطادوه من بني ادم في اعظم من هذين الموطنين واعلموا ان منهم
من يكون سلطان الشهوة عليه اغلب وسلطان غضبه ضعيف مقهور فخذوا
عليه طريق الشهوة ودعوا طريق الغضب ومنهم من يكون سلطان الغضب عليه
اغلب فلا تخلوا طريق الشهوة عليه ولا تقطعوا ثغرها فان لم يملك نفسه عند
الغضب فانه بالحري ان لا يملكها عند الشهوة فزوجوا بابن غضبه وشهوته وامزجوا
احدهما بالاخر ودعوا الى الشهوة من باب الغضب والى الغضب من طريق الشهوة و
اعلموا انه ليس لكم في بني ادم سلاح ابلغ من هذين السلاحين وانما حربت ابوهم
من الجنة بالشهوة وانما القيت العداوة بين اولادهم بالغضب فبه قطعت ارحامهم
وسفكت دمائهم وبه قتل احد بني ادم اخاه واعلموا ان الغضب جمرة في قلب بني
ادم والشهوة نار تتقوى في قلبه وانما يطفئ النار بالماء والصلاة والذكر والتكبير
فاياكم ان تمكنوا ابا بني ادم عند غضبه وشهوته من وضوء والصلاة فان
ذلك يطفئ عنهم نار الغضب والشهوة وقد امرهم بنهم بذلك فقال ان الغضب
جمرة في قلب ابن ادم اما رايتم حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن احس ذلك

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

فليتوضا وقال لهم انما يطفى النار بالماء وقد اوصاهم الله ان يستعينوا عليكم بالصبر
والصلاة فحولوا بينهم وبين ذلك واستوهم اياه واستعينوا عليهم بالشهوة والغضب
وابلغ اسلحتكم فيهم وانكاها العفلة واتباع الهوى واعظم اسلحتهم فيكم وامنع
حصونهم ذكر الموت ومخالفة الهوى فان ايتم الرجل مخالفا لهواه قاهرا لنوامي
ظله ولاذ نواهيه والمقصود ان الذنوب والمعاصي سلاح ومدد يمد بها العدو
اعداه ويعينهم بها على نفسه فيقاتلونه بسلاحه ويكون معهم على نفسه وهذا غاية
الجهل شعر ٤ وما تبلغ الاعداء من جاهل ٤ ما يبلغ الجاهل من نفسه ٤ ومن
العجائب ان العبد يسعى بجهده في هوان نفسه وهو يزعم انه يكرمها ويجتهد
في حرمانها وعلى حظوظها وشرفها وهو يزعم انه يعليها كما سعى في حظها ويبذل جهده في
تحقيرها وتدنيسها وهو يزعم انه يعليها ويرفعها ويكرمها وكان بعض السلف
يقول في خطبته الارب يمهين نفسه وهو يزعم انه لها مكرم ومذل لنفسه وهو
يزعم انه لها معز ومصغر لنفسه وهو يزعم انه لها مكبر ومضيع لنفسه وهو يزعم
انه مراع لحقها وكفى بالمرء جهلا ان يكون مع عدوه على نفسه يبلغ منها بفعله
ما لا يبلغه عدوه فاسد المستعان فصل ومن عقوباتها انها تنسي
العبد نفسه واذا نسي نفسه اهملها وافسدها واهلكها فان قيل كيف
ينسى العبد نفسه واذا نسي نفسه فاي شيء يذكر وما معنى نسيانه نفسه قيل
تعم بنسي نفسه اعظم نسيان قال الله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون فلما نسوا ربهم سبحانه نسيهم وانساهم انفسهم كما
قال انسوا الله فنسيهم فعاقبهم سبحانه من نسيه عقوبتين احدهما انه سبحانه
نسيه والثانية انه انساه نفسه ونسيانه للعبد اهماله وتركه وتخليته عنه واضاعته
ونسيانه فالهلاك ادنى اليه من اليد الى الفم واما انساؤه نفسه فهو انساؤه لحظوظها
العالية واسباب سعادتها وفلاحها واصلاحها وما تكمل به جميعه فلا يخطر
بباله ولا يجعله على ذكر ولا يصرف اليه همته فيرغب فيه فان لا يمر بباله حتى
يقصده ويؤثره وايضا فينسيه عيوب نفسه ونقصها وافاتها فلا يخطر بباله
از التها واصلاحها وايضا ينسيه امراض نفسه وقلبه والاهمال فلا تخطر

بقلبه

بقلبه هذا وانها ولا السعي في ازالة علتها وامراضها التي يؤول بها الى الفساد
والهلاك فهو مريض متخن بالمرض ومرضه يؤديه الى التلف ولا يشعر بمرضه ولا يخطر
بباله هذا وانه وهذا من اعظم العقوبة العامة والخاصة واي عقوبة اعظم من عقوبة
من اهمل نفسه وضيعها ونسي مصالحها وفلاحها واسباب سعادتها ونجاتها
الابدية في النعيم المقيم ومن تامل هذا الموضع تبين له ان اكثر هذا الخلق قد ضيعوا
انفسهم حقيقة وضيعوها واضاعوا حظوظها من الله وباعوها رخيصة بثمن
بخس بيع الغبن وانما يظهر لهم هذا عند الموت ويظهر كل الظهور يوم التغابن
يوم يظهر للعبد انه غبن في العقد الذي عقده لنفسه في هذه الدار والتجارة
التي يتجر فيها لمعاده فان كل احد يتجر في هذه الدنيا لاخرته فالخاسرون الذين
يعتقدون انهم اهل الربح والكسب اشتروا الحيوة الدنيا وظلم فيها ولذتهم
فيها بالاخرة وحظهم فاذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا واستمتعوا بها وركنوا
بها واطمانوا اليها وكان سعيهم لتحصيلها فباعوا الباقي وآثروا العاجل باعوا اجلا
بعاجل ونسيئة بنقد وغائبا بناجز وقالوا هذا هو الحزم ويقول احدهم
خذ ما تراه ودع ما سمعت به وكيف ابيع حاضرا نقدا ما شاهدا في هذه الدار
بغائب نسيء في دار اخرى غير هذه وينضم الى ذلك ضعف الايمان وقوة داعي
الشهوة ومحبة العاجلة والتشبه بني الجنس فاكثر الخلق في هذه التجارة الخاسرة
التي قال الله سبحانه في اهلها اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وقال فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين فاذا كان يوم التغابن ظهر لهم الغبن في هذه التجارة فتقطع عليها
النفوس حسرات واما الرابحون فانهم باعوا فانيا بباق وخسيسا بنفيس و
حقيرا بعظيم فقالوا اما مقدار هذه الدنيا من اولها الى اخرها حتى بيع حظنا من
الله والدار الاخرة بها فكيف بما ينال العبد منها في هذه الزمان القصير الذي هو
في الحقيقة كقفوة حلم لا نسبة له الى ازا البقا البتة قال الله تعالى ويوم يحشرهم كان
لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم وقال تعالى يسالونك عن الساعة ايان
مرسيها فيم انت من ذكرنها الى ربك منتهيها انما انت منذر من يخشيها كانهم يوم يرونها

بحاضر

لم يلبثوا الا عشية او ضحيها وقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وقال تعالى كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسأل
العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو كنتم تعلمون وقال تعالى يوم ينفخ في الصور ونحشر
المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا فهذا حقيقة هذه الدنيا
عند موافاة يوم القيمة فلما علموا قلة لبثهم فيها وان لهم دارا غير هذه
الدار هي دار الحيوان ودار البوار ومن اعظم الغبن بيع دار البقاء بدار الفناء
فتجروا تجارة الاكياس ولم يغتروا بتجارة السفهاء من الناس فظفروا لهم يوم
التغابن بربح تجارهم ومقدار مقادير وكل احد في هذه الدنيا بايع ومشتر
ومتجر وكل الناس يغدو فبايع نفسه موبقها او مبتاعها فمعتقها ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وذلك الفوز العظيم فهذا اول نقد من ثمن هذه التجارة
فتاجروا ايها المفلسون وبادروا ما لا يقدر على هذا الثمن هيهات هيهات اخر فان كنت من
اهل هذه التجارة فاعط هذا الثمن التائبون العابدون الحامدون السائحون
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المؤمنين يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون والمقصود ان الذنوب تنسي العبد حظه من هذه
التجارة الرابحة وتشغله بالتجارة الخاسرة وكفى بذلك حرمانا وعقوبة والله المستعان

فصل ومن عقوباتها انها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة
فتزيل الحاصل وتمنع الواصل فان نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته
ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته فان ما عند الله لا ينال الا بطاعته وقد جعل
الله سبحانه لكل شيء سببا وافرد سببا لجلب وافرة تطلبه فجعل اسباب دفعه الغالبة
لها طاعته واقواها المانعة منها معصيته فاذا اراد حفظ نعمته على عبده الهمه
رعايتها بطاعته فيها وانا اراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها ومن العجب ان

العبد

العبد بذلك مشاهدة في نفسه وغيره وسماعا لما غاب عنه مما اخبار من ان
نعم الله عز وجل بمعاصيه وهو مقيم على معصية الله كانه مستثنا من هذه
الجملة او مخصوصا من هذه العموم وكان هذا امر جار على الناس لا عليه وواصل
الخلق لا اليه فاي جهل ابلغ من هذا واي ظلم للنفس فوق هذا فالحكم لله العلي
الكبير **فصل** ومن عقوباتها انها تباعد العبد وليه وانفع الخلق
الله وانصحهم له ومن سعادته في قربه وهو الملك الموكل به ويدنى من عدوه
واعتى الخلق اليه واعظمهم ضررا له وهو الشيطان فالعبد اذا عصى الله تباعد
من الملك بقدر تلك المعصية حتى انه ليباعد منه بالكذبة الواحدة مسافة
بعيدة وفي بعض الآثار اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن
ريحه فاذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة فكيف يكون مقدار
بعده منه مما هو اكبر من ذلك واعظم منه وقال بعض السلف اذا ركب الذكر
على الذكر عجت الارض الى الله وهربت الملئكة الى ربها وشكت اليه عظم مارات
قال بعض السلف اذا اصبح العبد ابتدره الملك والشيطان فان ذكر الله وكبره
وحمده وهلله طرد الملك الشيطان وتولاه وان افتتح بغير ذلك ذهب الملك
وتولاه الشيطان ولا يزال الملك يقرب من العبد حتى يصير الحكم والغلبة
والطاعة له فتولاه الملئكة في حيوته وعند موته وعند بعثه كما قال الله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي
الآخرة واذا تولى الملك تولاه اصح الخلق وانفعهم وابرهم فنشبته وعلمه وقوى
جنابه وايده قال الله تعالى اذ يوحي ربك الى الملئكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا ويقول
له الملك عند الموت لا تخف ولا تحزن وابشر بالذي يسرك الله وبشتك بالقول
الثابت اصح ما يكون اليه في الحيوة الدنيا وعند الموت وفي القبر عند المسئلة
فليس احد انفع للعبد من صحبة الملك وهو وليه في يقظته ومنامه وحياته
وعند موته وفي قبره وهو نسيه في وحشته وصاحبه في خلوته ومحدثه
في سره يحارب عنه عدوه ويدافعه عنه ويعينه عليه ويعده بالخير ويبشره

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

بقلب ابن ادم ع

به ويعينه على التصديق بالحق كما جاء في الاثر الذي روى مرفوعا وموقوفا ان
للملك لمة والشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالوعد ولمة
الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق واذا اشتد قرب الملك من العبد يكلم
على لسانه والقى عليه قول الحق واذا اشتد قرب الشيطان من العبد تكلم على لسانه
والقى عليه قول الزور والفحشى حتى ير الرجل يتكلم على لسانه الملك والرجل يتكلم
على لسانه الشيطان وفي الحديث ان السكينة تنطق على لسان عمر وكان احدهم يسمع
الكلمة الصالحة من الرجل فيقول القاها على لسانك ملك ويسمع ضدها فيقول
القاها على لسانك الشيطان فالملك يلقي في القلب الخلق ويلقيم على اللسان والشيطان
يلقي الباطل ويجريه على اللسان ثم عقوبات المعاصي انها تبعد العبد من وليه
الذي سعادته في قربه ومجاورته وموالاته حتى ان الملك ليناى عن العبد و
يرد عنه اذا سفه عليه السفيه وسبه كما اختصم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلان فجعل احدهما يسب الاخر وهو ساكت فتكلم بكلمة فرد عليه صاحبه فقام
النبي صلى الله عليه وسلم لما رد عليه بعض قوله فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم قمت فقال
كان الملك يناى عنك فلما رددت عليه جاء الشيطان فلم اكن لاجلس مع الشيطان
واذا دعى العبد المسلم لاخيه بظهر الغيب امن الملك على دعائه وقال لك مثله واذا فرغ
من قراءة الفاتحة امنت الملائكة على دعائه واذا اذنب العبد المؤمن الموحد
المتبع لسبيل الله وسنة رسوله استغفر له حملة العرش ومن حوله واقاتم على
وضوءات في شعار ملك فلما استيقظ من الليل استغفر له ملك الموت يرد
عنه ويحارب ويدافع ويعلله ويشتته ويشجعه فلا يليق به ان يسيء جواره ويبالغ
في اذاه وطرده عنه وابعاده منه فانه ضيفه وجاره واذا كان اكرام الضيف من
الاديان والاحسان الى الجار من لوازم الايمان ومع جنابته فما الظن باكرام اكرم
الاضياف وخير الجيران وابرهم واذا آذى العبد الملك بانواع المعاصي والظلم
والفواحش دعا عليه ربه وقال الا جزاك الله خيرا كما يدعو له اذا اكرمه بالطاعات
والاحسان وقال بعض الصحابة ان معكم من لا يفارقكم فاستحيوا منه واكرموه ولا
الام من لا يستحي من الكريم العظيم ولا يحله ولا يوقره وقد ندبه سبحانه على هذا المعنى

بقوله

بقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين اي استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام
واكرموهم واجلوهم اد يس وامنكم ما يستحيوا اد يراكم عليه من هو منكم
والملئكة تتاذى مما يتاذى منه بنو ادم فاذا كان ابن ادم يتاذى مما ينجس
ويعصي بين يديه وان كان قد يعمل مثل عمله فما الظن باذاء الملئكة الكرام
الكاتبين واسه المستعان **فصل** ومن عقوباتها انها تستحلب
مواد هلاك العبد في دنياه واخرته فان الذنوب هي امراض ومتى
استحكمت قتلت ولابد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بعد حفظ
قوته واستفراغ يستفرغ المواد والاخلاط الردية التي متى غلبت عليه
افسدته وحميه يمتنع بها من تناوله ما يوذيه ويخشى ضرره فكذلك
القلب لا يتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة تحفظ قوته و
استفراغ بالتوبة النصوح تستخرج المواد الفاسدة والاخلاط الردية
منه وحميه توجب له حفظ الصحة ويجتنب ما يضادها وهي عبارة
عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول لهذه الامور
الثلاثة فافات منحطات من التقوى بقدرها فاذا تبين هذا فالذنوب
مضادة لهذه الامور الثلثة فانها تستحلب المواد المؤذية وتوجب التخليط
المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى البدن عليل قد
تراكمت عليه الاخلاط والمواد المرضية وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف
تكون صحته وبقاؤه ولقد احسن القائل **شعر**

حميك بالحمية حصنه ٤ مخافة مما الم طاري ٤
وكان اولى بك ان تحميه ٤ مما المعاصي خشية الباري ٤

فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمال الحمية باجتناب النواهي و
استفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للمخ مطلبا ولا مما النفس
مهربا واسه المستعان **فصل** فان لم هذه العقوبات الشرعية التي شرعها الله تعالى ورسوله من الجرائم كما قطع اليد في سرقة ثلاثة دراهم
وقطع اليد والرجل في قطع الطريق على مقصود المال والنفس وشق الجلد

٢ ٢ قلبه فاقضي العقوبات

بالسوط على كلمة قذف المحصن او قطع خنزير خالها جوفه وقتل بالحجارة
اشنع قتل في ايلاج الحشفة في فرج حرام وخفف هذه العقوبة على من لم يتم
نعمة الاحصان بمائة جلدة ونفي سنة عن وطنه وبلده الى البلاد الغربة وفرق
بين رأس العبد وبدنه اذا وقع ذات رحم محرم منه او ترك الصلوة المفروضة
او تكلم بكلمة كفر او من يقتل من وطئ ذكر امثله وقتل المفعول به وامر بقتله
من اتى بهيمة وقتل البهيمة معه وعزم على تحريق بيوت المتخلفين عن الصلاة
في الجماعة وغير ذلك من العقوبات التي قدرتها على الجرائم وجعلها بحكمته على
حسب الدواعي الى تلك الجرائم وحسب الوازع عنها فما كان الوازع عنه طبعا
وليس في الطباع داع اليه اكتفى فيه بالتحريم مع التعزير ولم يرتب عليه حدا كاملا
كاكل الرجيع وشرب الدم واكل الميتة وما كان في الطباع داع اليه رتب عليه
من العقوبة بقدر مفسدته وبقدر دواعي الطبع اليه ولهذا كان داعي الطباع
الى الزنا من اقوى الدواعي كانت عقوبته العظمى اشنع القتلات واعظمها و
عقوبته السفلى اعلى انواع الجلد مع زيادة التغريب ولما كان اللواط فيه
الامران كان حده القتل بكل حال ولما كان داعي السرقة قويا ومفسدتها
كذلك قطع اليد وتامل حكمته في انسان العضو الذي باشر به الخيانة كما افسد
على قاطع الطريق يده ورجله اللتين هما آلة قطعه ولم يفسد على القاذف
لسانه الذي جنايته اذا مفسدة قطعه تزيد على مفسدة الجناية وتبلغها او
اكثر بذلك بايالام جميع بدنه بالجلد فان قيل فهلا افسد على الزاني فرجه
الذي باشر به المعصية قيل لوجوه احدها ان مفسدة ذلك تزيد على
مفسدة الجناية اذ فيه قطع النسل وتعريضه الى الهلاك الثاني ان الفرج عضو
مستور لا يحصل فيه مقصود الحد من الردع والزجر لامثاله من الجبلة كما
يحصل بقطع اليد الثالث انه اذا قطع منها يا يعوض عنه اخرى بخلاف
الفرج الرابع ان لذة الزنا عمت جميع البدن فكان الاحسن ان تعم العقوبة
جميع البدن وذلك اولى من تخصيصها بتضع منه بعقوبات الشارع جات
على اتم الوجوه واوقعها للعقل وقومها بالمصلحة والمقصود ان الذنوب

اما ان

اما ان تترتب عليها العقوبات الشرعية والقدرية او يحميها الله للعبد وقد يرفعها
عن من تاب واحسن **فصل** ومن عقوبات الذنوب ذنوب ان شرعية وقدرية
فاذا اقيمت الشرعية رفعت العقوبات القدرية او خففتها ولا يكاد الرب تعالى
يجمع على عبده بين العقوبتين اذا لم يف احدهما برفع موجب الذنب ولم يكف
في زوال داءه واذا عطلت العقوبات الشرعية استحالت قدرية وربما كانت اشد
من الشرعية وان ما كانت دونها ولكنها نعم والشرعية اخص فان الرب تبارك وتعالى
لا يعاقب شرعا الا من باشر الجناية او بسبب اليها واما العقوبة القدرية فينتفع
عامة وخاصة فان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها واذا اعلنت ضرت
الخاصة والعامة واذا رأى الناس المنكر فاشتركوا في ترك انكاره او شك ان يعمهم
الله بعقابه وقد تقدم ان العقوبة الشرعية شرعها الله سبحانه على قدر مفسدة
الذنب وتقاضى الطبع له وجعلها سبحانه ثلثة انواع القتل والقطع والجلد
وجعل القتل بازاء الكفر وما يليه ويقرب منه وهو الزنا واللواط فان هذا
يفسد الاديان وهذا يفسد الانسان ونوع الانسان قال الامام احمد لا اعلم
بعد القتل ذنبا اعظم من الزنا واحتج بحديث عبد الله بن مسعود انه قال يا رسول
الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل
ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اي قال ان تزاني بحليلة جارك فانزل الله
سبحانه تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم
الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما الاية والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر
من كل نوع اعلاه ليطابق جوابه سؤال السائل فانه سئل عن اعظم الذنب فاجابه
بما تضمن ذكر اعظم انواعها وما هو اعظم كل نوع فاعظم انواع الشرك ان يجعل العبد
لله ندا واعظم انواع القتل ان يقتل ولده خشية ان يشاركه في طعامه وشرابه
واعظم انواع الزنا ان يزني بحليلة جاره فان مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف
ما انتهكه من الحق والزنا بامرأة التي لها زوج اعظم اثما وعقوبة من الزنا التي لا زوج
لها اذ فيه انتهاك حرمة الزوج وافساد فراشه وتعليق نسب عليه لم يكن منه
وغير ذلك من انواع اذاه فهو اعظم اثما وجرما من الزنا بغير ذات البعل فان

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان زوجها جارا له انضاف الى ذلك سوء الجوار واذا جاره باعلا انواع الاذا
وذلك من اعظم البوائق وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة
من لا يامن جاره بوائقه ولا بائقة اعظم من الزنى بامراته فالزنى بامراة الجار
للزوج لها ايسر عند الله من الزنا بامراة الجار فاذا كان الجار اخاله او قريبا من
اقاربه انضم الى ذلك قطيعة رحم فيتضاعف الاثم فان كان الجار في طاعة
الله كالصلوة وطلب العلم والجهاد تضاعف الاثم حتى ان الزاني بامراة الغازي
في سبيل الله يوقف له يوم القيمة ويقال خذ من حسناته ما شئت قال النبي
صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي ما ظنكم انه يترك له شيئا من حسناته فكيف في ان
ياخذ منها شيئا على شدة الحاجة الى حسنة واحدة حيث لا يترك الاب لابنه
ولا الصديق لصديقه حقا يجب له عليه فان اتفق ان تكون المراة رحما منه
انضاف الى ذلك قطيعة رحمها فان اتفق ان يكون الزاني محصنا كان الاثم اعظم
فان كان شيخا كان اعظم اثما وهو احد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا
يزكيهم ولهم عذاب اليم فان اقترن بذلك ان يكون في شهر حرام او بلد حرام
او وقت معظم عند الله كاوقات الصلاة واوقات الاجابة تضاعف الاثم وعلى
هذا فاعتبر مفاسد الذنوب وتضاعف درجاتها في الاثم والعقوبة والله المستعان

فصل وجعل القطع باداء افساد الاموال الذي لا يمكن الاحتراز منه
فان السارق لا يمكن الاحتراز منه لانه ياخذ المال في اختفاء وبتسور
ما عز الابواب كالصيف والحية التي تدخل عليك من حيث لا تعلم فلم تنفع
معه سرقته الى القتل ولا يندفع بالجلد فاحسن ما دفعت به مفسدة امانة
العضو الذي تسلط به على الجناية **وجعل** الجلد باداء افساد العقول وبمرتبة
الامراض بالقذف فدارت عقوبات سماه الشرعية على هذه الانواع الثلاثة
كما دارت الكفارات على ثلاثة انواع العتق وهو اعلاها والاطعام والصيام
ثم انه سماه جعل الذنوب ثلاثة اقسام فسماه في الحد فهذا لم يشرع فيه
كفارة اكتفاء بالحد وقسما لم يترتب عليه حد فشرع فيه الكفارات كالوطي
في نهار رمضان او الوطي في الاحرام والظهار وقتل الخطا والحنث في اليمين وعند ذلك

وقسما

وقسما لم يرتب عليه حدا ولا كفارة وهي نوعان احدهما ما كان الواقع
فيه طبعا كاكل العذرة وشرب الدم والبول والثاني ما كان مفسدته ادنى
من مفسدة ما رتب عليه الحد كالنظر والقبلة واللمس والمحادثة وسرقة فلس
ونحو ذلك وشرع الكفارة في ثلاثة انواع احدها ما كان مباح الاصل ثم
عرض تحريمه فاشبه في الحال التي عرض فيها التحريم كالوطي في الاحرام والصيام و
طرده الوطي في الحيض والنفاس بخلاف الوطي في الدبر ولهذا كان الحق بعض الفقهاء
له بالوطي في الحيض لا يصح فانه لا يباح في وقت دون وقت فهو بمنزلة اللواط وشرب
الخمر **النوع** الثاني ما عقد الله عليه يمينا او حلف باحد يمينا او حرمة الله ثم اراد حله
فشرع الله حله بالكفارة وسماها تحلة وليست هذه الكفارة ماحية لقبح حرمة
الاسم بالحنث كما ظنه بعض الفقهاء فان الحنث قد يكون واجبا وقد يكون مستحبا و
مكروها ومباحا وانما الكفارة حل لما عقده **النوع** الثالث ما يكون فيه جائزا لما فات
كفارة قتل الخطا ان لم يكن هناك اثم وكفارة قتل الصيد خطا فان ذلك من باب
الجوابر والنوع الاول من باب الزواجر والنوع الواسط من باب التحلة لما منعه
العقد ولا يجتمع الحد والتعزير في معصية بل ان كان فيها احد اكتفي بهما و
الاكتفا بالتعزير ولا يجتمع الحد والكفارة في معصية فيها الحد والكفارة بل
كل معصية فيها الحد فلا كفارة فيها وما فيه كفارة فلا حد فيه وهل يجتمع
التعزير والكفارة في المعصية التي لا حد فيها فيه وجهان وهذا كالوطي في
الصيام والاحرام ووطي الحائض اذا اوجبنا فيه الكفارة وقيل يجب التعزير لما
انتهك من الحرمة بركوب الجناية وقيل لا تعزير في ذلك اكتفاء بالكفارة فانها
جابرة وماحية **فصل** ومن العقوبات القدرية وهو نوعان نوع على
القلوب والنفوس ونوع على الابدان والاموال فالتي على القلوب نوعان احدهما
الالم وحدوده بضرب يضرب بها القلب والثاني قطع المواد التي بها حياته وصلاحه
عنه وافا قطعت عنه حصل اضدادها وعقوبة القلوب اساس العقوبات
وهي اصل عقوبة الابدان وهذه العقوبة تقوى وتزايد حتى تسري من القلب
الى البدن كما يسري الم البدن الى القلب فانا فارقت النفس البدن صار الحكم متعلقا

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

بها وظهرت عقوبة القلب حينئذ وصارت عيانية ظاهرة وهي المسمى بعذاب
القبر ونسبته الى البرزخ كنسبة عذاب الابدان الى هذه الدار **فصل**
والتي على الابدان ايضا نوعان نوع في الدنيا ونوع في الاخرة وسنذكرها وامثلها
بحسب مفاسد مارتبت عليه في الشدة والخفة فليس في الدنيا والاخرة شر
اصلا الا الذنوب فانها اسم لذلك كله واصله من شر النفس وسيات الاعمال
وهما الاصلان اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ منهما في خطبة بقوله
ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيات اعمالنا وسيات الاعمال من شرور
النفوس فعاد الشر كله الى شر النفس فان سيات الاعمال من فروعه وثمراته وقد
اختلف في معنى قوله من سيات اعمالنا هل معناه من السيء من اعمالنا فتكون
من باب اضافة النوع الى جنسه ويكون بعضا من وقيل معناه من عقوباتها
التي تسوء فتكون التقدير ومن عقوبات اعمالنا التي تسوءنا وبين حج هذا
القول ان الاستعاذة تكون قد تضمنت جميع الشر فان شرور النفس تستلزم
الاعمال السيئة وهي تستلزم العقوبات السيئة فنبه بشرور النفس على ما
يقتضيه من قبح الاعمال واستكفى بذكرها منه وهي اصله ثم ذكر غاية الشر
ومنتهاه وهي السيئات التي تسوء العبد من عمله من العقوبات والآلام فتضمن
هذه الاستعاذة اصل الشر وفرعه وغايته ومقتضاه ومن دعا الملكة
للمؤمنين وقوله وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فهذا
يتضمن وقايتهم من سيات الاعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها فانه سبحانه
متى وقاهم العمل السيء وقاهم جزاءه السيء وان كان قوله ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته اظهر في عقوبات الاعمال المطلوب وقايتها يومئذ
فان قيل فقد سالوه سبحانه ان يقيهم عذاب الجحيم وهذا هو وقاية
العقوبات السيئة فدل ان المراد بالكتاب التي سالوا وقايتها الاعمال السيئة
ويكون الذي سالته الملائكة نظير ما استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم والايرد على
هذا بومئذ فان المطلوب وقاية شرور سيات الاعمال وهي سيات في انفسها
قيل وقاية السيئات نوعان احدهما وقاية فعلها بالتوفيق فلا يصدر منها

والثاني وقاية جزائها بالمغفرة فلا يعاقب عليها فتضمنت الآية سوال الامرين فالطريق
تقييد الجملة الشرطية الاخيرة الطلبية وتامل ما تضمنه هذا الخبر عن الملكة
مما مدحهم بالايمان والعمل الصالح والاحسان الى المؤمنين بالاستغفار لهم وقدموا بين
يدي استغفارهم توسلهم الى الله سبحانه بسعة علمه وسعة رحمته فسعة علمه
يتضمن علمه بذنوبهم واسبابها وضعفهم عن المعصية واسبلاعدوهم و
انفسهم وهواهم وطباعهم وما زين لهم من الدنيا وزينتها وعلمه بهم اذ انشاهم
من الارض واذهم اجنة في بطون امهاتهم وعلمه السابق بانه لابد ان يعصوه فانه
يحب العفو والمغفرة وغير ذلك مما سعة علمه الذي لا يحيط به احد سواه **وسعة**
رحمته تتضمن انه لا يهلك عليه احدا من المؤمنين اهل التوحيد ومحبته فانه
واسع الرحمة لا يحرم من دائرة رحمته الا الاشقى والاشقى من لم تسعه رحمته
التي وسعت كل شيء ثم سالوه ان يغفر للتائبين وهم الذين اتبعوا سبيله وهو
صراطه الموصل اليه الذي هو معرفته ومحبته وطاعته فتابوا مما يكره واتبعوا السبيل
التي يحبها ثم سالوه ان يقيهم عذاب الجحيم وان يدخلهم والمؤمنين مما اعدهم
وزوجهم وذرياتهم جنات عدن التي وعدتهم بها فهو سبحانه وان كان لا يخلف
الميعاد فانه وعدهم بها بالسبب مما جعلها دعاء الملكة لهم بان يدخلهم الجنة
فدخولها برحمته التي وعدتهم بها فهو سبحانه منها ان وفقهم لاعمالها واقام
ملائكته يدعون لهم بدخولها ثم اخبر سبحانه عن الملكة انهم قالوا عقيب
هذه الدعوة انك انت العزيز الحكيم اي مصدر ذلك وسببه وغايته هادر عن
كمال قدرتك وكمال علمك فالعزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم وبهاتين الصفتين
يقضي سبحانه ما شاء ويامر وينهى ويثيب ويعاقب فهاتان الصفتان مصدر الخلق
والامر والمقصود ان عقوبات السيئات تنتوع الى عقوبات شرعية وقدرية
وهي اما في القلب واما في البدن واما فيهما وعقوبات في دار البرزخ بعد الموت
وعقوبات يوم حشر الاجساد فالذنب لا يخلو من عقوبة البتة ولكن بعد الموت
يجهل العبد لا يشعر لما هو فيه من العقوبة لانه بمنزلة السكران والمجنون و
النائم الذي لا يستيقظ الا الام فاذا استيقظ وصحي احس بالم فترتب العقوبات على

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذنوب كترتب الاحراق على النار والكسر على الانكسار والاحراق على الماء
فساد البدن على السموم والامراض على الاسباب الجالبة لها وقد تقارن المضرة
للذنب وقد تتاخر عنه اما بسبب اومدد كما يتاخر المرض عن سببه او بقارنة
وكثيرا مايقع الغلط للعبد في هذا المقام ويذنب الذنب فلا يرى اثره عقيبه
ولا يدري انه يعمل عمله على التدريج شيئا فشيئا كما تعمل السموم والاشياء الضارة
حذر والقدة بالقوة فان تدارك العبد نفسه بالادوية والاستفراغ والحمية
والا فهو صائر الى الهلاك هذا اذا كان ذنبا واحدا لم يتدارك بما يزيل اثره فكيف
بالذنب على الذنب كل يوم وكل ساعة والله المستعان **فصل** فدونك
فاستحضر بعض العقوبات التي رتبها الله سبحانه على الذنوب وجوز وصول بعضها
اليك وجعل ذلك داعيا للنفس الى هجرانها وانا اسوق لك منها طرفا تكتفي العاقل مع
التصديق ببعضه فمنها الختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار و
الاقفال على القلوب وجعل الاكنة عليها والرين عليها والطبع وتقليب
الافئدة والابصار والحيلولة بين المرء وقلبه واغفال القلب عن ذكر
الرب وانسى الانسان نفسه وترك ارادة الله تطهير القلب وجعل الصدر
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وصرف القلوب عن الحق وزيادتها
مرضا على مرضها وارکاسها ونکسها بحيث تبقى منكوسة كما ذكر الامام
احمد عن حذيفة بن اليمان انه قال القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج ازهر
فذلك قلب المؤمن وقلب اغلف فذلك قلب الكافر وقلب منكوس فذلك قلب
المنافق وقلب ممدد مادتان مادة ايمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما
ومنها التثبيط عن الطاعة والابعاد عنها ومنها جعل القلب اصم لا يسمع
الحق ابكم لا ينطق به اعمى لا يراه فيصير النسبة بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه
غيره كالنسبة بين اذان الاصم والاصوات وعين الاعمى والالوان ولسان الاخرس
والكلام وبهذا يعلم ان الصمم والبكم والعمى للقلب بالذات والحقيقة وللجوارح
بالعرض والتبعية فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمراد بنفي العمى الحسي عن البصر كيف وقد قال الله تعالى ليس على الاعمى حرج وقال عيسى

عليه السلام وابرئ الاكمه والابرص وانما المراد ان العمى التام في الحقيقة عمى القلب حتى ان اعمى
البصر بالنسبة اليه كالاعمى حتى انه يصح نفيه بالنسبة الى كماله وقوته كما قال صلى الله عليه وسلم
ليس الشديد بالصرعة ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقوله ليس المسكين بالطواف
الذي ترده اللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذي لا يسال الناس ولا يفطن له فيتصدق
عليه ونظائره كثيرة والمقصود ان من عقوبات المعاصي جعل القلب اعمى اصم ابكم **ومنها**
الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه فيخسف به الى اسفل سافلين وصاحبه لا
يشعر وعلامة الخسف به ان لا يزال حول الاحوال السفليات والقاذورات والرذائل
كما ان القلب الذي رفعه الله وقربه اليه لا يزال حول الاحوال العلية الاحوال البر والخير ومعالي الاعمال
والاقوال والاخلاق قاله بعض السلف ان هذه القلوب حوالة فمنها ما يحول
حول العرش ومنها ما يحول حول الكرسي ومنها مسخ القلب فيمسخ كما تمسخ الصور
فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في اخلاقه واعماله بحسب طبيعته فمن
القلوب ما يمسخ على خلق الخنازير لشدة شبه صاحبها بها ومنها ما يمسخ على
خلق كلب اهمار او حيه او عقرب وعيذ لك **وبهذا** فاويل سفيان بن عيينة
في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال منهم من
يكون على اخلاق السباع العادية ومنهم من يكون على اخلاق الكلاب واخلاق
الخنازير واخلاق الحمير **ومنهم** من يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاووس في زينته
ومنهم من يكون بليدا كالحمار **ومنهم** من يوثر على نفسه كالديك **ومنهم** من يالف ويوانس
كالحمام **ومنهم** لحقود كالجمل **ومنهم** من هو جيز كله كالغنم **ومنهم** اشباه الذئاب **ومنهم**
اشباه الثعالب التي ترتوع كل روغانها **وقد** شبه الله اهل الجهل والغي بالحمر تارة
وبالكلب تارة وبالانعام تارة وتقوى هذه المشابهة باطنا كما تظهر في الصور الظاهرة
ظهورا خفيا يراه المتفرسون ويظهر في الاعمال ظهورا يراه كل احد ولا يزال يقوى
حتى تستحيل الصورة فتنقلب له الصورة باذن الله وهذا هو المسخ
التام فينقلب الله سبحانه الصورة الظاهرة على صورة الحيوان كما فعل بالذين اعتدوا
واشباههم ويفعل بقوم من هذه الامة يمسخهم قردة وخنازير فتسمى
احدهم من قلب سلوك وصاحبه لا يشعر وقلب ممسوح وقلب مخسوف به قلم

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما مفتون بثناء الناس عليه ومغرور بستر الله عليه ومستدرج بنعم الله عليه وكل
هذه عقوبات واهانة ويظن الجاهل انها اكرامه ومنها مكر الله بالماكر وخداعه
للخادع واستهزاؤه بالمستهزئ وازاغته لقلب الزائغ عن الحق ومنها تعمى القلب حتى
يرى الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا ويفسد ويرى انه يصلح
ويصد عن سبيل الله وهو يرى انه يدعو اليه ويشترى الضلالة بالهدى وهو يرى انه
على الهدى فيتبع هواه وهو يزعم انه مطيع لمولاه وكل هذا من عقوبات الذنوب
الكاربة على القلب ومنها حجاب القلب عن الرب في الدنيا والحجاب الاكبر يوم القيمة
كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فمنعتهم الذنوب ان يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم فيصلوا
اليها فيرى ما يصلحها ويزكيها وما يفسدها ويشقيها وان يقطعوا المسافة
التي بين قلوبهم وبين ربهم فتصل القلوب اليه فيفوز بقربه وكرامته وتوجه
عينا وتطيب بنفسا بكل كانت الذنوب حجابا بينهم وبين ربهم وحالتهم ومنها
المعيشة الضنك في الدنيا والبرزخ والعذاب في الاخرة قال الله تعالى ومن اعرض عن
ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وفسرت المعيشة الضنك
بعذاب القبر والاريب انه من المعيشة الضنك والاية تتناوله ما هو اعم منه وان كانت
نكرة في سياق الاثبات فان عمومها من حيث المعنى فانه سبحانه رتب المعيشة بحسب
اعراضه وان تنعم في الدنيا باصناف النعيم ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات
التي تقطع القلوب والامانى الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه وانما تواريه سكرات
الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة فان لم ينضم الى ذلك سكر الخمر فسكر
هذه الامور اعظم من سكر الخمر فانه يفيق صاحبه ويصحو وسكر الهوى وحب
الدنيا لا يفيق الا اذا صار في عسكر الاموات فالمعيشة الضنك لازمة لمن
اعرض عن ذكر الله تعالى الذي انزله على رسوله في دنياه والبرزخ وفي معاده ولا
تقر العين ولا يهتدي القلب ولا تطمئن النفس الا بالههما ومعبودها الذي هو
حقا وكل معبود سواه باطل فمن قرت عينه بالله قرت منه كل عين ومن لم تقر عينه
بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات والله تعالى انما جعل الحيوة الطيبة لمن

امن

امن به وعمل صالحا كما قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه
حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم احسن ما كانوا يعملون فضمن لاهل الايمان و
العمل الصالح الجزاء في الدنيا والحيوة الطيبة وبالحسنى يوم القيمة فلهم الطيب
الحياتين وهم احياء في الدارين ونظير هذا قوله واذ استغفروا ربكم ثم توبوا
اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويوت كل ذي فضل فضله فقارن المغفورة
المحسوبة بنعيم الدنيا والاخرة وحصلوا على الحيوة الطيبة في الدارين فان
طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذاته وابتهاجه وطمانينته وانشراحه
وقوته وسعيه وعافيته من الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم
على الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن اليه وقد كان يقول لبعض من ذاق هذه
اللذة لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وقال اخر انه
يمر بالقلب اوقات اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب
وقال اخر ان في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الاخرة وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه الجنة
بقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ولا يظن ان قوله ان الابرار ليفي نعيم
وان الفجار في جحيم تختص بيوم المعاد فقط بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة
وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة واي لذة ونعيم في الدنيا اطيب من برد القلب
وسلامة الصدر ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته وهل العيش
في الحقيقة الا عيش القلب السليم وقد اثنى الله تعالى على خليله بسلامة قلبه قال
وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم والقلب السليم هو الذي سلم
من الشرك والغل والحقد والحسد والغش والكبر وحب الدنيا والرياسة فسلم من
كل فعل يبعد من الله وسلم من كل سبعة تعارض خبره وسلم من كل ارادة تزاحم
مراده وسلم من كل قاطع يقطع عن الله فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا
وفي جنة البرزخ وفي جنة يوم المعاد ولا تتم له سلامة مطلقا حتى يسلم من جنة
اشياء من شرك يناقض التوحيد وبدعة تخالف السنة ونهوة تخالف الامر

وغفلة تناقض الذكر وهو ينافض التجريد والاخلاص وهذه الخمسة تحت عموم
الله وتحت كل واحد منها انواع كثيرة تتضمن افراد الاشخاص ولذلك اشتدت
حاجة العبد بل ضرورته الى ان يسأل الله ان يهديه الصراط المستقيم فليس العبد احوج
منه الى هذه الدعوة وليس شئ انفع له منها فان الصراط المستقيم يتضمن علوم ها
وارادات واعمالا وتروكات ظاهرة وباطنة تجري عليه كل وقت فتفاصيل الصراط
المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها وقد يكون مما لا يعلمه اكثر مما يعلمه ومايعلمه
وما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وهو من الصراط المستقيم وان عجز عنه وما هو لا يقدر
عليه قد تزيل نفسه وقد لا تزيله كسلا وتهاونا او لقيام مانع وغير ذلك واما تزيله
قد تفعله وقد لا تفعله وما تفعله قد تقوم فيه بشروط الاخلاص وقد لا
تقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا تقوم وما تقوم فيه بالمتابعة وقد تثبت عليه
وقد تصرف قبله عنه وهذا كله واقع سار في الخلق مستقل ومستكثر وليس في
طباع العبد الهداية الى ذلك بل متى وكل الى طاعته حيل بينه وبين ذلك كله
وهذا هو الاركاس الذي اركس الله به المنافقين بذنوبهم فاعادهم الى طباعهم
وما جبلت عليه نفوسهم من الجهل والظلم والترب تبارك وتعالى على صراط مستقيم
في قضائه وقدره وامره ونهيه فيهدي من يشاء الى صراط مستقيم بعدله وحكمته
لعدم صلاحية المحل وذلك موجب صراطه المستقيم الذي هو عليه فهو على
صراط مستقيم ونصب لعباده من امره صراطا ودعاهم جميعا اليه محجة منه
وعدلا وهدى من يشاء منهم الى سلوكه نعمة منه وفضلا ولم يخرج بهذا العدل
وهذا القضاء عن صراطه المستقيم الذي هو عليه فاذا كان يوم القيامة نصب لخلقه
صراطا مستقيما يوصلهم الى جنته ثم صرف عنه من صرف عنه في الدنيا واقام
عليه من اقامه عليه في الدنيا وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وما جاء به الذي كان
في قلوبهم في الدنيا نورا ظاهرا يسعى بين ايديهم وبايمانهم في ظلمة الحشر وحفظ عليهم
نورهم حتى قطعوه كما حفظ عليهم الايمان به حتى لقوه واطفأ نور المنافقين الذين احبط
عملهم كما نفى اليه كما اطفاء من قلوبهم في الدنيا واقام اعمال العصاة بحسب ما
وحسكما يخطفهم في الدنيا عن الاستقامة عليه وجعل قوة سيرهم وسرعتهم

على قدر

على قدر قوة سيرهم وسرعتهم الى الله في الدنيا وبحسب الموفين حوضا شربوه
منه بمقدار اشربهم مما شرعه في الدنيا وحرم من الشرب هناك من حرم مما شرعه
مما شرعه ودينه هاهنا فانظر الى الاخرة كما تكون رأي عين وتامل حكمة الله سبحانه
في الدارين تعلم حينئذ علما يقينا لا شك فيه ان الدنيا مزرعة الاخرة وعنوانها
وانموذجها وان منازل الناس فيها في السعادة والشقاوة على حسب مناذرهم في
هذه الدار في الايمان والعمل الصالح وضدهما وبالله التوفيق فمن اعظم عقوبات
الذنوب الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والاخرة فصل والذنوب
الذنوب متفاوتة في درجاتها ومفاسدها تفاوتت عقوباتها في الدنيا و
الاخرة بحسب تفاوتها ونحن نذكر فيها بعون الله وتوفيقه فضلا وخيرا
جامعا فنقول اصلها نوعان ترك ما امر به وفعل محظور وهما اللذان ابتلى الله سبحانه بهما ابوي الجن والانس وكلاهما ينقسم باعتبار محله
الى ظاهر على الجوارح وباطن في القلب وباعتبار متعلقه الى حق الله وحق
لخلقه وان كان كل حق فهو متضمن لحق الله كما سمي حقا للخلق يجب عطاؤه لهم
ويسقط باسقاطهم ثم هذه الذنوب تنقسم الى اربعة اقسام ملكية وشيطانية
وسبعية وبهيمية ولا يخرج عن ذلك فالذنوب الملكية ان يتعاطاها لا
يصلح الا من الصفات الربوبية كالعظمة والكبرياء والجبروت والقهر والعلو
والتعباد الخلق ونحو ذلك ويدخل في ذلك الشرك بالرب تعالى وهو نوعان شرك
به في اسمائه وصفاته وجعل الهة اخرى معه وشرك به في معاملته وهذا
الثاني قد لا يوجب خلود النار وان احبط العمل الذي اشرك فيه مع الله غيره
وهذا القسم اعظم انواع الذنوب ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وامره
فمن كان من اهل هذه الذنوب فقد نازع الله سبحانه في ربوبيته وملكه وجعل
له ندا وهذا اعظم الذنوب عند الله ولا ينفع معه عمل فصل واما الشيطانية
فالتشبه بالشيطان في الحسد والبغي والغش والغل والخداع والمكر والامر بمعاصي الله
وتحسينها والنهي عن طاعته وتهجينها والابتداع في دينه والدعوة الى البدع و
الضلال وهذا النوع على النوع الاول في المفسدة وان كانت مفسدته دونه
فصل واما السبعية فذنوب العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب

Copyright King Saud University
المكتبة الشاملة
الألوكة
www.alukah.net

للحرمة والتوثب قالوا ويدل على هذا ان المعصية تتضمن الاستهانة بامر
المطاع ونهيه وانتهاك حرمته وهذا الفرق فيه بين ذنب وذنب قالوا
فلا ينظر العبد الى كبر الذنب وصغره في نفسه ولكن ينظر الى قدر من عصاه
وعظمته وانتهاك حرمته بالمعصية وهذا لا يفترق فيه الحال بين معصية
ومعصية فان ملكا مطاعا عظيما لو امر احد مملوكيه ان يذهب في مهم له الى
بلد بعيد وامر اخر ان يذهب في شغل له الى جانب الدار فعصياه وخالفاه
في امره لكانا في مقته والسقوط في عينه سواء قالوا ولهذا كانت معصية
من ترك الحج من مكة وترك الجماعة وهو جار المسجد افتح عند الله من معصية
من ترك ذلك من المكان البعيد فالواجب على هذا اكبر مما الواجب على هذا ولو كان
مع رجل مائتا درهم تمنع زكاتها ومع اخر مائتا الف الف تمنع الاستواء في
منع ما وجب على كل واحد منهما ولا يبعد استواؤهما في العقوبة اذ كان
كل منهما مصرا على منع زكوة ماله قليلا كان المال او كثيرا **فصل** تكشف
الغطاء عن هذه المسئلة ان يقال ان الله عز وجل ارسل رسله وانزل كتبه و
خلق السموات والارض ليعرف ويوحد ويعبد ويكون الدين كله لله والالهة
كلها له والدعوة له كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقال الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس والشهر الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم فاخبر سبحانه
ان القصد بالخلق والامر ان يعرف باسمائه وصفاته ويعبد وحده لا شريك له
وان يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والارض
كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط فاخبر انه ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس
بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والارض كما قال تعالى

لقد ارسلنا

لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
فاخبر انه ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل وان
اعظم القسط التوحيد بل هو اساس العدل وقوامه وان الشرك لظلم عظيم فالشرك
اظلم الظلم والتوحيد اعدل العدل فما كان اشد منافاة لهذا المقصود فهو اكبر
الكبائر وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له ومهما كان اشد موافقة لهذا
المقصود فهو اوجب الواجبات واوفى الطاعات فتامل هذا الاصل حق التامل
واعتبر به تفاصيله تعرف به حكمة احكم الحاكمين واعلم العالمين فيما فرض على عباده
وحرمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي فلما كان الشرك بالله منافيا بالذات
لهذا المقصود كان اكبر الكبائر على الاطلاق وحرم الله الجنة على كل مشرك وابا حدمه وقاله
واهله وولده لاهل التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته
وابى الله ان يقبل من مشرك عملا او يقبل فيه شفاعة او يستجيب لنبي في الاخرة دعوة
او يقبل له فيها عثرة فان الشرك اجهل الجاهلين بالله حيث جعل لم يصمد ونه
ندا وذلك غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه
ووقعت مسئلة وهي ان المشرك انما قصده تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى فانه
لعظمته لا ينبغي الدخول عليه الا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لا يقصد
الاستهانة بجناب الربوبية وانما قصد تعظيمه وقال انما اعبد هذه الوسائط
ليقربني اليه وتد خلني عليه فهو المقصود وهذه وسائل وشفعاء فلما كان القدر
موجبا لسخطه وغضبه تبارك وتعالى ومخلدا في النار وموجبا لسفك دماء صحابه
واستباحة حريمهم واموالهم ويترتب على هذا سؤال اخر وهو انه هل يجوز ان يشرع
الله سبحانه التقرب اليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا انما استفيد من
الشرع ام ذلك قبيح في الفطر والعقول من قبح الذي هو اقبح مما كمل قبيحه وما الذي
كونه لا يغفر مما بين سائر الذنوب كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء فتامل هذا السؤال واجمع قلبك وذهنك على جوابه ولا
تستهوينك فانه به يحصل الفرق بين المشركين والموحدين والعالمين والجاهلين
واهل الجنة واهل النار فنقول وبالله التوفيق والتاييد ومنه نستمد المعونة

والتسديد فانه من يهد ي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وكما مانع
لما اعطى ولا معطي لما منع الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه
وصفاته وافعاله وشرك معلق في عبادته ومعاملته وان كان صاحبه
يعتقد انه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله والشرك
الاول نوعان احدهما شرك التعطيل وهو انواع انواع الشرك كشرك فرعون
اذ قال وما رب العالمين وقال لهامان ابن لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني
لاظنه من الكاذبين والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل
معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم اصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق
سبحانه وصفاته ولكنه عطل حق التوحيد واصل الشرك قاعدته التي يرجع اليها
هو التعطيل وهو ثلاثة اقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه عن خالقه
وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل اسمائه واوصافه وافعاله والتعطيل
معاملة عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن هذا شرك طائفة اهل
وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا هاهنا شيئان بل
الحق هو عين الخلق المشهود ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم و
ابديته وانه لم يكن معدوما اصلا بل لم يزل ولا يزال والحوادث باسرها مستندة
عندهم الى اسباب ووسائط اقتضت اتحادها يسمونها العقول والنفوس وهذا
شرك من عطل اسماء الرب تعالى واوصافه وافعاله من غلاة الجهمية ومن
اقر لفظه فلم يثبت له اسما ولا صفة بل جعلوا المخلوق الكامل منه اذا كمال الله
باسمائه وصفاتها **فصل** النوع الثاني شرك من جعل معه الها اخر ولم
يعطل اسماءه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى الذين جعلوا ثالثة
ثلاثة فجعلوا المسيح الها وامه الها ومن هذا شرك المجوس القائلين بكثرة
حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة ومن هذا شرك القدرية
القائلين بان الحيوان هو الذي يخلق افعال نفسه والها حدثت بدون
مشيئة الله تعالى وقدرته وارادته ولهذا كانوا اشباه المجوس ومن هذا شرك
الذي حاج ابراهيم في ربه اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي

واميت

واميت فهذا الذي جعل نفسه ندا لله تعالى يحيي ويميت بزعمه كما يحيي الله
ويميت فالزمه ابراهيم ان طرد قوله ان تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة
التي ياتي بها الله منها فليس هذا سؤالا كما زعم بعض اهل الجدل بل الزمه على
طرد الدليل ان كان حقا ومن هذا كثير شرك من يشرك بالكواكب العلويات
ويجعلها اربابا مدبرة لامر هذا العالم كما هو مذهب شركي الصابية وغيرهم
ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم **ومن** هؤلاء من يزعم
ان معبوده هو الاله الحقيقة **ومنهم** من يزعم ان معبوده اكبر الالهة **ومنهم** من
يزعم انه اله من جملة الالهة وانه اتخذه خصه بعبادته والتبتل اليه والانقطاع
اليه اقبل عليه واعتنى به **ومنهم** من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى
المعبود الذي هو فوقه والفوقاني يقربه الى من هو فوقه حتى يقربه تلك
الالهة الى الله سبحانه وتعالى فنارة تكثر الوسائط وتارة تقل **فصل** واما
الشرك في العبادة فهو اسهل من هذا الشرك واخفه امر فانه يصدر ممن يعتقد
انه لا اله الا الله وانه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع الا الله وانه لا اله غيره
ولا رب سواه ولكن لا يخلص في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه تارة
ولطلب الدنيا تارة ولطلب الرفعة تارة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة فلله
من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه نصيب ولشيطانه نصيب و
للخلق نصيب وهذا حال اكثر الناس وهو الشرك الذي قال فيه النبي صلى
الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه الشرك في هذه الامة اخفى من
دبيب النمل قالوا كيف ننجو منه يا رسول الله قال قولي اللهم اني اعوذ
بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم فالويل كل الويل لمن اشرك **قال الله تعالى**
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي كما انه الله واحد لا اله
سواه فكذلك يجب ان تكون العبادة له وحده فكما تفرد بالالوهية يجب
ان يفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المفيد بالنسبة وكان
من دعاء عمر رضي الله عنه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك الكريم

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

خالصا ولا يجعل لاحد فيه شيئا وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل وقد
يعاقب عليه اذا كان العمل واجبا فانه بترك منزلة من لم يعمله فيعاقبه على ترك
الامرفان الله سبحانه انما امر بعبادة خالصة وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما امر به بل الذي اتى به شيئا غير
المامور به فلا يصح ولا يقبل منه ويقول الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك
من عمل عملا اشرك معي فيه غيري وهو الذي اشرك به وانا منه بريء وهذا الشرك
ينقسم الى مغفور والى غير مغفور واكبر واصغر والنوع الاول ينقسم الى كبير
واكبر وليس شيء منه مغفورا فيه الشرك بالله في المحبة والتعظيم اذا يحب مخلوقا
كما يحب الله فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله وقال اصحاب هذا الشرك الاكبر لالهتهم وقد جمعتهم الجحيم تالله ان كنا
لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم ما سوونهم به سبحانه في الخلق
والرزق والامانة والاحياء والملك والقدرة وانما سوونهم به الحب والتاله و
الخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الظلم والجهل فكيف يسوى التراب برب
الارباب وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب فكيف يسوى الفقير بالذات
الضعيف بالذات العاجز بالذات المحتاج بالذات الذي ليس له من ذاته
الا العدم الفقير بالذات القادر بالذات الذي غناؤه وقدرته وملكه وجوده
واحسانه وعمله ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته فاي ظلم اقبح
من هذا واي حكم اشد جورا منه حيث عدل من لا عدل له بخلقه كما قال تعالى
الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون فعدل المشرك من خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
فيالك من عدل تضمن اكبر الظلم واقبح

فصل ويتبع هذا الشرك الشرك

به سبحانه في الافعال والاقوال كالسجود لغير الله والطواف لغير بيته وتعليق
الرقى عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الاحجار غير الحجر الاسود الذي هو

يمينه في الارض او يقبل القبور واستلامها والسجود لها وقد لعن النبي صلى الله
عليه وسلم من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد يصلي لله فيها فكيف من
اتخذ القبور اوثانا يعبدها من دون الله ففي الصحيح عنه انه قال لعن
الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفي الصحيح عنه ايضا ان من
شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد
وفي الصحيح ايضا عنه انه من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا
تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك وفي مسند الامام احمد وصحيح
ابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها
المساجد والسرج اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
وقال ان من كان قبلكم كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره
مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة فهذا
حال من يسجد لله في مسجد على قبر فكيف حال من يسجد للقبر نفسه وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقد حمى النبي صلى الله عليه
وسلم جانب التوحيد اعظم حماية حتى نهى عن صلاة التطوع عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا تكون ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين
يسجدون لها فهاتين الحالتين وسد الذريعة بان منع من الصلاة بعد
العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما
للشمس واما السجود لغير الله فقال لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد الا لله ولا
ينبغي في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الذي هو في غاية الامتناع كقوله وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقوله وما
تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وقولهم عن الملائكة ما كان ينبغي لنا ان
نتخذ من دونك من اولياء

فصل ومن الشرك بسبحانه الشرك به في اللفظ

كالحلف بغيره كما رواه احمد وابو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله
فقد اشرك صححه الحاكم وابن حبان وفي لفظ الترمذي من حلف بغير الله فقد كفر
كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

لله نذا قل ما شاء الله وحده هذا مع ان الله اثبت للعبد مشيئة كقوله لمن
شاء منكم ان يستقيم فكيف بمن يقول انا متوكل على الله وعليك وانا بحسب الله
وحسبك ومالي الا الله وانت وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله
وبركاتك والله لي في السماء وانت لي في الارض ويقول والله وحياة فلان
او يقول نذر لله ولفلان او انا تائب الى الله والى فلان او ارجو الله و
فلانا وكونوا ذلك فوازن بين هذه الالفاظ وبين قول القائل ما شاء الله و
شئت ثم انظر ايها اخشى بتبين لك ان قائلها او لا جواب كرسول الله
صلى الله عليه وسلم القائل تلك الكلمة وانه كان قد جعله ندا بها فهذا قد جعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من الاشياء لعله ان يكون من
اعداده نذا لرب العالمين والسجود والعبادة والتوكل والانابة والتقوى
والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل
والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبدا والطواف بالبيت
والدعاء كل ذلك يخص جوا الله الذي لا ينبغي ولا يصلح لسواه من ملك مقرب
او نبي مرسل وفي مسند الامام احمد ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم قد اذنب
ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال
قد عرف الحق لاهله **فصل** واما الشرك في الارادات والنيات فذلك
البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن اراد بعمله غير وجه الله او نوى
شيئا غير التقرب اليه وطلب الجزاء منه فقد اشرك في نيته وارادته
والاخلاص ان يخلص سره وعلانيته وارادته ونيته وهذه هي الحنيفية
ملة ابراهيم التي امر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من احد غيرها وهي حقيقة
الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين
وهي ملة ابراهيم التي من رغب عنها فهو من اسفه السفهاء **فصل**
واذا عرفت هذه المقدمة انفتح لك باب الجواب عن الشرك المذكور
فنقول ومن الله وحده نستمد الصواب حقيقة الشرك هو التشبيه بالله
والتشبيه للمخلوق به هذا هو التشبيه في الحقيقة لاثبات صفات الكمال

التي وصف الله

التي وصف الله بها نفسه ووصف بها رسوله سبحانه فعكس من نكس الله
قلبه واعمى بصيرته واركسه بنكسة الامر وجعل التوحيد تشبيها والله
التشبيه تعظيما وطاعة فاشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص
الالهية فان من خصائص الالهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع
وذلك يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده فمن علق
ذلك بمخلوق فقد شبه بالخالق وجعل ممن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا
موتا ولا حيوة ولا نشورا فضلا عن غيره تشبيها لمن له الامر كله وازمة
الامور كلها بيده ومرجعها اليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما اعطى
ولا معطي لما منع بل اذا فتح لعبده باب الرحمة لم يمسكها احد وان امسكها عنه
لم يرسلها اليه احد فمن اقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات
القادر بالذات الغني بالذات وهو خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع
الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة
كلها له وحده والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة و
التوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب
عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له وحده ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة ان تكون
لغيره فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له
ولا مثل له ولا ند له وذلك اقبح التشبيه وابطله واشده واقبحه وتضمنه
غاية الظلم اخبر عباده انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة وهي خصائص
الالهية العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما غاية الحب
مع غاية الذل هذا تمام العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب
تفاوتهم في هذين الاصلين فمن اعطى حبه وخضوعه وذله لغير الله فقد
شبهه به في خالص حقه وهذا من المحال ان يجيء به شريعة من الشرائع و
قبحه مستقر في كل فطرة وعقل ولكن غيرت الشياطين فطر اكثر الخلق وعقولهم
فافسدتها عليهم واختارها عنها ومضى على الفطرة الاولى من سبقت له
من الله الحسنى فارسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه بما يوافق فطرهم

وعقولهم فازداد وابذلك نورا على نور يهدى الله لنوره من يشاء اذا
عرفت هذا فمن خصائص الالهية السجود فمن يسجد لغير الله فقد سبه المخلوق
به ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد
شبهه به ومنها الحلف باسمه تعظيما واجلالا فمن حلف بغيره فقد شبهه به هذا
في جانب التشبيه واما في جانب التشبيه فمن تعاظم ودعا الناس الى اطرائه في المدح
والتعظيم والخضوع والرجاء وتعلق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة
فقد تشبه بالله ونازعه ربوبيته والهيته وهو حقيق بان يهينه الله غاية
الهوان ويذله غاية الذل ويجعله تحت اقدام خلقه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته
وان كان المصور الذي يصنع الصور يدرج من اشد الناس عذابا يوم القيمة لانه
تشبهه بالله في مجرد الصنعة فما الظن بالمشبه في الله في الربوبية والالهية
كما قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة المصورون يقال لهم احيوا
وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الله عز وجل ومن اظلم مما ذهب يخلق كخلقي
فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فتبنه بالذرة والشعيرة على ما هو اعظم منهما
واكبر والمقصود ان هذا حال من تشبه به في صنعة صورة فكيف حال من تشبه
به في خواص ربوبيته والهيته وكذلك من تشبه به بالاسم الذي لا ينبغي الا لله
وحده كملك الاملاك وحاكم الحكام وكونه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان اخنع الاسماء عند الله رجل تسمى بشاهان شاه ملك الملوك لا ملك
الا الله وفي لفظ اغيظ رجل على الله رجل تسمى بملك الاملاك وهذا مقت الله و
غضبه على من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي الا له فهو سبحانه ملك الملوك وحده
وهو حاكم الحكام وحده فهو الذي يحكم على الحكام كلهم ويقضي عليهم كلهم لا يمنع

فصل واذا تبين هذا فها هنا اصل عظيم يكشف سر المسئلة وهو ان اعظم
الذنوب عند الله اساءة الظن به فان المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس
وظن به ما ينافي اسماءه وصفاته ولهذا ما ظن عبد الله سبحانه الا ظن به ما يسوء
بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم

جهنم وساءت مصيرا وقال تعالى انكر صفة من صفاته وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
اردكم فاصبحتم من الخاسرين وقال عن خليله ابراهيم انه قال لقومه ماذا تعبدون ا
ائفكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي شيء ظنكم ان يجازيكم اذا لقيتموه
وقد عبدتم غيره وما ظننتم به حيث عبدتم معه غيره وما ظننتم باسمائه وصفاته و
ربوبيته من النقص حتى احوجكم ذلك الى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو اهله من
انه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه وانه
قائم بالقسط على خلقه وانه المتفرد بتدبير خلقه لا شريك له في شيء من الامور
الامور فلا يخفى عليه خافية من خلقه والكافي لهم وحده فلا يحتاج الى معين ولا ظهير
بذاته فلا يحتاج في رحمته الى من يستعطفه وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من ابناء الدنيا
من الرؤساء فانهم يحتاجون الى من يعرفهم احوال الرعية وحوائجهم والى من يعينهم
على قضاء حوائجهم والى من ييسر عليهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا الى الوسائط
ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم فاما القادر على كل شيء والغني بذاته
عن كل شيء العالم بكل شيء الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء فما دخال الوسائط
بينه وبين خلقه ينقص لحق ربوبيته والهيته وتوحيده وظن به ظن السوء وهذا
يستحيل ان يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر وفيه مستقر في العقول السليمة
فوق كل قبيح يوضح هذا ان العابد معظم لمعبوده متذلل خاضع ذليل له والرب
تعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والاجلال والتذلل والخضوع والذل
وهذا خالص حقه فمن اقبح الظلم ان يعطى حقه لغيره او يشرك بينه وبينه فيه
ولا سيما اذا كان الذي جعله شريكه في حقه هو عبده ومملوكه كما قال تعالى ضرب لكم مثلا
من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم
كخيفتكم انفسكم اي اذا كان احدهم يانف ان يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف
يجعلون لي عبيدي شركاء فيما انا منفرد به وهي الالهية التي لا ينبغي لغيري ولا
يصلح لسواي فمن زعم لي ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي ولا
افردني بما انا منفرد به ومحمدي دون خلقي فما قدر الله حق قدره من عبد معه
غيره كما قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه ضعف
الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فما قدر الله حق
قدره من عبد معه من لا يقدر على خلق اضعف حيوان واصغره وان سلبه الذباب
شيئا مما عليه لم يقدر على استنقاذه منه وقال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون
فما قدروه حق قدره ان اشركوا معه الضعيف الذليل وكذلك ما قدره حق قدره من قال انه لم يرسل
رسولا الى خلقه ولا انزل كتابا بل نسبه الى ما لا يليق به وكما يجب من اهمال خلقه
وتضييعهم وتركهم سدى وخلقهم باطلا عبثا ولا قدره حق قدره من نفا حقائق
اسمائه الحسنى وصفاته العلى فنفى سمعه وبصره وارادته واختياره وعلوه فوق
خلقه وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريده ونفى عموم قدرته ومشيئته وجعلهم يخلقون
افعالهم ما يشاؤن بدون مشيئة الرب فيكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون
تعالى الله عن قول اشباه قول المجوس علوا كبيرا وكذلك ما قدره حق قدره من قال
انه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد ولا له عليه قدرة ولا تاثير له فيه البتة
بل هو نفس فعل الرب جل جلاله فيعاقب عبده على فعله هو سبحانه الذي جبر العبد
عليه وجبره على الفعل اعظم من اكراه المخلوق للمخلوق واذا كان من المستقر في
الفطر والعقول ان السيد لو اكره عبده على فعل وجاء اليه ثم عاقبه عليه لكان
قبيحا عند العادلين وارحم الراحمين واحكم الحاكمين كيف يجبر العبد على فعل
ثم يعاقبه عليه عقوبة الابد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقول هؤلاء اشر من قول
اشباه المجوس والطائفتان ما قدروا الله حق قدره وكذلك ما قدره من لم
يصفه عن بخل والاحتياج والامكان يرغب عن ذكره بل جعله في كل مكان وصانه
عن عرشه ان يكون مستويا عليه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح ويعرج

الملئكة

الملئكة بالروح اليه وتنزل من عنده وتدبر الامر من السماء الى الارض ثم يرجع
اليه وضاق عن استوائه على سرير الملك ثم جعله في كل مكان بائف الانسان بل
غيره من الحيوان ان يكون فيه وما قدره حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته
ورافته ورضاه وغضبه وعفوه ولاما من نفى حقيقة حكمته التي هي الغايات
المحمودة المقصودة بفعله ولاما من نفى حقيقة فعله ولم يجعله له فعلا
اختياريا يقوم به بل افعاله مفعولات منفصلة عنه فنفى حقيقة محبته
وانابته واستوائه على عرشه وتكليمه موسى من جانب الطور بجميع هذه القسمة
لفصل القضايا بين عباده بنفسه الى غير ذلك من افعاله واوصاف كماله
الذي نفوها وان غمو انهم بنفيها قد قدروه حق قدره وكذلك لم يقدره
حق قدره من جعله له صاحبة وولدا وجعله كل في مخلوقاته او جعله
على هذا الوجود وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه رفع اعداء رسوله
واهل بيته واعلى ذكرهم وجعل الله فيهم الملك والخلافة والعز ووضع اولياء
رسوله واهل بيته واهانهم واذلهم وضرب عليهم الذلة اينما ثقفوا وهذا
يتضمن غاية القدح في الرب تعالى عن قول الرافضة علوا كبيرا وهذا القول
مشتق من قول اليهود والنصارى في رب العالمين انه ارسل ملكا ظالما
فادعى النبوة لنفسه وكذب على الله ومكث زمانا يكذب عليه كل وقت و
يقول قال كذا وامر كذا وهي عن كذا وينسخ شرائع انبيائه ورسله
وتسبيح وما اتباعهم واموالهم وحريمهم ويقول الله اباح لي ذلك والرب
تعالى يظهر ويؤيده ويعليه ويعزه ويجيب دعوته ويمكنه ممن خالفه ويقيم
الادلة على صدقه والايات التي لا يقدر احد ان يظهرها فيصدقه بقوله وفعله وهم
يقرون ويحدث ادلة تصدق شيئا بعد شيء ومعلوم ان هذا يتضمن اعظم
القدح والطعن في الرب سبحانه وحكمته ورحمته وربوبيته تعالى الله عن قول
الجاحدين علوا كبيرا فوازن بين قول هؤلاء وقول اخوانهم من الرافضة تجد القولين
كما قال الشاعر ضيعني لبان ندي لم تحالفا ... باسحم داج عوض لا يتفرق وكذلك لم
يقدره حق قدره من قال انه يجوز ان يعذب اولياءه وما له يعصه طرفة عين و

تقاسما

يد خلهم دار الجحيم وبئس اعداد وهي لم يوهن به طرفة عين ويد خلهم دار
النعيم وان كلا الامرين بالنسبة اليه سواء وانما الخير المحض جاء عنه بخلاف
ذلك فقضاه للخير لا لمخالفة ذلك حكمه وعدله وقد انكر سبحانه على من جوز
عليه ذلك غاية الانكار وجعل الحكم به من اسوء الاحكام وكذلك لم يقدره
حق قدره من زعم انه لا يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ولا يجمع خلقه ليوم
يجازي المحسن فيه باحسانه والمسيئ باسائته ويأخذ المظلوم فيه حقه من
ظالمه ويكرم المتحملين للمشاق في هذه الدار من اجله وفي مرضاته بافضل
كرامته وبين لخلقه الذي يختلفون فيه ويعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
وكذلك لم يقدره حق قدره من هان عليه امره فعصاه ونهيه فارتكبه وعنه
فضيعه وذكره فاهله وغفل عنه وكان هواه اثر عنده من طلب رضاه وطاعة
المخلوق اهم عنده من طاعته فسلط الفضل من قلبه وجوارحه وعمله وسواه
المقدم في ذلك لانه المهم عنده بنظر الله اليه واطلاعه عليه وهو في قبضته
وناصيته بيده ويعظم نظر المخلوق فالتفات اليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه
فيستحيي من الناس ولا يستحيي من الله ويخشى الناس ولا يخشى الله ويعامل الخلق
بافضل ما يقدر عليه وان عامل الله عامله باهون ما عنده واحقرهم وان
قام في خدمة الاله من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة فمنع
له قلبه وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه حتى اذا قام في حق ربه ان ساعده
القدر قام فيما لا يرضى بمثله مخلوق من مخلوق وبذل له من ماله ما يستحي
ان يوجه به مخلوق لمثله فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه وهل قدره
حق قدره من شارك بينه وبين عبده في محض حقه من الاجلال والتعظيم
والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء فلو جعل له من اقرب الخلق اليه
شريكا في ذلك لكان ذلك جراءة وتقولا على محض حقه واستهانة به وشريكا
بينه وبين عبده فيما لا ينبغي ولا يصلح الا له سبحانه وتعالى وانما اشرك بينه و
بين عبده على الحقيقة فانما عبد من دون الله الا الشيطان كما قال تعالى الم
اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين
وهذا هو الذي اعهده اليكم

فما عبد احد من بني ادم غير الله كائنا ما كان الا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع
العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له واشراكه
مع الله الذي هو غاية رضى الشيطان وهذا قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر
الجن قد استكثرتم من الانس وقال اوليائهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا
الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم
فهذه اشارة لطيفة الى السر الذي لاجله كان الشرك اكبر الكبائر عند الله وانه لا
يغفر بغير التوبة منه وانه يوجب الخلود في العذاب في النار وانه ليس كغيره
وقبحه مجرد النهي عنه بل يستحيل على الله سبحانه ان يشرع عباده الا عزه كما يستحيل
عليه ما ينافي كماله وصفاته كماله ونعوت جلاله وكيف يظن بالمتفرد بالربوبية
والالهية والعظمة والجلال ان يأذن فيه في شركة في ذلك او يرضى به حتى الله عن
ذلك علوا كبيرا **فصل** فلما كان الشرك اشد شيء منافاة للامر الذي
خلق الله له الخلق والامر لاجله بالامر كان اكبر الكبائر عند الله وكذلك اكبر
وتوابعه كما تقدم فان الله سبحانه خلق الخلق وانزل الكتب لتكون الطاعة له
وحده والشرك والكبر ينافيان ذلك ولذلك حرم الله الجنة على اهل الشرك
والكبر فلا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من كبر **فصل** ويلي ذلك في كبر
المفسدة القول على الله بلا علم في اسمائه وصفاته وافعاله ووصفه بضد ما
وصف به نفسه ووصفه به رسوله فهو اشد شيء منافاة لحكمة
الخالق والامر وقدح في نفس الربوبية وخصائص الرب فان صدر ذلك عن علم
فهو عند اقبح من الشرك واعظم اثما عند الله فان المشرك المقر بصفات الرب
جزما المعطل الجاحد لصفات كماله كما ان من اقر للملك بالملك ولم يجحد ملكه
ولا الصفات التي استحق بها الملك لكن جعل معه شريكا في بعض الامور يقر به
انه جزء من صفات الملك ويملكون به ملكا هذا امر مستقر في سائر الفطر
والعقول فاي قدح في صفات الكمال ونعوت الجلال اعظم من قدح المعطل
وبين العابد يتقرب اليه بعبادة تلك الواسطة اعظاما له واجلالا فاداء
التعطيل هو الداء العضال الذي لا دواء له ولهذا حكى الله عن امام المعطلة فرعون

لما له كما الخلق والامر اهم

انه لما انكر على موسى ما اخبر به من ان ربه فوق السموات فقال يا هامان لي
صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه
كاذبا واجمع الشيخ ابو الحسن الاشعري في كتبه على المعطلة بهذه الاية وقد ذكرت
بلفظها في غير هذا الكتاب وهو كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة
والجهمية في اثبات العلوم والقول على الله بلا علم والشرك مثلا زمانه وملكاته
البدع المضلة جهلا بصفات الله وتكذيبا بما اخبر به عن نفسه واخبر به عنه
رسوله عنادا وجهلا كانت من اكبر الكبائر اذ نفرة عن الكفر وكانت احب الى ابليس
من كبائر الذنوب كما قال بعض السلف البدعة احب الى ابليس لعنه الله من
المعصية لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال ابليس اهلكت
بني ادم بالذنوب واهلكوني بالاستغفار وبلا اله الا الله فلما رايت ذلك منهم
بثثت فيهم الاهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا ومعلوم ان المذنب انما ضرره على نفسه واما المبتدع فضرره على النوع
وفتنة المبتدع في اصل الدين وفتنة المذنب في الشهوة والمبتدع قد تعدى
للناس على صراط الله المستقيم يصدهم عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع
قادح في اوصاف الرب وكماله والمذنب ليس كذلك والمبتدع مناقض لما جاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم والعاصي ليس كذلك والمبتدع يقطع على الناس طريق
الاخرة والعاصي ليس كذلك يطوى السير بسبب ذنوبه **فصل** ثم لما كان
الظلم والعدوان منافيا للعدل الذي به قامت السموات والارض وارسل
الله سبحانه به رسله وانزل كتبه ليقوم الناس به كان من اكبر الكبائر وعند الله
وكان ذو رحمته في العظم بحسب مفسدته في نفسه فكان قتل الانسان ولده
الطفل الصغير الذي لا ذنب له وقد جعل الله سبحانه القلوب على رحمته وعطفها
عليه وحض الوالدين على ذلك بمزية ظاهرة فقتله خشية ان يشاركه في
مطعمه ومشربه وعالم من اقبح الظلم واشده وكذلك قتله ابويه للذنب
كان بسبب وجوده وكذلك قتله ذا رحمه وتفاوت درجات القتل بحسب
فهم والخفاء في قتله السعي في ابقائه وصيحته ولهذا كان اشد الناس

غدا

عذابا يوم القيمة من قتل نبيا او قتله نبي ويليه من قتل اماما او عالما
يامر الناس بالقسط ويدعوهم الى الله وينصحهم في دينهم وقد جعل الله
سبحانه جزاء قتل النفس المؤمنة عمدا الخلود في النار وغضب الجبار
ولعنته واعداد العذاب العظيم له هذا موجب قتل المؤمن عمدا ان لم
يمنع منه مانع ولا خلاف ان الاسلام الواقع بعد القتل طوعا واختيارا
مانع مما يفوت ذلك الجزاء وهل يمنع توبته المسلم منه بعد وقوعه فيه قولان
للسلف والخلف وهما روايتان عن احمد والذين قالوا لا يمنع التوبة من
يفوته راى انه حق لادمي لم يستوفه في دار الدنيا وخرج منها بظلامة
فلا بد ان يستوفي له في دار العدل قالوا وهذا استوفاه الوارث فانما استوفاه
محض حقه الذي جبره الله به من استيفائه والعفو عنه وما نفع المقتول
من استيفاء وارثه راى استدراك ظلامة حصل له باستيفاء وارثه
وهذا اصح القولين في المسئلة ان حق المقتول لا يسقط باستيفاء الوارث
وهما وجهان لاصحاب الشافعي واحمد وغيرهم وبرات طائفة انه يسقط بالتوبة
واستيفاء الوارث فان التوبة تهدم ما قبلها والذنب الذي قد جناه قد
اثم عليه حد قالوا واذا كانت التوبة تمحو اثر الكفر والسحر وهما اعظم
اثاما من القتل فكيف يقصر عن محو اثر القتل وقد قبل الله توبة الكفار
الذين قتلوا اولياءه وجعلهم من خيار عباده ودعا الذين خوفوا اولياءه
وفتنوهم عن دينهم ودعاهم الى التوبة وقال يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو
الغفور الرحيم فهذه في حق التائب وهي تتناول الكفر وما دونه وكيف
يتوب العبد من الذنب ويعاقب عليه بعد التوبة هذا معلوم انتفاؤه
في شرع الله وجزائه قالوا وتوبة هذا المذنب تسليم نفسه ولا يمكن
تسليمها الى المقتول فاقام الشارع وليه مقامه وجعل تسليم النفس
اليه كتسليمها الى المقتول بمنزلة تسليم المال عليه لوارثه فاين يقوم
مقام تسليمه للموروث والتحقيق في المسئلة ان القتل يتعلق به ثلاثة

وفي نسخة رواية

حقوق حق الله وحق المقتول وحق الولي فاذا سلم القاتل نفسه
طوعا واختيارا الى الولي ندم على ما فعل وخوفا من الله وتوبة نصوحا
سقط حق الله بالتوبة وحق الولي بالاستيفاء او الصلح او العفو وبقي
حق المقتول يعوضه الله عنه يوم القيمة عن عبد التائب المحسن ويصلح
بينه وبينه فلا يذهب حق هذا ولا يبطل توبة هذا واما مسئلة
المال فقد اختلف فيها فقالت طائفة اذا ادى ما عليه من المال الى الوارث
فقد برئ من عهدته في الاخرة كما برئ منها في الدنيا وقالت طائفة بل المطالبة
لمن ظلمه باخذ باقية عليه يوم القيمة وهو لم يستدرك ظلامته باخذ
وارثه له فانه منعه من انتفاعه طول حيوته ومات ولم ينتفع به وهذا
ظلم لم يستدركه وانما انتفع عنه باستدراكه وبنوا على هذا انه لو انتقل
من واحد الى واحد وتعدد الورثة كانت المطالبة للجميع لانه حق لكان
يجب عليه دفعه الى كل واحد منهم عند كونه هو الوارث وهذا قول طائفة
من اصحاب مالك واحمد وفصل وحكم شيخنا رحمه الله بين الطائفتين فقال
ان تمكن المورث من اخذ ماله والمطالبة به فلم يأخذ حتى مات صارت
المطالبة للوارث في الاخرة كما هي كذلك في الدنيا وان لم يتمكن من طلبه
واخذه بل حال بينه وبينه ظلما وعدوانا فالطلب له في الاخرة وهذا
التفصيل من احسن ما يقال فان المال اذا استهلكه الظالم على المورث
وتعذر عليه اخذه منه صار بمنزلة عبد الذي قتله قاتل ودار الذي
اخربها غيره وطعامه وشرابه الذي اكله وشربه غيره ومثل هذا انما تلف
على المورث فحق المطالبة لمن تلف على ملكه فمتى ان يقال فاذا كان المال
عقارا او ارضا او عينا باقية قائمة بعد الموت فهي ملك للوارث يجب على
الغاصب دفعها اليه كل وقت فاذا لم يدفع اليه اعيان ماله استحق المطالبة
بها عند الله كما يستحق المطالبة بها في الدنيا وهذا السؤال قوي لا مخلص منه
الا بان يقال المطالبة لهما جميعا كما لو غصب مالا مشتركا بين جماعة استحق كل منهم
المطالبة بجملته وكما لو استولى على وقف مترتب على بطون فابطل حق البطون

كلهم

كلهم منه كانت المطالبة يوم القيمة لجميعهم ولم يكن بعضهم اولى بها من بعض
والله اعلم **فصل** ولما كانت مفسدة القتل هذه المفسدة قال الله تعالى
من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد
في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا وقد
اشكل فهم هذا على كثير من الناس وقالوا معلوم ان من قتل مائة اعظم عند الله من
ان قاتل نفس واحدة وانما اتوا من ظنهم ان التشبيه في مقدار الاثم والعقوبة والقول
لم يدل على هذا ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء اخذه بجميع احكامه وقد قال
تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال كانهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وذلك لا يوجب ان لبثهم في الدنيا انما كان
هذا المقدار وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل
ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله اي مع العشاء كما جاء في لفظ اخر
واصح من هذا قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان واتبعه بست من شوال فكانما
صام الدهر كله وقوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد فكانما قرأ ثلث القرآن
ومعلوم ان ثواب فاعل هذه الاشياء لا يبلغ ثواب المشبه به فيكون قدرهما سواء
ولو كان قدر الثواب سواء لم يكن لمصلي العشاء والفجر في جماعة منفعة في قيام الليل
غير التعب والنصب وما اوتي عبد بعد الايمان افضل من الفهم عن الله ورسوله
وذلك وفضل الله يؤتيه من يشاء فان قيل ففي اي شيء وقع التشبيه بين قاتل
نفس واحدة وقاتل الناس جميعا قيل في وجوه متعددة **احدها** ان كلا منهما
عاص لله ورسوله مخالف لامره متعرض لعقوبته وكل منهما قد باء بغضب من الله
ولعنته واستحقاق الخلود في نار جهنم واعد له عذابا عظيما وان تفاوتت درجات
العذاب فليس اثم من قتل نبيا او اماما عادلا او عالما بالقسط كاثم
من قتل من لا يوبه له من احاد الناس **الثاني** انهما سواء في استحقاق ازهاق
النفس **الثالث** انهما سواء في الجراءة على سفك الدم الحرام فان من قتل نفسا
بغير استحقاق بل لمجرد الفساد في الارض او لاخذ ماله فانه يتجرأ على قتل كل من
ظفر به وامكنه قتله فهو معادي النوع الانساني وهذا انه يسمى قاتلا وفاسقا

Cornell University
الألوكة
www.alukah.net

وظالما وعاصيا بقتله واحد كما يسمى كذلك بقتله الناس جميعا ومنها ان الله سبحانه
جعل المؤمنين في توددهم وتراحمهم وتواصلهم كالجسد الواحد اذا اشتكا منه عضو
تداعى سائر البدن بالحمى والسهر فاذا اتلف القاتل من هذا الجسد عضوا فكانما اتلف سائر
الجسد والم جميع اعضائه ففي اذا مؤمنا فكانما اذا جميع المؤمنين وفي اذا جميع المؤمنين
اذا جميع الناس فان الله انما يدافع عن الناس بالمؤمنين الذين بينهم فايذاء الكفر ايذاء
المخفر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما بغير حق الا كان على ابن آدم الاول كفل
من دمها لانه اول من سن القتل ولم يجئ هذا الوعيد في اولد زان ولا في اولد سارق والاول
شارب مسكر وان كان اول المشركين فقد يكون اول من ذلك من اول قاتل لانه اول من سن
الشرك ولهذا راى النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن لحي يعذب اعظم العذاب في النار لانه اول من
غير دين ابراهيم وقال تعالى لا تكونوا اول كافر به اي يقتدي بكم من بعدكم فتكون اثم كفره
عليكم وكذلك حكم من سن سنة سيئة فاتبع عليها وفي جامع الترمذي عن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يجئ المقتول بالقاتل يوم القيمة ناصيته ورأسه بيده و
اوداجه تشخب دما يقول يا رب سل هذا فيم قتلني فذكر والا ان على التوبة فتلى
هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم قال ما نسخت هذه الآية ولا بدلت وانى له التوبة
قال هذا حديث حسن وفيه ايضا عن نافع قال نظر عبد الله بن عمر يوما الى الكعبة
فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة منك عند الله قال هذا حديث
حسن وفي صحيح البخاري عن جندب قال اول ما نسى من الانسان بطنه فمن استطاع منكم
الا يأكل الا طيبا فليفعل وما استطاع ان لا يحول بينه وبين الجنة ملاكف من دم اهراقه
فليفعل وفي صحيح ايضا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال المؤمن
في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما وذكر البخاري عن ابن عمر قال من الموبقات الامور التي
لا مخرج لمن اوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي
الله عنه ينهى عن تعذيب سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وفيهما ايضا عنه صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي
كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم من قتل معاهدا
لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما هذا عقوبة قاتل عبد
الله اذا كان في عهده وامانه فكيف عقاب قاتل عبد المؤمن واذا كانت امراة قد

دخلت

دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا او عطشا فزجرها النبي صلى الله عليه وسلم
في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها فكيف عقوبة من حبس مؤمنا بغير جرم
حتى مات وفي بعض السنن عنه صلى الله عليه وسلم لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن

فصل والمالكات مفسدة الزاني من اعظم المفاسد وهي منافية لمصلحة نظام العالم
من حفظ الانسان وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتوقي ما يوقع اعظم العداوة
والبغضاء بين الناس من افساد كل منهم امرأة صاحبه وبنته واخته وامه وفي ذلك
خراب العالم كانت تلي مفسدة القتل في الكبر ولهذا قرنها الله سبحانه بهما في كتابه و
رسوله بهما في سنته كما تقدم قال الامام احمد ولا اعظم بعد قتل النفس شيئا اعظم من الزنى
وقد اكد الله سبحانه حرمته بقوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم
القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن الآية فقرن الزنى بالشرك وقتل النفس
وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب المضاعف عالما بان رفع الحد موجب ذلك بالتوبة
والايمان والعمل الصالح قال تعالى ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا اي جامع
عما فحشه في نفسه وهو القبيح الذي قد تناهى قبحه حتى انه فاحشة في العقول حتى
عند كثير من الحيوان كما ذكر البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الاودي قال رايت في
الجاهلية قردا زنى بقردة فاجتمع القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا ثم اجر عن عايشة انه
ساء سبيلا فانه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وسبيل عذاب وخزي ونكال
في الاخرة ولما كان نكاح ازواج الاباء اقبح خصم بمزيد ذم فقال انه كان فاحشة
ومقتا وساء سبيلا وعلق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه فلا سبيل له الى الفلاح
بدونه فقال قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو
معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون وهذا
يقتضي ثلثة اصناف من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين وانه من الملومين من العادين
ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم فتاسأة الم الشهوة ومعاناتها
ايسر من بعض ذلك ونظير هذا ان ذم الانسان وانه خلق هلوعا لا يصبر على سراء ولا على

Copyright © King Saud University
الألوكة
www.alukah.net

ولا على ضراء بل اذا مسه الخير منع وبخل واذا مسه الشر جذع وظهر الامن
استثناه بعد ذلك من الناجين من خلقه فذكر منهم الذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ثم ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون وامر الله تعالى نبيه ان يامر المومنين بغض ابصارهم وحفظ فروجهم
وان يعلمهم انه مشاهد لاعمالهم مطلع عليها يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
كاه مبدا ذلك من قبيل البصر جعل الامر بغضه مقدما على حفظ الفروج فان
الحوادث مبداها من النظر كما ان معظم النار من مستصغر الشرر فيكون نظره
ثم خطره ثم خطوه ثم خطيئة ولهذا قيل من حفظ هذه الاربعة احرز دينه وهي
اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات فينبغي للعبد ان يكون بواب نفسه
على هذه الابواب الاربعة ويلازم الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو
فيحرس خلال الديار يتبين ما على الارض شيئا فصل واكثر ما يدخل
المعاصي على العبد من هذه الابواب الاربعة فنذكر في كل منها فصلا يليق به فاما
اللحظات فهي رائد الشهوات ورسولها وحفظها اصل حفظ الفرج فمن اطلق
بصره اورده موارد الهلكات وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فانما
لك الاولى وليست لك الاخرة وفي المسند عنه صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم
من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن امراة بعد اورث الله قلبه حلاوة
يوم القيمة هذا معنى الحديث وقال غضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وقال
اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله مجالسنا مالنا منها بد قال فان كنتم
لابد فاعلين فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر وكف الاذى ورد
السلام وكف الاذى والنظر اصل عامة الحوادث التي يصيب الانسان فان النظرة
تولد الخطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة ارادة
ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولابد ما لم يمنع مانع وفي هذا قيل

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت من قلب صاحبها ... كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والعبد مادام ذا طرف يقلبه ... في أعين العين موقوف على الخطر

ومن افات النظر انه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى العبد ما ليس
قادرا عليه ولا صابرا عنه وهذا من اعظم العذاب ان ترى ما لا تصبر لك عن بعضه
ولا قدرة لك على بعضه وقال الشاعر

وانت متى ارسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي كل انت قادر ... عليه ولا مني بعضه انت صابر

وهذا البيت يحتاج الى شرح ومراده انك ترى ما لا تصبر عليه ولا عن شيء منه
وان قوله لا كله انت قادر عليه نفي لقدرته على الكل التي لا سبيل الا بنفي القدرة
عن كل واحد واحد وكم ممن ارسل لحظاته فما اقلعت الا وهو يتخطى بينهن قتيلا
كما قيل

يا ناظرا ما اقلعت لحظاته ... حتى يتخطى بينهن قتيل
هل السلامة فاعدت لحظاته ... وقفا على ظلل يظل جميلا
ما زال يتبع انف لحظاته ... حتى تخطى بينهن قتيلا

ومن العجب ان لحظة الناظر سهم لا يصل الى المنظور اليه حتى يترك مكانا من قلب
الناظر وفي هذا قصيد

يا راميا من سهام اللحظ مجتهدا ... انت القتيل فما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ... احبس رسولك لا ياتيك بالعطب

واعجب من ذلك ان النظر يخرج القلب فيتبعها جرحا على جرح ثم لا يمنعه الم
الجراحة من استدعاء نكرارها وفي ايضا في هذا المعنى

ما زلت تتبع نظرة في نظرة ... في اثر كل مليحة ومليح
ونفس ذاك الواجر حرك وهوى ... التحقيق يجرح على التجريح
فذبحت طرفك باللحاظ اوالبها ... فالقلب منك ذبيح اي ذبيح

وقد قيل حبس اللحظات ايسر من دوام الحسرات فصل فاما الخطرات
فشانها اصعب فانها مبدا الخير والشر ومنها تتولد الارادات والهم والعزائم
فمن راعا خطرات قلبه ملك زمام نفسه وقهر هواه ومن غلبته خطراته قهر هواه ونفسه
له اغلب ومن استهان بالخطرات قادته الى المهلكات ولا تزال الخطرات
تتردد على القلب حتى تصير منى باطلة كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه

Qurtuba University
مكتبة الألوكة
www.alukah.net

لم يجد شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب واحسن الناس
همة واوضعهم نفسا من رضي من الحقائق بالاماني الكاذبة وتحليها لنفسه
وتحلي بها وهي لعمري رؤس اموال المفلسين ومتاجرة البطالين وهي قوت
قوت النفس الفارغة التي قد قنعت من الوصل بزورة الخيال ومن
الحقائق بكواذب الامال كما قال الشاعر

من ان يكن حقا تكن احسن المنى ٭ والا فقد عشنا بها زمنا رغدا ٭

وهو اصر شيء على الانسان وتتولد من العجز والكسل وتولد التفريط والحسرة
والندم والتمني لمفارقة مباشرة الحقيقة يسد محبة صورة صورها
نفسه في قلبه وعانقها وضمها اليه فتقنع بوصال صورة وهمية خيالية
صورها فكره وذلك لايحده عليم شيئا وانما مثله مثل الجايع والظمان يصور
في وهمه صورة الطعام والشراب وهو يأكل ويشرب والكراه الى ذلك
فاستدلاله يدل على خساسة النفس ودناءتها وانما شرف النفس قدر
وطهارتها وعلوها بان ينفي عنها كل خطرة لا حقيقة لها ولا يرضى ان يخطرها
ببالها ويأنف لنفسه منها ثم الخطرات بعد انقسام تدور على اربعة اصول
خطرات يستجلب منها منافع دنياه وخطرات يستدفع بها مضار دنياه وخطرات
يستجلب بها مصالح اخرته وخطرات يستدفع بها مضار اخرته فليحضر
خطراته وانكاه وهمه في هذه الاقسام الاربعة فاذا انحصرت له فيها فانما
امكنه اجتماعه عنها لم يتركه ليعزم وانما تزاحمت عليه الخطرات لتزاحم
متعلقها قدم الاهم الذي يخشى فوته واخر الذي ليس بهم ولا يخاف فوته
يبقى قسمان احدهما مهم لا يفوت والثاني غير مهم ولكنه يفوت
فيقع كل منهما ما يدعو الى تقديمه فهنا يقع التردد والحيرة فان قدم المهم
خشي فوات ما دونه وان قدم ما هو دونه فانه الاشتغال به مما الاهم
وكذلك يعرض لمن لم امران لا يمكن الجمع بينهما ولا يحصل الا بفوت الاخر فهذا
موضع استعمال العقل والفطنة والقوة ومن هاهنا انقطع من ابى ان يقطع و
انحط من انحط وخاب من خاب فاكثر ما ترى ممن يعظم عقله ومعرفته يؤثر في

المهم

المهم الذي يفوت ولا تجد احدا يسلم من ذلك ولكن من مستقل ومستكثر و
التحكيم في هذا الباب للقاعدة الكبرى التي يكون عليها مدار الشرع والقدر وهي
رجوع الخلق والامر وهي ايثار اكبر المصلحتين واعلاهما واذا فاتت المصلحة التي
هي دونهما والدخول في ادنى المفسدتين لدفع ما هو اكبر منهما فيفوت مصلحة ليحصل
ما هو اعظم منها فمحظورات العاقل وفكره لا يتجاوز ذلك وبذلك درجات الشرايع ومصالح
الدنيا والاخرة ولا تقوم الا على هذه وانما الفكر في اجلها وانفعها ما كان للدار
الاخرة فما كان لها فهو انواع احدها الفكر في ايات المنزلة وتعلقها وفهم مراده منها
وبذلك انزلها الله تعالى للتدبر تلاوتها وسيلة قال بعض السلف انزل القرآن
ليعمل به فاتخذ تلاوته عملا الثاني الفكر في ايات المشهودة والاعتبار بها والاستدلال
بها على اسمائه وصفاته وحكمته واحسانه وبره ووجوده وقد احظ سبحانه عباده
على التفكر في ايات وتدبرها وتعلقها وذم الغافل عن ذلك الثالث الفكرة في الاية
واحسانه وانعامه على خلقه باصناف النعم وسعة رحمته ومغفرته وحلمه
وهذه الانواع الثلاثة تستخرج من القلب معرفة الله ومحبته وخوفه و
رجاءه ودوام الفكرة في ذلك مع الذكر يصيغ القلب المعرفة والمحبة صبغة
الرابع الفكرة في عيوب النفس وافاتها وفي عيوب العمل وهذه الفكرة عظيمة النفع
وهي باب كل خير وتاثيرها في كسر النفس الامارة وهي كسرت عاشت النفس المطمئنة
وانتعشت وصار الحكم لها فيحيى القلب وعادت كلمته في مملكته وبث امره وجنوده
في مصالحه الخامس الفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله فالعارف ابن
وقته فان اضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها فجميع المصالح انما تنشأ في الوقت فمتى ضاع
الوقت لم يستدركه ابدا قال الشافعي صحبت الصوفيين فلم استفد منهم سوى حرفين
احدهما قولهم الوقت سيف فان قطعته والا قطعك وذكر الكلمة الاخرى فوقت
الانسان هو عمره في الحقيقة وهو مادة حياته الابدية في النعيم المقيم وعادة
معيشته الضنك في العذاب الاليم وهو اسرع مر من السحاب فما كان من
سحاب فهو حياته وعمره وعزه كل نفس محسوبة من حياته وانه عائش حين عيش البهائم
فان قطع وقته في الغفلة والسهو والاماني الباطلة وكان خيرها قطعه بالنوم و

و البطالة تموت هذا خير من حياته واذا كان العبد وهو في الصلاة ليس له من
صلاته الا ما عقل منها فليس له من عمره الا ما كان فيه بالله ولله وما عدا هذين الاقسام
من الخطرات والفكر فاما وساوس شيطانيه واما اماني باطله وخدعه كاذبه
بمنزلة خواطر المصابين في عقولهم من السكارين والمخمشوشين والموسوسين
ولسان حال هؤلاء يقول عند انكشاف الحقائق شعر

ان كان منزلتي في الحب عندكم ٤ ما قد لقيت فقد ضيعت ايامي ٤
امنية ظفرت نفسي بها زمنا ٤ واليوم احسبها اضغاث احلامي ٤

واعلم ان ورود الخاطر لا يضر انما يضر استدعاؤه ومحادثته والخاطر كالمار على
الطريق فاذا لم تستدعيه وتركته مر وانصرف عنك وان استدعيته سحرك بحديثه
وخدعه وغروره وهو اخف شيء على النفس الفارغة البطالة واثقل شيء على
القلب والنفس الشريفة السماوية المطمئنة وهما مستعاد يتان وكلما خف
على احدهما ثقل على هذه وكلما التذت به احدهما تالمت به الاخرى فليس على النفس
الامارة اشق من العمل لله ولطاعته وكذا ليس على النفس المطمئنة اشق من
العمل لغير الله واجابة داعي الهوى وليس عليها شيء اضر منه والملك مع هذه على
يمينة القلب والشيطان مع ذلك على ميسرة القلب والحرب مستمر لا تضع اوزارها
الى ان يستوفي اجلها من الدنيا والباطل كله يتحيز مع الشيطان والامارة والخبث
كله يتحيز مع الملك والمطمئنة والحرب دول وسجال والنصر مع الصبر ومع الصبر
وصابروا رابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون العاقبة في الدنيا والاخرة وقد حكم الله حكما لا
يبدل ابدا ان العاقبة للتقوى والعاقبة للمتقين فالقلب لوح فارغ و
الخواطر تنقوش فيه فكيف يليق بالعاقل ان يكون نقوش لوحه ما يبعث كذب
وغرور وخدع واماني باطلة وسراب لا حقيقة له فاي حكمة وعلم وهذا
ينقش مع هذه النقوش واذا اراد ان ينقش ذلك في لوح قلبه كان بمنزلة العلم
النافع في محل مشغول بكتابة ما منفعة فيه فاذا لم يفرغ القلب من الخواطر
المردية لم تستقر فيه الخواطر النافعة فانها لا تستقر الا في محل فارغ قال

٤ اني هواها قبل ان اعرف الهوى ٤ فصادف قلبا خاليا فتمكنا ٤

ولهذا

ولهذا كثير من ارباب السلوك بنوا سلوكهم على كسر الخواطر وان لا يمكنوا خاطرا
يدخل قلوبهم حتى تصير القلوب فارغة قابلة للكشف وظهور حقائق العلوم
فيها وهؤلاء حفظوا شيئا وغابت عنهم اشياء فانهم اخلوا القلوب من ان يطرقها
خاطر فبقيت فارغة لا شيء فيها تصادفها الشيطان خالية فبذر فيها الباطل
في قوالب اوهمهم انها على الاشياء واشرفها وعوضهم بها على الخواطر التي مادة
العلم والهدى انما خلا القلب عن هذه الخواطر جاء الشيطان فوجد المحل خاليا
فشغله بما يناسب حال صاحبه حيث لم يستطع ان يشغله بالخواطر السفلية
فشغله بارادة التجريد والفراغ من الارادات التي لا صلاح للعبد والفلاح
الا بان تكون هي المستولية على قلبه وهي ارادة مراد الله الديني الامري الذي
يحبه ويرضاه وشغل القلب واهتمامه بمعرفة على التفصيل والقيام به وتنفيذه
في الخلق والطرق الى ذلك والتوصل اليه بالدخول في الخلق لتنفيذ امر الله فيهم
الشيطان عن ذلك بانه دعاهم الى تركه وتعطيله من باب الزهد في خواطر
الدنيا واسبابها وهم ان كمالهم في ذلك التجريد والفراغ وهيهات انما
الكمال في امتلاء القلب والسر من الخواطر والارادات والفكر في تحصيل مواضي
الرب تعالى من العبد ومن الناس والفكر في طرق ذلك والتوصل اليه فاحمل الناس
اكثرهم خواطر وفكر وارادات لذلك كما ان اقصى الناس اكثرهم خواطر وفكر او
ارادات لحظوظه وهواه اي كانت وابعد المستعاد وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كانت يتراءى عليه الخواطر في مراضي الرب تعالى فربما استعملها في صلاته فكان عمر
يجهز جيشه وهو في الصلاة فيكون قد جمع بين الجهاد والصلاة وهذا من باب
تداخل العبادة في العبادة الواحدة وهو باب عزيز شريف لا يعرف الا صادق
الطلب متضلع من العلم عالي الهمة بحيث يدخل في عبادته يظفر فيها بعبادات
شتى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فصل واما الملفوظات فحفظها باب لا يخرج
لفظة ضائعة بل لا يتكلم الا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه فاذا اراد ان
يتكلم بالكلمة نظر فيها هل فيها فائدة او ربح ام لا فان لم يجد فيها ربحا امسك عنها
وان كان فيها ربح نظر هل يقوم بها كلمة هي ارجح منها فلا يضيعها بهذه واذا اراد

Cornell University
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان تستبدل على ما في القلب فاستدل عليه بحركة اللسان فانه يطلع على ما في
القلب شاء صاحبه ام ابا قال يحيى بن معاذ القلوب كالقدور تغلي بما فيها
والسنتها معارفها فانظر الرجل حين يتكلم فان لسانه يعرفك كل ما في قلبه
حلو وحامض وعذب واجاج وغير ذلك وبين كل ذلك قلبه اعني ان لسانه
اي كما تطعم بلسانك طعم ما في القدر من الطعام تدرك العلم بحقيقته كذلك
تطعم ما في قلب الرجل من لسانه فتذوق ما في قلبه من لسانه كما تذوق ما في
القدر بلسانك وفي حديث انس المرفوع لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم
قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وسئل عن اكثر ما يدخل الناس
النار فقال الفم والفرج قال الترمذي حديث صحيح وقد سئل معاذ النبي
صلى الله عليه وسلم عن العمل الذي يدخل الجنة ويباعد من النار فاخبره
برأسه وعموده وذروة سنامه ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك قال بلى
يا رسول الله فاخذ بلسان نفسه ثم قال كف عليك هذا فقال
وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس
في النار على وجوههم او على مناخرهم الا حصائد السنتهم قال الترمذي
حديث صحيح وفي العجب ان الانسان يهون عليه الحفظ والاحتراز من
اكل الحرام والظلم والزنى والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وعزيز ذلك
ويصعب عليه التحفظ من حركة اللسان حتى ترى الرجل يشار اليه بالدين
والعبادة والزهد وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالا تزل
بالكلمة الواحدة منها ابعد ما بين المشرق والمغرب وكم ترى من رجل متورع
عن الفواحش والظلم ولسانه تغرى في اعراض الاحياء والاموات فلا يبالي
بما يقول واذا اردت ان تعرف ذلك فانظر الى ما رواه مسلم في حديث جندب
ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر الله لفلان
فقال الله عز وجل من ذا الذي يتالى علي اني لا اغفر لفلان قد غفرت له
واحبطت عملك فهذا العابد الذي عبد الله ما شاء ان يعبده احبطت هذه
الكلمة الواحدة عمله كله وفي حديث ابي هريرة نحو ذلك ثم قال ابو هريرة

تكلم بكلمة

تكلم بكلمة اوبقت دنياه واخرته وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان العبد ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه بها
بالا يرفعه بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوا
في جهنم وعند مسلم ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار ابعد
ما بين المشرق والمغرب وعند الترمذي من حديث بلال بن الحارث عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان احدكم يتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان يبلغ ما بلغت
فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان احدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله
ما يظن ان يبلغ ما بلغت فيكتب الله لها بها سخطه الى يوم يلقاه وكان علقمة
يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث وفي حديث جامع الترمذي
ايضا من حديث انس قال لما توفي رجل من الصحابة فقال رجل ابشر بالجنة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم او لا تدري بفعله تكلم فيما لا يعنيه او بخل
فيما لا ينقصه قال حديث حسن وفي لفظ ان غلاما استشهد يوم احد فوجد
على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب من وجهه وقالت هنيئا
لك يا بني بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما
لا يعنيه ويمنع ما لا ينفعه وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وفي لفظ المسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فاذا شهد امرا فليتكلم بخير او ليسكت وذكر الترمذي بالاسناد
الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وعن سفيان بن عبد الله
الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسئل عنه احدا بعدك قال قل
امنت بالله ثم استقم قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان
نفسه ثم قال هذا وهذا الحديث صحيح وعن ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال كلام ابن ادم كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر
او ذكر الله قال الترمذي حديث حسن وفي حديث اخر اذا اصبح العبد فان الاعضاء
كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فينا فانما نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت
اعوججنا وقد كان السلف يحاسب احدهم نفسه في يوم حار ويوم بارد ولعد

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

روى بعض الاكابر في النوم فسئل عن حاله فقال انا موقوف على كلمة قلتها قلت ما اعوج الناس الى غيبت فقيل لي وما يدريك انا اعلم بصالح عبادي وقال بعض الصحابة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر فنعست بهائم قال استغفر الله ما تكلم بكلمة منذ السمت الا وانا احفظها وازمها الا هذه الكلمة خرجت مني بغير خطام وكلا زمام او كما قال وليس حركات الجوارح حركة اللسان وهي اضرها على العبد وقد اختلف السلف والخلف هل يكتب جميع ما يلفظ به او الخير والشر فقط على قولين اظهرهما الاول وقال بعض السلف كل كلام ابن ادم عليه لا له الا امساك من ذكر الله وعاوده الا ما كان الصديق رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول هذا اوردني الموارد والكلام اسير فاذا خرج منك صرت اسيره والله عند لسان كل قائل فليلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وفي اللسان افتان عظيمتان ان خلص من احدهما لم يخلص من الاخرى افة الكلام وافة السكوت وقد يكون كل واحدة منهما اعظم من الاخرى في وقتها والساكت عن الحق شيطان اخرس عاص لله مراء مداهن اذا لم يخف على نفسه والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص لله واكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته فهم بين هذين النوعين واهل الوسط وهم اهل الصراط المستقيم كفوا السنتهم عن الباطل واطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الاخرة فلا يرى احدهم انه يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة فضلا ان تضره في اخرته وان العبد ليأتي يوم القيمة بحسنات كامثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها عليه ويأتي بسيئات كامثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من ذكر الله وما تصدق به فضل واما الخطوات فتحفظها بان لا يقدم الا فيما يرجو ثوابه فان لم يكن في خطاه مزيد ثواب فالقعود عنها خير له ويمكنه ان يستخرج من كل مباح يخطو اليه قربة ينوي انها لله فتقع خطاه قربة ولما كانت العثرة عثرتين كما قيل

يموت الفتى من عثرة بلسانه ٤ وليس يموت المرء من عثرة الرجل ٤
فعثرته فيه ترمي برأسه ٤ وعثرته في الرجل تبرا على مهل ٤

عثرة الرجل وعثرة اللسان جاءت احداهما مرتبة الاخرى في قوله تعالى وعباد الرحمن

الذين

الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فوصفهم بالاستقامة في لفظهم وخطوهم كما جمع بين اللحظات والخفيات في قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فصل وهذا كله ذكرناه مقدمة بين تحريم الفواحش ووجوب حفظ الفرج وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق لجماعته وهذا الحديث في اقتران الزنى بالكفر وقتل النفس نظير الاية التي في القرآن وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حل حديث ابن مسعود رضي الله عنه وبدا صلى الله عليه وسلم بالاكثر وقوعا ثم بالذي يليه فالزنا اكثر وقوعا من قتل النفس وقتل النفس اكثر وقوعا من الردة وايضا فانه انتقال من الاكبر الى ما هو اكبر منه ومفسدة الزنا هنا وقضية لصلاح العالم فان المرأة اذا زنت ادخلت العار على زوجها واهلها واقاربها ونكست رؤسهم بين الناس وان حملت من الزنا فان قتلت ولدها جمعت بين الزنا وبين القتل وان حملته الزوج ادخلت على اهله واهلها اجنبيا ليس منهم فورثهم وراهم وخلابهم وانتسب اليهم وليس منهم الى غير ذلك من مفاسد زناها وامازنا الرجل فانه يوجب اختلاط الانساب ايضا وافساد المراة المصونة وتعريضها للتلف والفساد ففي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين وان عمرت القبور في البرزخ والنار في الاخرة فكم في الزنا من المحال المحرمات وفوات حقوق ووقوع مظالم ومن خاصيته انه يوجب الفقر ويقصر العمر ويكسو صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس ومن خاصيته ايضا انه يسئ الولد ويمرضه ان لم يميته ويجلب الهم والحزن والخوف وباعد صاحبه من الملك ويقرب منه الشيطان فليس بعد مفسدة القتل اعظم مفسدة من مفسدته ولهذا شرع فيه القتل على اسنع الوجوه واخشنها واصعبها واقبحها ولو بلغ العبد ان امرأته قتلت لكان اسهل عليه من ان يبلغه انها زنت وقال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك

وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن متفق عليه وفي الصحيحين ايضا عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله ان ياتي العبد ما حرم الله عليه وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك اثنى على نفسه وفي الصحيحين في خطبة صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف انه قال يا امة محمد والله انه لا احد اغير من الله ان يزني عبده او تزني امته يا امة محمد والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم رفع يده وقال اللهم هل بلغت وفي ذكر هذه الكسوف بخصوصها عقيب صلاة الكسوف سر بديع لمن تامله وظهور الزنا من امارات خراب العالم وهو من اشراط الساعة كما في الصحيحين عن انس بن مالك انه قال لاحدثنكم حديثا لا يحدثكم احد بعدي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا ويقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امراة القيم الواحد وقد جرت سنة الله سبحانه في خلقه انه عند ظهور الزنا يغضب سبحانه ويشتد غضبه فلا بد ان يؤثر غضبه في الارض عقوبة قال عبد الله بن مسعود ما ظهر الزنا والربا في قرية الا اذن الله بهلاكها وروى بعض احبار بني اسرائيل ان ابنا له زنا بامراة فقال يهلك الله بني فسقط من سريره فانقطع نخاعه وسقطت امراته وقيل له هكذا غضب لي ان يكون حد ابدا وخص سبحانه حد الزنا من بين الحدود بثلاث خصائص احدها القتل فيه باشنع القتلات وحيث خفف فجمع فيه بين العقوبة على البدن بالجلد وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنة الثاني انه نهى عباده ان ياخذهم بالزناة رافة في دينه بحيث تمنعهم من اقامة الحد عليهم فانه سبحانه ارحم منهم ورحمته بهم شرع هذه العقوبة فنهاهم عنكم ولم ينفعه رحمة

من امر

من امر بهذه العقوبة فلا يمنعكم انتم ما تقوم بقلوبكم من الرافة من اقامة امره وهذا وان كان عاما في سائر الحدود ولكن ذكره في حد الزاني خاص لشدة الحاجة الى ذكره فان الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة على الزاني ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر فقلوبهم ترحم الزاني اكثر مما يرحم غيره من ارباب الجرائم والواقع شاهد بذلك فنهوا ان تاخذهم هذه الرافة وتحملهم على تعطيل حد الله وسبب هذه الرحمة ان هذا ذنب يقع من الاشراف والاوساط والاراذل وغالب النفوس اقوى الدواعي اليه والمشاركة فيه كثيرة واكثر اسبابه العشق والقلوب مجبولة على رحمة العاشق وكثير من الناس يعد مساعدته طاعة وقربة وان كانت الصورة المعشوقة محرمة عليه ولا يستنكر هذا الا قليل فانه مستقر عند ما شاء الله من اشباه الانعام وحد حكى لنا من ذلك شيء كثير اكثر من ان تحصى العقول كالخدام والنساء وايضا فان هذا ذنب غالب ما يقع مع الرضى من الجانبين ولا يقع فيه من العدوان والظلم والاغتصاب ما تنفر النفوس منه وفيها شهوة غالبة فتصور ذلك لنفسها فتقوم بها رحمة تمنع اقامة الحد وهذا كله من اضعف الايمان وكمال الايمان ان تقوم به قوة يقيم بها امر الله ورحمة يرحم بها المحدود فيكون موافقا لربه تعالى في امره ورحمته الثالث انه سبحانه امر ان يكون حدها بمشهد من المؤمنين فلا يكون خلوة حيث لا يراهما احد وذلك ابلغ في مصلحة الحد وحكمة الزجر وحد الزاني المحصن مشتق من عقوبة الله لقوم لوط بالقذف بالحجارة وذلك لاشتراك الزنا واللواط في الفحش وفي كل فساد ينافي حكمة الله تعالى في خلقه وامره فان في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر والتعداد ولان يقتل المفعول به خير له من ان يبقى فانه يفسد فسادا لا يرجى له بعده صلاح ابدا ويذهب خيرهم كله وتعم الارض معرة الجاني من وجهه فلا يستحي بعد ذلك من الله ولا من خلقه ويعمل في قلب غيره وقوة فطنة الفاعل ما يعمل السم في البدن وقد اختلف الناس هل يدخل الجنة مفعول به على قولين سمعت شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية يحكيهما والذي قالوا لا يدخل الجنة احتجوا بامور منها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة

Copy Digitized by Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولد زانية فاذا كان هذا حال ولد الزنا مع انه لا ذنب له في ذلك ولكنه مظنة كل
شر وخبث وهو جدير ان لا يجيء منه خيرا بدا لانه مخلوق من نطفة خبيثة و
اذا كان الجسد الذي يربى على الحرام النار اولى به فكيف بالجسد المخلوق من
النطفة الحرام قالوا والمقصود به اشرمما ولد الزنا واخزى واخبث واوسخ
واوقح وهو جدير ان لا يوفق لخير وان يحال بينه وبينه وكلما عمل خيرا نقض له
ما يفسده عقوبة وقل ان يرى من كان كذلك في صغره الا وهو في كبره شر
مما كان ولا يوفق لعمل نافع ولا عمل صالح ولا توبة نصوح والتحقيق في المسئلة
ان يقال ان تاب المبتلا بهذا البلا واناب وردته توبة نصوحا وعملا صالحا
وكان في كبره خيرا منه في صغره وبدل سيئاته بحسنات وغسل عار ذلك عنه
بانواع الطاعات والقربات وغض بصره وحفظ فرجه عن المحرمات وصدق
الله في معاملته فهذا معفو له وهو من اهل الجنة فان الله يغفر الذنوب
جميعا وان كانت التوبة تمحو كل ذنب حتى الشرك بالله وقتل انبيائه واوليائه
والسحر والكفر وغير ذلك فلا تقصر عن محو هذا الذنب وقد استقرت حكمة
الله وفضله ان التائب من الذنب كمن لا ذنب له **وقد** ضمن الله سبحانه لمن تاب
من الشرك وقتل النفس والزنا ان يبدل سيئاته حسنات وهذا حكم عام
لكل تائب من كل ذنب **وقد** قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم
فلا يخرج من هذا العموم ذنب واحد ولكن هذا في حق التائبين خاصة
واما مفعول به كان في كبره شر مما كان في صغره لم يوفق لتوبة نصوح ولا لعمل
صالح ولا يستدرك ما فات واحيا ما مات ولا تبدل الحسنات بالسيئات
فهذا بعيد ان يوفق عند الخاتمة يدخل بها الجنة عقوبة على عمله فان الله يقابل
على السيئة سيئة اخرى وتتضاعف عقوبة السيئات بعضها الى بعض كما يثيب
على الحسنة بحسنة اخرى فاذا نظرت الى كثير من المحتضرين وجدتهم يحال
بينهم وبين حسن الخاتمة عقوبة لهم على اعمالهم السيئة **قال** الحافظ
ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي رحمه الله **واعلم** ان لسوء الخاتمة اسبابا

الم

الله منها اسباب ولها طرق وابواب اعظمها الاكباب على الدنيا والاعراض
عن الاخرى والاقدام والجراءة على معاصي الله عز وجل وربما غلب على الانسان
ضرب من الخطيئة ونوع من المعاصي وجانب من الاعراض ونصيب من الجراءة
والاقدام فملك قلبه وسبا عقله واطغاه وارسل عليه محنته فلم تنفع فيه
تذكرة ولا نجعت فيه موعظة وربما جاءه الموت على ذلك فمنع الندامة فكان
بعيدا فلم يتهيأ المراد ولا علم ما اراد واذا كر عليه الداعي واعاد **وروي** ان بعض
الرجال الناصر نزل به الموت فجعل ابنه يقول قل لا اله الا الله فقال الناصر مولاي
فاعاد عليه القول فقال مثل ذلك ثم اصابته غشية فلما افاق قال الناصر مولاي
وكان هذا ابنه كلما قيل له قل لا اله الا الله قال الناصر مولاي ثم قال لابنه
يا فلان الناصر انما يعرفك بسيفك والقتل ثم مات **قال** عبد الحق وقيل لاخر من
اعرفه قل لا اله الا الله فجعل يقول الدار الفلانية اصلحوا فيها كذا والبستان
الفلاني افعلوا فيها كذا **وقال** فداذن لي ابو طاهر السيلفي ان احدث به عنه
ان رجلا نزل به الموت فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول بارسيرده يازده
تفسير عشرة باحدى عشر **وقيل** لاخر قل لا اله الا الله فجعل يقول اي الطريق
الحمام منجاب **قال** وهذا الكلام له قصة وذلك ان رجلا كان واقعا باب
داره وكان بابها يشبه باب الحمام فمرت به جارية لها منظر فقالت اي الطريق
الى حمام منجاب فقال هذا حمام منجاب فدخلت الدار ودخل وراءها فلما رات
نفسها في دار علمت انه قد خدعها اظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه
وقالت له يصلح ان يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به عيوننا فقال لها
الساعة ائتك بكل ما تريدين وتشتهين وخرج وترکها في الدار ولم يغلقها
فاخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد خرجت وذهبت ولم تحتفل في شيء من امتعة الرجل
واكثر الذكر لها وجعل يمشي في الطرق والازقة ويقول

يا رب قائلة يوما وقد تعبت ... كيف الطريق الى حمام منجاب

فبينما هو يوما يقول ذلك واذا بجارية اجابته من طاق قرنان

هلا جعلت اذا ما ظفرت بها ... حرزا على الدار او قفلا على الباب

فان داد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك حتى كان هذا البيت اخر ما
من الدنيا قال ويروى ان رجلا عشق شخصا فاشتد كلفه به وتمكن حبه من
قلبه حتى اوقع المابه ولزم الفراش بسببه وتمنع ذلك الشخص عليه واشتد
تباعده عنه فلم تزل الوسائط تسير بينهما حتى وعده بان يعوده فاخبر بذلك
الباس الفقير ففرح واشتد سروره وفرحه واخلى عمه وجعل ينظر الى الميعاد
الذي ضربه له فبينما هو كذلك اذ جاءه الساعي بينهما فقال انه وصل معي الى
بعض الطريق ورجع فرغبت اليه وكلمته فقال انه ذكرني وفرح ولا ادخل خاطره
الريب ولا اعرض نفسي لمواضع التهم فعاودته ثانيا وانصرف فلما سمع الباس اسقط
في يده وعاد الى اشد مما كان به وبدرت عليه علامات الموت فجعل يقول في تلك
الحال البائس

اسلم بارا حة العليل ٤ وياشفا المدنف العليل ٤
رضاك اشهى الى فوادي ٤ من رحمة الخالق الجليل ٤

فقلت يا فلان اتق الله قال قد كان فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت
صيحة الموت فعياذا بالله من سوء العاقبة وشوم الخاتمة ولهذا بكى سفيان الثوري
ليلة الى الصباح فلما اصبح قيل له كل هذا خوفا من الذنوب فاخذ تبنة من الارض
وقال الذنوب اهون علي من هذه وانما ابكي من خوف الخاتمة وهذا من اعظم
الفقه ان يخاف الرجل ان تحدث له ذنوبه عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة
الحسنى وقد ذكر الامام احمد عن ابي الدرداء انه لما احتضر جعل يغمى عليه ثم يفيق ويرفع
وتقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
فمن هذا خاف السلف من الذنوب ان تكون حجابا بينهم وبين الخاتمة بالحسنى
قال واعلم ان سوء الخاتمة اعاذنا الله منها لا يكون لمن استقام ظاهره وصلح
باطنه ما سمع بهذا ولا علم به ولله الحمد وانما يكون لمن له فساد في العقيدة او اصرار
على الكبائر واقدام على العظائم وربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل
التوبة فياخذه قبل اصلاح الطوية ويصطلم قبل الانابة فينفرد به الشيطان
عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله قال ويروى
انه كان بصر وجل يلزم مسجد الاذان والصلاة وعليه بهاء الطاعة وانوار

العباده

اسناد حديث كليب والمغفل
حكمه ذكر قصة ابن ابي الصباب اهـ

وانوار العباده فمر قايوما المنارة على عادته للاذان وكان تحت المنارة دار لنصراني
فاطلع منها فراى ابنة صاحب الدار فافتتن بها فترك الاذان ونزل اليها ودخل الدار
فقالت له ما شانك وما تريد قال اريدك قالت لماذا قال قد سبيت لبي واخذت
بمجامع قلبي قالت لا احيبك الى ريبة قال ان زوجك قالت انت مسلم وانا نصرانية
وابي لا يزوجني منك قال لها انتصري قالت ان فعلت افعل فتنصر الرجل لاجلها وحما
واقام معهم في الدار فلما كان في اثناء ذلك اليوم رمى الى السطح كان في الدار فسقط ميتا
فمات منه فلم يظفر بها وفاته دينه **فصل** ولما كانت مفسدة اللواط من
اعظم المفاسد وكانت عقوبته في الدنيا والاخرة من اعظم العقوبات وقد اختلف
الناس هل هو اغلظ عقوبة من الزنى او الزنى اعظم عقوبة منه او عقوبتهما
سواء على ثلاثة اقوال فذهب علي بن ابي طالب وابو بكر الصديق وخالد بن الوليد
وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وخالد بن زيد وعبد الله بن معمر والزهري
وربيعة بن ابي عبد الرحمن ومالك واسحق بن راهويه والامام احمد في احد الروايتين
عنه والشافعي في احد قوليه الى ان عقوبته اعظم من عقوبة الزنا وعقوبته
القتل على كل حال محصنا كان او غير محصن وذهب عطاء بن ابي رباح والحسن
البصري وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وقتاده والاوزاعي والشافعي في
ظاهر مذهبه والامام احمد في الرواية الثانية عنه وابو يوسف ومحمد الى ان عقوبته
عقوبة الزنا سواء وذهب الحكم والامام ابو حنيفة الى ان عقوبته دون عقوبة
الزاني وهي التعزير قالوا لانه معصية من المعاصي لم يقدر الله ولا رسوله
فيه حدا مقدرا فكان فيه التعزير كاكل الميتة والدم ولحم الخنزير قالوا
ولانه وطء في محل لا تشتهيه الطباع بل ركبها الله على النفرة منه حتى الحيوان
البهيم فلم يكن فيه حد كوطي الحمار وغيره قالوا ولانه لا يسمى زانيا لغة
وشرعا وللعرفا فلا تدخل النصوص الدالة على حد الزانيين قالوا ولانا
راينا قواعد الشريعة ان المعصية اذا كان الوازع عنها طبعا اكتفي بذلك الوازع
عن الحد واذا كان الطباع تعاصمها جعل فيها الحد بحسب اقتضاء الطباع
لها ولهذا جعل الحد في الزنى والسرقة وشرب المسكر دون اكل الميتة والدم

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولحم الخنزير قالوا وأطرد هذا انه لا حد في وطي البهيمة ولا الميتة وقد جعل الله سبحانه الطباع على النفرة من وطي الرجل مثله اشد نفرة كما جبلها على النفرة من استدعاء الرجل من يطؤه بخلاف الزنى فان الداعي قيم مما الجانبين قالوا ولان احد النوعين اذا استمتع بشكله لم يجب عليه الحد كما لو تساحقت المرأتان واستمتعت كل واحدة منهما بالاخرى قال اصحاب القول الاول وهو جمهور الامة وحكاه غير واحد اجماعا للصحابة ليس في المعاصي اعظم مفسدة من هذه المفسدة وهي تلي مفسدة الكفر وربما كانت اعظم من مفسدة القتل كما سنبينه ان شاء الله تعالى قالوا ولم يبتل الله سبحانه بهذه الكبيرة قبل قوم لوط احدا من العالمين وعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها امة غيرهم وجمع عليهم من انواع العقوبات ما لا هلاك وقلب ديارهم عليهم والخسف بهم ورجمهم بالحجارة من السماء فنكل بهم نكالا لم ينكله بامة سواهم وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد الارض تميد من جوانبها اذا عملت عليها وتهرب الملئكة الى اقطار السموات والارض اذا شاهدوها خشية نزول العذاب على اهلها فيصيبهم معهم وتبح الارض الى ربها تبارك وتعالى وتكاد الجبال تزول من اماكنها وقتل المفعول به خير له مما وطئ فاذا وطئ قتل قتلا لا يرجى الحيوة معه بخلاف قتله فانه مظلوم شهيد وربما ينتفع به في اخرته قالوا والدليل على هذا ان الله سبحانه وتعالى جعل حد القتل الى خيرة الولي ان شاء قتل وان شاء عفا وحتم قتل اللوطي حدا كما اجمع عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت في الاحاديث الصحيحة الصريحة التي لا معارض بل عليها عمل الصحابة وخلفائه الراشدين وقد ثبت عن خالد بن الوليد انه وجد في بعض نواحي العرب رجلا ينكح كما تنكح المرأة فكتب الى ابي بكر الصديق فاستشار ابو بكر الصحابة رضي الله عنهم فكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اشدهم قولا فيه فقال انما فعل هذا امة من الامم واحدة وقد علمتم ما فعل الله بها اراى ان يحرق بالنار فكتب ابو بكر فوافقه وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ينظر اعلى بناء في القرية فيرمى اللوطي منها منكسا ثم يتبع بالحجارة واخذ عبد الله بن عباس هذا الحد من عقوبة الله للوطية

ثم نسخ قوم لوط

قوم لوط وابن عباس هو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به رواه اهل السنن وصححه ابن حبان وغيره واجمع الامام احمد بهذا الحديث واسناده على شرط البخاري قالوا وثبت عنه انه قال لعن الله من عمل عمل قوم لوط ولم يجئ عنه لعنة الزاني في حديث واحد وقد لعن جماعة من اهل الكبائر فلم يجاوز بهم اللعنة مرة واحدة وكرر لعن اللوطية واكد ثلاث مرات واطبق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتله فلم يختلف فيه منهم رجلان وانما اختلفت اقوالهم في صفة قتله فظن بعض الناس ان في ذلك اختلاف منهم في قتله فحكاها مسئلة نزاع بين الصحابة وهي بينهم مسئلة اجماع لا مسئلة نزاع قالوا ومما يدل على قوله سبحانه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وقوله في اللواط اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين بين له تفاوت ما بينهما فانه سبحانه نكر الفاحشة في الزنا اي هو فاحشة من الفواحش وعرفها في اللواط وذلك يفيد انه جامع لمعاني اسم الفاحشة كما يقول زيد الرجل ونعم الرجل زيد اي اتاتون الخصلة التي استقر فحشها عند كل احد وهي تظهر فحشها وكماله عنيه عن ذكرها بحيث لا يضرف الاسم الى غيرها وهذا نظير قولهم لموسى وفعلت فعلتك التي فعلت اي الفعلة الشنعا الظاهرة المعلومة لكل احد ثم اكد سبحانه شان فحشها بانها لم يعملها احد من العالمين قبلهم ثم زاد في التاكيد بان صرح بما تشمئز منه القلوب وتنبو عنه الاسماع وتنفر منه اشد نفرة الطباع وهو اتيان الرجل رجلا مثله ينكح كما ينكح الانثى فقال انكم لتاتون الرجال ثم نبه على استغنائهم عن ذلك وان الحامل لهم عليه ليس مجرد الشهوة لا الحاجة التي لاجلها مال الذكر الى الانثى من قضاء الوطر ولذة الاستمتاع وحصول المودة والرحمة التي تنشى المراة لها ابويها وتذكر بعلها وحصول النسل الذي هو حفظ هذا النوع الذي هو اشرف المخلوقات وتحصين المراة وقضاء وطرها وحصول علاقة المصاهرة التي لها احب النسب وقيام النساء على الرجال وهو احب الخلق الى الله من جماعهم كالانبياء والاولياء والمؤمنين وبكاثرة النبي صلى الله عليه وسلم بامته الى غير ذلك من مصالح النكاح التي اللواط يقاوم ذلك وبين باغلبه بما لا يمكن حصر فساده ولا يعلم تفصيله الا الله ثم اكد سبحانه قبح ذلك بان حكم عليهم بالاسراف

ومجاوزة الحد فقال بل انتم قوم مسرفون فتامل هل جاء مثل ذلك او
قريب منه في الزنا والكد بحانه ذلك عليهم بقوله وبخبيثه من القرية التي
كانت تعمل الخبائث ثم اكد عليهم الذم بوصفهن في غاية القبح فقال انهم
كانوا قوم سوء فاسقين وسماهم مفسدين في قوله نبيهم رب انصرني
على القوم المفسدين وسماهم ظالمين في قول الملئكة لابراهيم انا مهلكوا
اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين فتامل من عوقب بمثل هذه
العقوبات ومن ذمه الله بمثل هذه المذمات ولما جادل في شانهم خليل
الله ابراهيم الملئكة وقد اجزموا باهلاكهم فقيل له يا ابراهيم
اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود
وتامل حنث اللوطية وفرط تمردهم على الله حيث جاؤا نبيهم لوطا
لما سمعوا بانه قد طرقه اضيافهم من احسن البشر صورا فاقبل اللوطية
اليه يهرولون فلما راهم قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله واخزوني في ضيفي اليس منكم
بينانه يزوجهم بهن خوفا على نفسه واضيافه من العار الشديد فقال
رجل رشيد فردوا عليه ولكن رد جبار عنيد لقد علمت مالنا في بناتك
من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد
فنفخ نبي الله نفيا مصدر خرجت من قلب مكروب عميد وقال لو ان لي بكم قوة
او اوي الى ركن شديد فنفس لرسل الله وكشفوا عن حقيقة الحال
واعلموه انهم ليسوا ممن يوصل اليهم والى اليه بسببهم سبيل فلا تخف
منهم ولا تحفل بهم وهون عليك فقالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك وبشروه بما جاؤا به من الوعد له ولقومه ومن الوعيد المصيب
فقالوا فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك
انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح فاستبطا نبي الله موعدهم اكهم
وقال اريد اعجل من هذا فقالت الملئكة اليس الصبح بقريب فوالله ما كان

لهم صح

بينهما هلاك اعداء الله ونجاة نبيه واوليائه الا ما بين السحر وطلوع الفجر واذا
بديارهم قد اقتلعت من اصولها ورفعت نحو السما حتى سمعت الملئكة
نباح الكلاب ونهيق الحمير فبرز المرسوم الذي لا يرد من عند الرب الجليل
الى عبده ورسوله جبريل بان يقلبها عليهم كما اخبر به في محكم التنزيل
فقال عز من قائل فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة
من سجيل فجعلهم اية للعالمين وموعظة للمتقين ونكالا وسلفا لمن
شاركهم في اعمالهم من المجرمين وجعل ديارهم بطريق السالكين ان في
ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين اخذهم
على غرة وهم نائمون وجاءهم باسه وهم في سكرتهم يعمهون فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون فانقلبت تلك اللذات الاثاما فاصبحوا بها معذبون
كانت في الحيوة الدنيا لاهلها عذابا حضارت في الممات عذابا ذهبت
اللذات واعقبت الحسرات وانقضت الشهوات واورثت الشقاوة
تمتعوا قليلا وعذبوا طويلا ارتعوا مرتعا وخيما فاعقبهم عذابا اليما
واسكرتهم خمرة تلك الشهوة فما استفاقوا منها الا في ديار الخذلان
وارقدتهم تلك الغفلة فما استيقظوا الا وهم في منازل الهالكين فندموا
والله اشد الندامة حين لا ينفع الندم وبكوا على ما اسلفوه بدل الدموع
بالدم فلو رايت الاعلى والاسفل من هذه الطائفة والنار تخرج من
منافذ وجوههم وابدانهم وهم بين اطباق الجحيم وهم يشربون بدل
لذيذ الشراب كؤس الحميم وتيال لهم وعلى وجوههم مسحبون ذوقوا
ما كنتم تكسبون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون
ما كنتم تعملون ولقد ضرب الله سبحانه اساءة العذاب بين الامة وبين اخوانهم
في العمل فقال لخوفا لهم ان يقع الوعيد وما هي من الظالمين ببعيد

فيا ناكح الذكران بهنيكم البشرا ٤ فيم معاد الناس ان لكم احدا ٤
كلوا واشربوا وارتعوا وتمتعوا فانتم ٤ فانه لكم فوفا الى الجنة الخلدا ٤
فاخوانكم قد مهدوا الدار قبلكم ٤ وقالوا الينا عجلوا لكم البشرا ٤

وها نحن اسلافكم في انتظاركم ٤
وكما تحسبون ان الذين نكحتم ٤
ويلعن كل منكم بخليله ٤
يعذب كل منهما بشر بكله ٤

سيجمعنا الجبار في نادة الكرا ٤
يغيبون عنكم بل ترونهم جهرا ٤
ويشفي منهم المحزون في الكرة الاخرا ٤
كما اشتهت في لذة نوحا لفوزا ٤

فصل في الاجوبة عما احتج به من جعل عقوبة هذه الفاحشة دون عقوبة الزنا اما قولهم انها معصية لم يجعل الله فيها حدا معينا اعاذنا الله من ذلك فجوابه من وجوه **احدها** ان المبلغ عن الله جعل حد صاحبها القتل حتما وما يشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما شرعه عن الله فان اردتم ان حد ها غير معلوم بالشرع فهو باطل وان اردتم انه غير ثابت بنص الكتاب لم يلزم انتفاء حكمه لثبوته بالسنة **الثاني** ان هذا ينتقض عليكم بالرجم فانه انما ثبت بالسنة فان قلتم بل ثبت بقرآن نسخ لفظه وبقي حكمه قلنا فينتقض عليكم بحد شارب الخمر **الثالث** ان بقاء دليل معين لا يستلزم نفي مطلق الدليل ولا نفي المدلول فكيف وقد قدمنا ان الدليل الذي يفيد موجب غير منتف **واما** قولكم انه وطء في محل لا تشتهيه طباع الرجال فلا يوجب القتل كما لا تشتهيه طباع الرجال على النفرة منه فهو كوطء الميتة والبهيمة فجوابه من وجوه **احدها** انه قياس فاسد الاعتبار مردود بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع الصحابة كما تقدم بيانه **الثاني** ان قياس وطء الامرد الجميل الذي تشتهيه النفوس على كل فتنة على وطء امرأة ميتة من افسد القياس وهل يعدل احد قط بامة او بقرة او ميتة ان شيئا من ذلك محل عاشق او اسر قلبه او استولى على فكره ونفسه فليس الى القياس افسد من هذا **الثالث** انما ينقض بوطء الام والبنت والاخت وان النفرة الطبيعية عنه خالصة مع ان الحد فيه من اغلظ الحد وفي احد القولين وهو القتل بكل حال محصنا كان او غير محصن وهذا هو احد الروايتين عن الامام احمد وهو قول اسحق بن راهويه وجماعة من اهل الحديث **وقد** روى ابو داود من حديث البراء بن عازب قال لقيت عمي ومعه الراية فقلت الى اين تريد قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل نكح امرأة ابيه من بعده ان اضرب عنقه واخذ ماله **قال** الترمذي

هذا حديث

لعله ان نفي

هذا حديث حسن قال ابو جناب عن البراء اسمه الحارث بن عمرو وفي سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقع على ذات محرم فاقتلوه ورفع الى الحجاج رجل اغتصب اخته على نفسها فقال احبسوه واسألوا من هاهنا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن مطرف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تخطى حرم المؤمنين فتخطوا وسطه بالسيف وفيه دليل القتل بالتوسط وهذا دليل مستقل في المسئلة وهو ان لا يباح وطء بحال فحد وطء القتل دليل من وقع على امه او بنته وكذلك يقال في وطء ذوات المحارم ووطء من لا يباح وطؤه بحال وكان حد القتل كاللوطي والتحقيق ان يستدل على المسئلتين بالنص والقياس يشهد لصحة كل منهما **وقد** اتفق المسلمون على من زنا بذات محرمه فعليه الحد **وانما** اختلفوا في صفة الحد هل هو القتل بكل حال او الحد حد الزاني على تفصيل فذهب الشافعي ومالك واحمد في احد روايتيه ان حد حد الزاني وذهب احمد واسحق وجماعة من اهل الحديث الى ان حده القتل بكل حال وكذلك اتفقوا كلهم على انه لو اصابها باسم النكاح عالما انه لا يحل الا ابا حنيفة وحده فانه رأى ذلك شبهة مسقطة للحد ومن زعم يقولون اذا اصابها باسم النكاح فقد زاد في تحريمه غلظا وشدة فانه ارتكب محذورين عظيمين محذور العقد ومحذور الوطء فكيف يخفف عنه العقوبة بضم محذور العقد الى محذور الزنى **واما** وطء الميتة ففيه قولان للفقهاء وهما في مذهب احمد وغيره **احدهما** يجب به الحد وهو قول الاوزاعي وان فعله اعظم جرما واكبر ذنبا لانه انضم الى الفاحشة هتك حرمة الميتة

فصل واما وطء البهيمة فللفقهاء فيه ثلاثة اقوال **احدها** ان يوجب عليه وهو قول مالك وابو حنيفة والشافعي في احد قوليه وهو قول اسحق **الثاني** ان حكمه حكم الزاني يجلد ان كان بكرا ويرجم ان كان محصنا وهذا قول الحسن والقول **الثالث** ان حكمه حكم اللوطي فيه عليه احمد فيخرج على الروايتين في حده هل هو القتل حتما او كالزاني والذين قالوا حده القتل احتجوا بما رواه

ولها

احدها

وقيل احدها الثاني الثالث

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابو داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه قالوا فلما نهى عن قتل البهيمة علمنا ان النهي عن قتلها لاجل ان يؤكل لحمها وهذا لا يباح بحال فكان فيه القتل لحد اللوطي ومن لم ير عليه حدا قالوا لم يصح فيه الحديث ولو صح لقتلنا به ولم يجعل لنا مخالفته قال اسمعيل بن سعيد الساليجي سالت احمد عن الذي اتى البهيمة فوقف عندها ولم يثبت حديث عمرو بن ابي عمرو في ذلك قال الطحاوي الحديث ضعيف وايضا فرواية ابن عباس وقد انفق بانه لا حد عليه قال ابو داود وهذا يضعف الحديث ولا ريب ان الزاجر الطبيعي عن اتيان البهيمة اقوى من الزاجر الطبيعي عن اللوط وليس الامران في طباع الناس سواء فالحاق احدهما بالاخر مع افساد القياس

فصل واما قياسكم وطي الرجل لمثله على تلك المباينة فمن افسد القياس اذ لا ايلاج هناك وانما نظير مباشرة الرجل الرجل من غير ايلاج على انه قد جاء في بعض الآثار المرفوعة اذا اتت المراة المراة فهما زانيتان ولكن لا يجب الحد بذلك لعدم الايلاج وان اطلق عليهما اسم الزنا العام كزنا العين واليد والرجل والفم واذا ثبت هذا فاجمع المسلمون على حكم اللوط مع المملوك كحكمه مع غيره ومن ظن ان لوط الانسان مع مملوكه جائز واضح على ذلك بقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين وقاس ذلك على امته المملوكة فهو كافر يستتاب كما يستتاب المرتد فان تاب والا ضرب عنقه ولوط الانسان بمملوكه كلوطه بمملوك غيره في الاثم وفي الحكم

فصل فان قيل وهل مع ذكر كله دوا لهذا الداء العضال وفرقة لهذا السحر القتال وما الاحتيال لدفع هذا الخيال وهل من طريق قاصد الى التوفيق وهل يكن السكران بجرم الهوان يعيش وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل الى سويدائه وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في مرئه من سوداء ان لامه لائم الف بملامته ذكروا لمحبوبه وان عذله عاذل وساء به في طريق مطلوبه ينادي عليه شاهد حاله بلسان مقاله شعر

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ... متاخر عنه ولا متقدم
واهيتني فاهنت نفسي جاهدا ... بما يهون عليك مني يكرم
اشمتت اعدائي فصرت اجبهم ... ان كان حظي منك حظي منهم
اجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم

ولعل

ولعل هذا هو المقصود بالسؤال الاول الذي وقع عليه الاتفاق الذي طلب له الدواء فتامل نعم **الجواب** من راى وما انزل الله سبحانه داء الا انزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله والكلام في دواء الداء من طريقين **احدهما** حسم مادته قبل حصولها **والثاني** فعلها بعد نزولها وكلاهما يسير على من يسره الله عليه ومتعذر على من عقمه الله فان ازمة الامور بيده واما الطريق المانعة من حصول هذا الداء فامران

احدهما غض البصر كما تقدم فان النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ومن اطلق لحظاته دامت حسراته وفي غض البصر عدة منافع احدها امتثال امر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده فليس للعبد في دنياه واخرته انفع من امتثال اوامر ربه تبارك وتعالى وما سعد من سعد في الدنيا والاخرة الا بامتثال اوامر ربه وما شقي من شقي في الدنيا والاخرة الا بتضييع اوامر ربه **الثانية** انه يمنع من وصول اثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه الى قلبه **الثالثة** انه يورث القلب انسا بالله وجمعية على الله فان اطلق البصر يفرق القلب ويشتته ويبعده من الله وليس على القلب شيء اضر من اطلاق البصر فانه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه **الرابعة** انه يقوي القلب ويفرحه كما ان اطلق البصر يضعفه ويحزنه **الخامسة** انه يكسب القلب نورا فان اطلاقه يكسبه ظلمة ولهذا ذكر سبحانه انه النور عقيب الامر بغض البصر فقال قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ثم قال اثر ذلك الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح اي مثل نوره في قلب العبد المؤمن الذي امتثل اوامره واجتنب نواهيه واذا استنار القلب اقبلت وفود الخيرات اليه من كل جانب كما انه اذا اظلم اقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان فما شئت من بدع وضلالة واتباع هوى واجتناب هدى واعراض عن اسباب السعادة واشتغال بالاسباب المقاوية فان ذلك انما يكتسبه النور الذي في القلب فاذا فقد ذلك النور بقي صاحبه كالاعمى الذي يتخبط في حنادس الظلمات **السادسة** انه يورث فراسة صادقة يميز بها بين المحق والمبطل والصادق والكاذب وكان شاه ابن شجاع الكرماني يقول من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكف نفسه عن الشهوات واعتذابا لحلال لم تخطئ فراسته وكان شاه بن شجاع هذا
لا تخطئ له فراسة والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله ومن ترك لله
شيئا عوضه الله خيرا منه فاذا غض بصره عن محارم الله عوضه الله بان يطلق نور
بصيرته عوضا عن حبسه بصره لله ويفتح له باب العلم والايمان والمعرفة والفراسة
الصادقة المصيبة التي اما تنال بصيرة القلب وضد هذا اما وصف الله به الملوك
من العمى الذي هو ضد البصيرة فقال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فوصفهم
بالسكرة التي هي فساد العقل والعمى الذي هو فساد البصر فالتعلق بالصور يوجب
فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب كما قال القائل

٤ سكران سكر هوى وسكر ندامة ٤ ومتى افاق مى به سكران ٤ وقال آخر
٤ قالوا خشنت فمن تهوى فقلت لهم ٤ العشق اعظم مما بالمجانين ٤
٤ العشق يستغرق الانسان صاحبه ٤ وانما يصرع المجنون في الحين ٤

السابعة انه يورث القلب شتاتا وتشتتا وتفرقة فيجمع الله له بين سلطان البصيرة
والحجة وسلطان القدرة والقوة كما في الاثر الذي يخالف هواه يلقى الشيطان من
ظله وضد هذا المتبع لهواه من اذل النفس ووضاعتها ومهانتها وحسنها وخفارتها
ما جعل الله سبحانه فيمن عصاه كما قال الحسن انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت
بهم البراذين انه لا ذل المعصية في قلوبهم الجبار الا ان يذل من عصاه وقد جعل
سبحانه العز في توبة طاعته والذل في توبة معصيته فقال تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين وقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين والايمان
قول وعمل ظاهر وباطن وقال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اي من كان يريد العزة فليطلبها
بطاعة الله وذكره من الكلام الطيب والعمل الصالح وفي دعاء القنوت انه
لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت فمن اطاع الله فقد والاه فيما اطاعه
فيه وله من العز بحسب طاعته ومن عصاه خفر عادله فيما عصاه فيه وله
من الذل بحسب معصيته الثامنة انه يسد على الشيطان مدخله الى القلب
فانه يدخل مع النظر وينفذ معه الى القلب اسرع من نفوذ الهوى في المكان

الخالي فيمثل له صورة المنظور اليه وبين يديها ويجعلها صنما يعكف عليه القلب
ثم يعده ويمنيه ويوقد عليه القلب نار الشهوات ويلقي عليه حطب المعاصي
التي لم يكن يتوصل اليها بدون تلك الصورة فيصير القلب في اللهب فمن
ذلك اللهيب تلك الانفاس التي يجد فيها وهج النار وتلك الزفرات والحرقات
فان القلب قد احاطت به النيران من كل جانب وهو في وسطها كالشاة في وسط
التنور ولهذا كانت عقوبة اصحاب الشهوات للصور المحرمة ان جعل لهم
في البرزخ تنورهي نار واودعت ارواحهم فيه الى يوم حشر اجسادهم
اراه الله نبيه صلى الله عليه وسلم في المنام في الحديث المتفق على صحته التاسعة انه
يفرغ القلب للفكر في مصالحه والاشتغال بها واطلاق البصر يشينه عن ذلك و
يحول بينه وبينه فيشغله عليه امور ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن
ذكر ربه وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا
واطلاق النظر يوجب هذه الامور الثلاثة بحسبه العاشرة ان بين العين
والقلب منفذا وطريقا يوجب اشتغال احدهما عن الاخر وان يصلح بصلاحه
ويفسد بفساده فاذا فسد القلب فسد النظر وان فسد النظر فسد القلب
وكذلك في جانب الصلاح فاذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد
وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والاوساخ فلا يصلح
لسكنى معرفة الله ومحبته والانابة اليه والانس به والسرور بقربه فيه وانما
سكنى فيه اضداد ذلك فهذه اشارة الى بعض فوائد غض البصر تطلعك
على ما وراءها فصل الثاني اشتغال القلب بما يصده عن ذلك ويحول
بينه وبين الوقوع فيه وهو اما خوف مطلق او حب مزعج فمتى خلا
القلب من خوف ما هو فوات امر عليه من حصول هذا المحبوب او خوف
ما حصوله امر عليه من فوات المحبوب او محبة ما هو انفع له وخير له
من هذا المحبوب وفواته امر عليه من فوات هذا المحبوب لم يجد بدا من
عشق الصور وشرح هذا ان النفس لا تترك محبوبا الا لمحبوب اعلى
منه وخشية مكروه حصوله امر عليه من فوات هذا المحبوب وهذا

Cairo University Scanning Project
الألوكة
www.alukah.net
الشبكة

ذلك لمن يشا فمحبة الصور تفوت محبة ماهو انفع للعبد منها بل يفوت
محبة ماليس له صلاح ولا نعيم والحيوة نافية الا المحبة وحد فليختر
احد المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب ولا يرتفعان منه بل ما اعرض
عن محبة الله وذكره والشوق الى لقائه ابتلاه بمحبة غيره يعذبه بها في الدنيا
وفي البرزخ وفي الاخرة واما ان يعذبه بمحبة الاوثان او محبة الصلبان
او محبة الميزان او محبة المردان او محبة النسوان او محبة الانعام والاخلاق
او محبة ما دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان فالانسان عبد محبوبه

كائنا ما كان كما قيل بيت من الشعر

انت القتيل بكل من احببته ٤ فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي ٤

فمن لم يكن الهه مالكه ومولاه كان الهه هواه قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه
هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه
من بعد الله افلا تذكرون وفضل وخاصة التعبد الحب مع الخضوع والذل
للمحبوب فمن احب شيئا وخضع له فقد تعبد قلبه له بل التعبد اخر مراتب الحب
ويقال له الهيم ايضا فان اول مراتبه العلاقة وسميت علاقة لتعليق الحب بالمحبوب
قال ٤ وعلقت ليلى وهي ذات التمائم ٤ ولم تبد للاتراب من ثدييها حجم ٤ وقال
٤ اعلاقة ام الوليد بعيدها ٤ افنان راسك كالثغام المخلس ٤
ثم بعدها الصبابة لانصباب القلب الى المحبوب قال
٤ تشكى الي الصبابة ليشتفي ٤ تحملت ما تلقون من بينهم وجدي ٤
٤ فكانت لقلبي لذة الوجد كلها ٤ فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ٤
ثم الغرام وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه ومنه سمي الغريم غريما لملازمته
صاحبه ومنه قولهم ان عذابها كان غراما وقد اولع المتاخرون بهذا اللفظ
في الحب وقل ان تجده في اشعار العرب ثم العشق وهو افراط المحبة ولهذا لا يوصف
به الرب تعالى ولا يطلق في حقه ثم الشوق وهو سفر القلب الى المحبوب احب السفر
وقد جاء الالاة في حق الرب تعالى كما في مسند الامام احمد من حديث عمار بن ياسر انه
صلى صلوة فاوجز فيها فقيل له في ذلك فقال اني دعوت فيها بدعوات كان النبي صلى الله

لعله
للازمته

احدهما

يحتاج صاحبه الى امرين اذ فقد اواحدهما لم ينتفع بنفسه احدهما بصيرة
صحيحة يفرق بها بين درجات المحبوب والمكروه فيؤثر اعلى المحبوبين على
ادناهما ويحتمل ادنى المكروهين ليتخلص من اعلاهما وهذا خاصة العقل ولا
يعد عاقلا من كان بضد ذلك بل قد يكون البهائم احسن حالا منه الثاني
قوة عزم وصبر يتمكن بها من هذا الفعل والترك فكثيرا ما يعرف الرجل
قدر التفاوت ولكن يأتي لضعف نفسه وهمته وعزيمته على ايثار
الانفع من خيفته وحرصه ووضاعة نفسه وخسة همته ومثل هذا
لا ينتفع بنفسه ولا ينتفع به غيره وقد جعل الله سبحانه امامة الدين الامن
اهل الصبر واليقين فقال تعالى وبقوله يهتدى المهتدون وجعلنا هم
ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بايتنا يوقنون وهذا هو الذي ينتفع
بعلمه وينتفع به الناس وضده لا ينتفع بعلمه ولا ينتفع به الناس ومن الناس
من ينتفع بعلمه في نفسه ولا ينتفع به غيره فالاول يمشي في نوره ويمشي
الناس في نورهم والثاني قد يطفئ نورهم فهو يمشي في الظلمات ومن تبعه
في ظلمته والثالث يمشي في نورهم وحده والله اعلم فصل اذا عرفت
هذه المقدمة فلا يمكن ان يجتمع في القلب حب المحبوب الاعلا وعشق الصور
بل لا بد ان يخرج احدهما صدفا لا يتلاقيان بل لا بد ان يكون
صاحبه لمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب الاعلا الذي محبة ما سواه باطله
وعذاب على صاحبها صرفه ذلك عن محبة ما سواه وان احبه لم
يحبه الا لاجله ولكونه وسيلة له الى محبته او قاطعا له عما يضاد محبتها
ونقصها والمحبة الصادقة يقتضي توحيد المحبوب وان لا تشرك بينه
وبين غيره في محبته واذا كان المحبوب من الخلق يأنف ويغار ان يشرك
محبة غيره في محبته ويقته لذلك وبتعده ولا يخطيه بقربه وبعده كان با
في دعوى محبته مع انه ليس اهلا لصرف قوة المحبة فكيف بالحبيب
الاعلا الذي لا ينبغي المحب الا له وحده وكل محبة لغيره فهي عذاب
على صاحبها ووبال ولهذا لا يغفر الله ان يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون

ذلك

عليه وسلم يدعو بهذا اللهم اني اسالك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني
اذا كانت الحياة خيرا لي وتوفني ان كانت الوفاة خيرا لي اللهم واسالك خشيتك في
الغيب والشهادة واسالك كلمة الحق في الغضب والرضى واسالك القصد في الفقر
والغنى واسالك نعيما لا ينفد واسالك قرة عين لا ينقطع واسالك برد العيش بعد
الموت واسالك لذة النظر الى وجهك واسالك الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة
ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وفي اثر اخر اللهم ان
الاسرار التي بيني وبينك اسئلك شوقا وهذا هو المعنى الذي عبر عنه صلى الله
عليه وسلم بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال بعض اهل البصائر في قوله
تعالى من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات لما علم سبحانه شدة شوق اوليائه
الى لقائه وان قلوبهم لا تهدأ دون لقائه ضرب لهم اجلا وهو عدا للقاء تسكن
نفوسهم به وتطيب العيش والذة على الاطلاق عيش المحبين المشتاقين المستانسين
بحبهم هي الحيوة الطيبة في الحقيقة والحيوة للعبد اطيب وكما انعم والاهنا
منها وهي الحيوة الطيبة المذكورة في قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو
مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ليس المراد منها الحيوة المشتركة بين المؤمنين والكفار
والابرار والفجار من طيب المآكل والمشارب والملبس والمنكح بل ربما زاد اعداء الله
على اوليائه في ذلك اضعافا مضاعفة وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحا
ان يحييه حيوة طيبة وهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده واي حيوة اطيب
من حيوة من اجتمعت همومه كلها وصارت هما واحدا في مرضات الله ولم يتشعب
قلبه بالاقبال على الله واجتمعت ارادته وافكاره التي كانت منقسمة بكل واد منها
شعبة على الله فصار ذكر محبوبه الاعلى وحبه والشوق الى لقائه والانس بقربه هو
المستولي عليه تدور همومه وارادته وقصوده بل خطرات قلبه فاذا سكت
سكت بالله واذا نطق نطق به واذا سمع فيه يسمع واذا ابصر فيه يبصر وبه يبطش
وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن وبه يحيى وبه يموت وبه يبعث كما في صحيح البخاري
عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى انه قال ما تقرب الي عبدي بمثل اداء
ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت

سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي
بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه
وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره
مساءته ولا بد له منه فتضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرم على غليظ الطبع
كشف القلب فهم معناه والمراد به حض الحباب محبته في امرين اداء فرائضه والتقرب
اليه بالنوافل واجر سبحانه ان اداء فرائضه احب ما تقرب اليه المتقربون ثم
بعدها النوافل فان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله اوجبت
محبة الله له محبة اخرى منه فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه
عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير
محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه و وحبه الاعلى كالزمام قلبه
مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبة محبوبه الصادقة في محبته التي
قد اجتمعت قوى جسمه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر
ابصر وان بطش بطش به وان مشى مشى به فهو في قلبه ومعه وانيسه وصاحبه
واليه هيهنا ياء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها
والعلم بها فانها مسئلة حالية لا علمية بحضه وان كان المخلوق يحب هذا في
محبة المخلوق التي لم يخلق لها ولم يفطر عليها كما قال بعض المحبين شعر

حيالك في عيني وذكرك في فمي ✦ ومثواك في قلبي فاين تغيب
ومما عجب اني احن اليهم ✦ واسال عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ✦ ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي
ان قلت غبت تخيلي لا يصدقني ✦ اذ انت فيه مكانك السر لم تغب
او قلت ما غبت قال الطرف ذا كذب ✦ فقد تحيرت بين الصدق والكذب

وقال الاخر وهذا اللفظ من قول الاخر

فليس شيء ادنى الى المحب من محبوبه وربما تمكنت منه المحبة حتى يصير ادنى اليه من نفسه حتى ينسى
نفسه ولا ينساه كما قال ✦ اريد لانسى ذكرها فكانما ✦ تمثل لي ليلى بكل سبيل ✦
وقال اخر ✦ يراد مني القلب نسيانكم ✦ وتابا الطباع على الناقل ✦
وخص في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر فان هذه الالات الات

الادراك والات العقل والسمع والبصر يردان على العقل الارادة والكراهة
ويجلبان اليه الحب والبغض فيستعمل اليه والرجل فاذا كان سمع العبد باسه
وبصره باسه كان محفوظا في الات ادراكه وكان محفوظا في جسمه وبغضه محفوظا في بطشه
ومشيه وتامل كيف اكتفى بذكر السمع والبصر واليد والرجل عن اللسان فانه اذا كان
ادراك السمع الذي يحصل باختياره تارة وبغير اختياره تارة وكذلك البصر قد يقع
بغير الاختيار فجاء وكذلك حركة اليد والرجل التي لابد للعبد منها فكيف بحركة
اللسان التي يقع الاقصد واختيار وقد يستغني العبد عنها الاحيث امر بها ايضا
فافعال اللسان عن القلب اتم من افعال سائر الجوارح فانه ترجمان قدر سوله وتامل
كيف حقق تعالى كون العبد به عند سمعه وبصره وبطشه ومشيه بقوله كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره وبطشه الذي يبطش به ورجله التي
يمشي بها تحقيقا لكونه مع عبده وكونه عبده وبه في ادراكاته سمعه وبصره وحركاته بيده
ورجله وتامل كيف قال في سمع ربي يسمع وربي يبصر ولم يقل ولي يسمع ولي يبصر ولي يمشي و
لي يبطش وربما يظن الظان ان اللام اولى بهذا الموضع اذهي ادل على الغاية وموضع
هذه الامور حسب وذلك لخصوص ومخوعها به وهذا من الوهم والغلط اذ ليست
الباء ها هنا بمجرد الاستعانة فان حركات الابرار والفجار وادراكاتهم انما هي
بمعونة الله لهم وانما الباء ها هنا للمصاحبة اي انما يسمع ويبصر ويبطش ويمشي
وانا صاحبه ومعه وكقوله في الحديث الاخر انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي
شفتاه وهذه هي المعية الخاصة المذكورة في قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين
وقوله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقوله تعالى ان الله لمع المحسنين
وقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله واصبروا ان الله مع الصابرين
وقوله كلا ان معي ربي سيهدين وقوله تعالى لموسى وهرون انني معكما اسمع واري
فهذه الباء مفيدة لمعنى هذه المعية دون اللام ولا يتاتى للعبد الاخلاص والصبر
التوكل ونزوله في منازل العبودية الا بهذه الباء وهذه المعية فمتى كان العبد
بالله هانت عليه المشاق وانقلبت المخاوف في حقه امانا فبالله يهون كل صعب
ويسهل كل عسير ويقرب كل بعيد وبالله تزول الهموم والغموم والاحزان فلا هم

مع الله

فصل ثم التيتم وهو اخر مراتب الحب وهو تعبد المحب لمحبوبه يقال تيمه
الحب اذا عبده ومنه تيم الله اي عبد الله وحقيقة التعبد الذل والخضوع
للمحبوب ومنه قولهم طريق معبد اي مذلل ومنه سمي البعير المذلل للعمل
الذي ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ولهذا كانت اشرف احوال العبد ومقاماته
هي العبودية فلا منزلة اشرف منها وقد ذكر الله اكرم الخلق عليه واحبهم اليه
وهو رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية في اشرف مقاماته وهو
مقام الدعوة اليه التحدي بالنبوة ومقام الاسري فقال سبحانه وانه لما
قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقال وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وقال سبحان الذي اسري بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذي باركنا حوله وفي حديث الشفاعة
اذ هو الذي عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فنال بكمال عبوديته

مقام الشفاعة

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكمال المغفرة لله والله سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له التي هي اكمل
انواع المحبة مع اكمل انواع الخضوع والذل وهذا هو حقيقة الاسلام وملة
ابراهيم التي من رغب عنها فقد سفه نفسه قال تعالى ومن يرغب عن ملة
ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني
ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم و
اسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ولهذا كان اعظم الذنوب عند الله
الشرك والله لا يغفر ان يشرك به واصل الشرك بالله الاشراك في المحبة كما قال تعالى
الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله و
اخبر سبحانه ان من الناس من يشرك به فيتخذ من دونه ندا يحبه كما يحب الله واخبر
ان الذين امنوا اشد حبا لله من اصحاب الانداد لاندادهم وقيل المعنى انهم
اشد حبا لله من اصحاب الانداد لله فانهم وان احبوا الله لكن لما اشركوا بينه
وبين اندادهم في المحبة ضعفت محبتهم لله والموحدون لله لما خلصت محبتهم
له كانت اشد من محبة اولئك والعدل برب العالمين والتسوية بينه وبين
الانداد هو في هذه المحبة كما تقدم ولما كان مراد الله من خلقه هو خلوص هذه
المحبة له انكر على من اتخذ من دونه وليا او شفيعا غاية الانكار وجمع ذلك
تارة وافرد احدهما عن الاخر بالانكار تارة فقال تعالى ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع
الا من بعد اذنه وقال تعالى الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون
وقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه من ولي
ولا شفيع لعلهم يتقون وقال في الافراد ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل
اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وقال تعالى من ورائهم جهنم ولا يغني
عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم

فاذا ولي

فاذا ولي العبد ربه وحده اقام له الشفعاء وعقد الموالاة بينه وبين عباده
المؤمنين فصاروا اولياءه في الله بخلاف من اتخذ مخلوقا وليا من دون الله
فهذا لون وذاك لون كما ان الشفاعة الشركية الباطلة لون والشفاعة الحق
الثابتة التي انما تنال بالتوحيد لون وهذا موضع فرقان بين اهل التوحيد
واهل الاشراك والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والمقصود ان حقيقة
العبودية لا تحصل مع الاشراك بالله في المحبة بخلاف المحبة لله فانها من لوازم
العبودية وموجباتها فان محبة الرسول بل تقديمه في الحب على الانفس والاباء
والابناء لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وكذلك كل حب في الله ولله كما
في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
لفظ في الصحيح لا يجد حلاوة الايمان الا من كان فيه ثلاث خصال ان يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يرجع في
الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وفي الحديث الذي في السنن
من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وفي حديث
اخر ما تحاب رجلان في الله الا كان افضلهما اشدهما حبا لصاحبه فان هذه
المحبة من لوازم محبة الله وموجباتها وكلما كانت اقوى كان اصلها كذلك
فصل وههنا اربعة انواع من المحبة يجب التفريق بينهما وانما ضل من
ضل بعدم التمييز بينهما احدها محبة الله ولا تكفي وحدها في النجاة من عذابه
والفوز بثوابه فان المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله
محبة ما يحب الله وهذه هي التي تدخله في الاسلام وتخرجه عن الكفر واحب الناس
الى الله اقومهم بهذه المحبة واشدهم فيها الثاني الحب لله وفيه وهي من لوازم
محبة ما يحب ولا يستقيم محبة ما يحب الا بالحب فيه وله الثالث المحبة مع الله
وهي المحبة الشركية وكل من احب شيئا مع الله لا لله ولا من اجله ولا فيه فقد اتخذ
ندا من دون الله وهذه محبة المشركين وبقي قسم خامس ليس مما نحن فيه وهو المحبة
الطبيعية وهي ميل الانسان الى ما يلائم طبعه كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام ومحبة
النوم والزوجة والولد فتلك لا تذم الا اذا الهت عن ذكر الله وشغلت عن محبته

Copyright © King Saud University
الألوكة
www.alukah.net

كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله **فصل** ثم الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها
بحيث لا تبقى في قلب المحب سعة لغير محبوبه وهي منصب لا يقبل المشاركة
بوجه ما وهذا المنصب خاص بالخليلين صلوات الله وسلامه عليهما ابراهيم
ومحمد كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي
الصحيح عنه قال لو كنت متخذا خليلا من اهل الارض لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
صاحبكم خليل الله و2 حديث احزابي ابرا الى كل خليل من خلقه ولما سأل ابراهيم
الولد فاعطيه وبقلق جبه بقلبه فاخذ من شعبة غار الحبيب على خليله ان يكون
في قلبه موضع لغيره فامر بذبحه وكان الامر في المنام ليكون تنفيذ الامر به
اعظم ابتلاء وامتحانا ولم يكن المقصود ذبح الولد ولكن المقصود ذبحه من
قلبه ليخلص القلب للرب فلما بادر الخليل الى الامتثال وقدم محبة ربه على
محبة ولده حصل المقصود فرفع الذبح وفدى بذبح عظيم فان الرب تعالى
ما امر بشيء ابطله رأسا بل لابد ان يبقى بعضه او بدله كما ابقى شرعية الفدا
وكما ابقى استحباب الصدقة بين يدي المناجاة وكما ابقى لخمس الصلوات بعد رفع
الخمسين وابقى ثوابها وقال لا يبدل القول لدي هي خمس وهي خمسون في الاجر
فصل واما ما يظنه بعض العاطلين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم
خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة
نهاية المحبة **وقد** اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له
خليل غير ربه مع اخبار بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا
فان الله سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين
ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين والشاب التائب
حبيب الله وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله **فصل**
وقد تقدم ان العبد لا ينزل ما يحبه ويهواه الا ما يحبه ويهواه ولكن يترك افضلهما
محبة لاقواهما محبة كما انه يفعل ما يكرهه لحصول ما هو احب اليه وآثر عنده من كراهية
ما يفعله او لتخلص من مكروه كراهيته عنده اقوى من كراهية ما يفعله وتتنه

ان خاصة

ان خاصة العقل ايثار اعلى المحبوبين على ادناهما وايسر المكروهين على اقواهما
ويقدم ان هذا كما لقوة الحب والبغض ولا يتم له هذا الا بامرين قوة الادراك
وشجاعة القلب فان المتخلف عن ذلك والعمل بخلافه يكون اما لضعف الادراك
بحيث انه لا يدرك مراتب المحبوب والمكروه على ما هي عليه واما لضعف في النفس
وعجز في القلب لا يطاوعه الايثار الاصلح له مع علمه بانه الاصلح فاذا صح ادراكه
وقويت نفسه وتشجع قلبه على ايثار المحبوب الاعلا والمكروه الادنا فقد
وفق لاسباب السعادة فمن الناس من يكون سلطان شهوته اقوى من سلطان
عقله وايمانه فيقهر الغالب الضعيف ومنهم من يكون سلطان ايمانه وعقله
اقوى من سلطان شهوته واذا كان كثير من المرضى يحمية الطبيب عما يضرهم فايا
عليه نفسه وشهوته الا تناوله ويقدم شهوته على عقله وتسمية الاطباء عديم
المروة فهكذا اكثر مرضا القلب يوثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم له
فاصل الشر هما اضعف الادراك وقوة النفس ودناءتها واصل الخير من كمال
الادراك وقوة النفس وشرفها وشجاعتها فالحب والارادة اصل كل فعل و
مبداه والبغض والكراهة اصل كل ترك ومبداه وهاتان القوتان في
القلب اصل سعادة العبد وشقاوته ووجود الفعل الاختياري لا يكون الا
بوجود سببه من الحب والارادة واما عدم الفعل فتارة يكون لعدم مقتضيه
وسببه وتارة يكون لوجود البغض والكراهة المانع منه وهذا متعلق الامر
والنهي وهو الذي يسمى الكف وهو متعلق الثواب والعقاب وبهذا يزول
الاستشكاه في مسئلة الترك هل هو امر وجودي او عدمي والتحقيق انه
قسمان فالترك المضاف الى عدم السبب المقتضي عدمي والمضاف الى
السبب المانع من الفعل وجودي **فصل** وكل واحد من الفعل و
الترك الاختياريين انما يورثه لحي ما فيه من حصول المنفعة التي يلتذ
بحصولها وزوال الالم الذي يحصل له الشفا بزوالهم ولهذا يقال شفا صدره
وشفى قلبه قال تعالى **٤** فيه شفاء للذي لوظرت بها **٤** وليس هنا شفاء الداء بمذول
وهذا مطلوب يوثر العاقل بل الحيوان البهيم ولكن يغلط فيه اكثر الناس غلطا

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

قبيحا فيقصد حصول اللذة بما يعقب عليه اعظم الالم فيولم نفسه من حيث
يظن انه يحصل لذاتها ويشفي قلبه بما يعقب عليه غاية المرض وهذا شان من
قصر نظره على العاجل ولم يلاحظ العواقب وخاصة العقل النظر في العواقب فاعقل
الناس من اثر لذة وراحة الاجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزايلة
واسعد الخلق من باع نعيم الابد وطيب الحيوة الدائمة واللذة العظماء التي لا
تنغيص فيها ولا تنقص بوجه ما لذة منغصة مشوبة بالالام والمخاوف وهي
سريعة الزوال وشيكة الانفصال قال بعض العلماء فكرت فيما يسعى فيه العقلا
فرايت سعيهم كله في مطلوب واحد وان اختلفت طرقهم في تحصيله رايتهم
جميعهم انما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم فهذا بالاكل والشرب وهذا
بالتجارة والكسب وهذا بالنكاح وهذا بسماع الغناء والاصوات المطربة وهذا
باللهو واللعب فقلت هذا المطلوب مطلوب العقلا ولكن الطرق كلها غير موصلة
اليه بل لعل اكثرها انما توصل الى ضده ولم ار في جميع هذه الطرق طريقا موصلة اليه
الا الاقبال على الله ومعاملته وحده وايثار مرضاته على كل شيء فان سالك هذه
الطريق ان فاته حظه من الدنيا فقد ظفر بالحظ العالي الذي لا فوت معه وان
حصل للعبد حصل له كل شيء وان فاته فاته كل شيء وان ظفر بحظه من الدنيا نالم
على الوجوه فليس للعبد انفع من هذا الطريق ولا اوصل منها الى لذة وبهجة
وسعادة وبالله التوفيق **فصل** والمحبوب قسمان محبوب لنفسه
ومحبوب لغيره والمحبوب لغيره لابد ان ينتهي الى المحبوب لنفسه دفعا للتسلسل
المحال وكل ما سوى المحبوب الحق فهو محبوب لغيره وليس شيء يحب لنفسه الا الله
وحده وكل ما سواه مما يحب فان محبته تبع لمحبة الرب تبارك وتعالى كمحبة
ملئكته وانبيائه واوليائه فانها تبع لمحبته سبحانه وهي من لوازم محبته فان محبة
المحبوب توجب محبة ما يحبه وهذا موضع يجب الاعتناء به فانه محل فرقان
بين المحبة التابعة لغيره والتي لا تنفع بل قد تضر واعلم انه لا يحب لذاته الا ما كمله
من لوازم ذاته والهيته وربوبيته وغناه من لوازم ذاته وما سواه انما يبغض
ويكره لمنافاته محبته ومضادته لها وبغضه وكراهته بحسب قوة هذه المنافاة

وضعفها

وضعفها فما كان اشد منافاة كان اشد كراهة من الاعيان والاوصاف والافعال
والارادات وغيرها فهذا ميزان عدل يوزن به موافقة الرب ومخالفته وموالاته ومعاداته
فاذا رايتا شخصا يحب ما يكرهه الرب تعالى ويكره ما يحبه علمنا ان فيه معاداة بحسب ذلك
واذا رايتا الشخص يحب ما يحبه الرب ويكره ما يكرهه وكلما كان الشيء احب الى الرب كان
احب اليه واثر عنده وكلما كان ابغض الى الرب كان ابغض اليه وابعد منه علمنا ان فيه
من موالاة الرب بحسب ذلك فتمسك بهذا الاصل غاية التمسك في نفسك وفي غيرك فالولاية
عبارة عن موافقة المولى الحميد في محابه ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلوة ولا تهجد ولا
رياضة والمحبوب لغيره قسمان ايضا احدهما ما يحتمل المحب بادراكه وحصوله والثاني ما لا يتم
يحتمله الى الاقضاء الى المحبوب كشرب الدواء الكريه قال الله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره
لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون
فاخبر سبحانه ان القتال مكروه لهم مع انه خير لهم لافضائه الى اعظم محبوب والفقه والنفوس
تحب الراحة والرفعة والوفاهية وذلك شرها لافضائه الى فوات هذا المحبوب
فالعاقل لا ينظر الى لذة المحبوب العاجلة وبا شرها والم المكروه العاجل فيرغب فيه فان
ذلك قد يكون سببا له بل قد يجلب عليه غاية الالم ويفوته اعظم اللذة بل عقلاء الذين يتحملون
المشاق المكروهة لما يعقبهم من اللذة بعدها وان كانت منقطعة والامور اربعة مكروه
يوصل الى مكروه ومكروه يوصل الى محبوب ومحبوب يوصل الى مكروه فالمحبوب الموصل
الى المحبوب قد اجتمع فيه داعي الفعل من وجهين والمكروه الموصل الى المكروه قد اجتمع فيه
داعي الترك من وجهين بقي القسمان الاخران يتجاذبهما الداعيان وهما معترك الابتلاء و
الامتحان فالنفس يوازن بهما جواز امضائهما وهو العاجل والعقل والايمان ويوازن
نفعهما وابقاءها والقلب بين الداعيين وهو الى هذا مرة والى هذا مرة وهاهنا محل
الابتلاء شرعا وقدرا فداعي الفعل والايمان ينادي كل وقت حي على الفلاح عند الصباح
يحمد القوم السرى وفي الممات يحمد العبد التقى فاذا اشتد ظلام ليل المحنة وتحكم سلطان
الشهوة والارادة تقول سعرا فما هي الا ساعة ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول
فصل واذا كان الحب اصل كل عمل من حق وباطل فاصل الاعمال الدينية تصديق الله
ورسوله وكمال الارادة تمنع كمال الحب لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة او تشهد لمنع كمال التصديق

Copyright King Saud University
الألوكة
www.alukah.net

وهي معارضة لاصل الايمان ومضعفة له فان قويت حتى عارضت اصل الحب
والتصديق كانت كفرا وشركا اكبر وان لم تعارضه قدحت في كماله واثرت فيه ضعفا
وفتورا في العزيمة والطلب وهي تحجب الواصل وتقطع الطلب وتشكي الراغب فلا
تصح الموالاة الا بالمعاد كما قال تعالى على لسان امام الحنفاء المجيبين انه قال لقومه
افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وابآؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين فلم
يصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة الا بتحقيق هذه المعاداة فانه لا ولاء الا بين
والا لله الا بالبراءة من كل معبود سواه قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله وقال تعالى
واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين
وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون اي جعل هذه البراءة والموالاة في
كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الانبياء واتباعهم بعضهم عن بعض
وهي كلمة لا اله الا الله وهي التي ورثها امام الحنفا الاتباع الى يوم القيمة وهي الكلمة
التي قامت بها الارض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها انشئت
الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي يحض حق الله على جميع العباد
وهي الكلمة العاصمة للدم والاموال والذرية في هذه الدار والمنجية مما عند القبر
وعذاب النار وهو المسئول الذي لا يدخل الجنة الا به والحبل الذي لا يصل الى الله سواه
يتعلق بسببه وهي كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام وبها انقسم الناس الى شقي و
سعيد ومقتول وطريد وبها انفصلت دار الكفر عن دار الايمان وتميزت دار النعيم
عن دار الشقا والهوان وهي العمود لحامل الفرض والسنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله
دخل الجنة وروح هذه الكلمة وسرها افراد الرب جل ثناؤه وتقدست اسماؤه و
تبارك اسمه وتعالى جده ولا اله غيره بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجا
وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة فلا يحب سواه وكل ما يحب غير
فانه يحب تبعا لمحبته وكونه وسيلة الى زيادة محبته لا يخاف سواه ويرجى سواه
ولا يتوكل الا عليه ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه ولا يحلف الا باسمه ولا
ينذر الا له ولا يتاب الا اليه ولا يطاع الا امره ولا يحتسب الا به ولا يستغاث من
الذنوب

الشدائد الا به ولا يلجأ الا اليه ولا يسجد الا له ولا يذبح الا له وباسمه ويجمع ذلك كله
في حرف واحد وهو الا تعبد وا الا اياه يجمع انواع العبادة فهو تحقيق شهادة ان
لا اله الا الله ولهذا حرم الله على النار من شهد ان لا اله الا الله بحقيقة الشهادة وما هي
ان يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى والذين هم بشهاداتهم
قائمون فيكون قائما بشهادته في ظاهره وباطنه في قلبه وقالبه فاما من الناس من يكون
شهادته ميتة ومنهم من تكون نائمة اذ نبهت انتبهت ومنهم من يكون مضطجعا
ومنهم من تكون الى القيام اقرب وهي القلب بمنزلة الروح في البدن فروح ميتة وروح
مريضة الى الموت اقرب وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن وفي الحديث الصحيح عن صلى
الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت الا وجدت روحه لها روحا وحياة
الروح بحيوة هذه الكلمة فيها كما ان حيوة البدن بوجود الروح فيه وكما ان من
مات على هذه الكلمة فهو في الحيوة ينقلب فيها فمن عاش على تحقيقها والقيام بها
فروحه ينقلب في الجنة الماوى وعيشة اطيب عيشة قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالجنة ماواه يوم اللقاء وجنة المعرفة
والمحبة والانس بالله والشوق الى لقائه والفرح به والرضا عنه ماوى روحه في
هذه الدار ثم كانت هذه الجنة ماواه ههنا كانت جنة الخلد ماواه يوم المعاد
ومن حرم هذه الجنة فهو لتلك اشد حرمانا والابرار في النعيم وان اشتد بهم العيش
وضاقت عليهم الدنيا والفجار في الجحيم وان اتسعت عليهم الدنيا قال تعالى من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة وطيب الحيوة جنة الدنيا قال تعالى
من يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا فاي نعيم اطيب من شرح الصدر واي عذاب امر من ضيق الصدر وقال تعالى
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم فالمؤمن المخلص
من اطيب الناس عيشا وانعمهم بالا واشرحهم صدرا واسرهم قلبا وهذه جنة عاجلة
قبل الجنة الاجلة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا
وما رياض الجنة قال حلق الذكر وفي هذا قوله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري

روضة من رياض الجنة ومن هذا وقد سالوه عن وصاله في الصوم فقال
اني لست كهيئتكم اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني فاخبر صلى الله عليه وسلم انما
يحصل من الغذاء عند ربه يقوم مقام الطعام والشراب وانما يحصل لمن
ذلك امر مختص به لا يشركه فيه غيره فاذا امسك عن الطعام والشراب فله عنه عوض
يقوم مقامه وينوب منابه ويغني عنه كما قيل

لها احاديث من ذكراك تشغلها ٤ عن الشراب وتلهيها عن الزاد ٤
لها بوجهك نور يستضاء به ٤ ومن حديث في اعقابها حادي ٤
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها ٤ روح اللقا فتجلى عند ميعاد ٤

فصل وكلما كان وجود الشيء انفع للعبد وهو اليه احوج كان تالمه بفقده
اشد وكلما كان عدمه انفع له كان تالمه بوجوده اشد وانبني على الاطلاق انفع
للعبد من اقباله على الله واشتغاله بذكره وتنعمه بحبه وايثاره لمرضاته بل لا
حياة له ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة الا بذلك فعدمه الم يتمنى له واشد عذابا
عليه وانما يغيب الروح عن شهود هذا الالم والعذاب اشتغالها بغيره واستغراقها
في ذلك الغير فغيب تام عن شهود ما هي فيه من الم الفوت بمزاحمة احب شيء اليها
وانفعه لها وهذا بمنزلة السكران المستغرق في سكره الذي احرقت داره
وامواله واهله واولاده وهو لاستغراقه في السكر لا يشعر بالم ذلك الفوت
وحسرته حتى اذا صحى وكشف عنه غطاء السكر وانتبه من رقدة الخمر فهناك علم
بحاله حينئذ وهكذا الحال سواء عند كشف الغطاء ومعاينة طلائع الاخرة و
الاشراف على مفارقة الدنيا والانتقال منها الى الله بل الالم والحسرة والعذاب
هناك اشد باضعاف مضاعفة فان المصاب في الدنيا بين جوهر مفيسته
بالعوض ويعلم انه قد اصيب بشيء بل لا بقاء له فكيف بمن مصيبته بما لا عوض
عنه ولا بدل منه ولا نسبة بينه وبين الدنيا جميعها فلو قضي الله سبحانه بالموت
في هذه الحسرة والالم لكان العبد جديرا به وانما الموت ليعود اعظم منه
واكثر حسرة انه هذا لو كان الالم على مجرد الفوات فكيف وهناك من العذاب
على الروح والبدن بامور اخر هي وجودية ما لا يقدر قدره فتبارك من جعل
هذا الخلق الضعيف هذين الالمين العظيمين اللذين لا تحملها الجبال الراسيات

فاعرض الان على نفسك اعظم محبوب لك في الدنيا بحيث لا تطيب لك الحياة الا
معه فاصبحت وقد اخذ منك وحيل بينك وبينه احوج ما كنت اليه فكيف يكون
حالك هذا ومنه كل عوض فكيف بمن لا عوض عنه كما قال

من كل شيء اذا ضيعته عوض ٤ وفي الله اذا ضيعته عوض ٤

وفي اثر الاسرائيلي ادم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب اياي ادم
اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء فانا احب اليك
من كل شيء

فصل ولما كانت المحبة جنسا تحتها انواع متفاوتة في القدر
والوصف كانا اغلب ما يذكر فيها من حق الله تعالى ما تختص به ويليق به من انواعها
وكما لا تصلح الالهة وحده مثل العبادة والانابة ونحوهما فان العبادة لا تصلح الا لله وحده
وكذلك الانابة وقد تذكر المحبة باسمها المطلق وبجملتها وقد ذم الله من يتخذ من
دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله واعظم انواع
المحبة المذمومة المحبة مع الله التي يسوي المحب فيها بين محبة الله ومحبة
الند الذي اتخذ من دونه واعظم انواعها المحمودة محبة الله وحده ومحبة
ما احب وهذه المحبة هي اصل السعادة وراسها التي لا ينجو احد من العذاب الا
والمحبة المذمومة الشركية هي اصل الشقاوة وراسها التي لا يسلم في العذاب الا
اهلها فاهل المحبة الذين احبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له ولا يدخلون
النار ومن دخلها منهم بذنوبه فانه لا يبقى فيها منهم احد ومدار القرآن على الامر
بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن المحبة الاخرى ولوازمها وضرب الامثال والمقاييس
للنوعين وذكر قصص النوعين وتفصيل اعمال النوعين واوليائهم ومعبود
كليهما واخباره عن فعله بالنوعين وعن حال النوعين في الدار الثانية دار
الدنيا ودار البرزخ ودار القرار فالقرآن في شان النوعين واصل دعوة جميع الرسل
من اولهم الى آخرهم انما هو عبادة الله وحده لا شريك له المتضمنة لكمال محبته
وكمال الخضوع والذل له والاجلال والتعظيم ولوازم ذلك من الطاعة والتقوى
وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي
نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده والناس اجمعين وفي صحيح

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

البخاري ان عمر بن الخطاب قال لرسول الله والله لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي
فقال لا يا عمر حتى اكون احب اليك من نفسك فقال والذي بعثك بالحق لانت احب
الي من نفسي قال الان يا عمر فان كان هذا شان محبة عبده ورسوله ووجوب تقديمها
على محبة النفس الانسان وولده ووالده والناس اجمعين فما الظن بمحبة مرسله
سبحانه وتعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الرب التي تختص عن محبة
غيره في قدرها وصفتها وافراده سبحانه بها فان الواجب له من ذلك ان يكون
احب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه
فيكون الله الحق ومعبوده احب اليه من ذلك كله وشيء قد يحب من وجه
دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه الا الله وحده
ولا يصلح الالوهية الا له ولو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا والاله هو المحبة
والطاعة والخضوع **فصل** وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فاصلها
المحبة هي علتها الغائية الغايية وذلك لان الحركات ثلاثة انواع حركة اختيارية
وحركة طبيعية وحركة قسرية فالحركة الطبيعية اصلها السكون وانما تتحرك
الجسم اذا خرج عن مستقره الطبيعي فهي تتحرك للعود اليه وهربه عن
مستقره وحركة انما هو يتحرك القاسر المحرك له فتلك حركة قسرية محركه وقاسره
وحركة طبيعية بذاته يطلب بها العود الى موكزه وكلا حركتيه تابعة للقاسر
المحرك وهو اصل الحركتين والحركة الاختيارية الارادية هي اصل الحركتين
الاخرتين وهي تابعة للارادة والمحبة فصارت الحركات الثلاث تابعة
للمحبة والارادة والدليل على انحصار الحركات في هذه الثلاث ان المتحرك
له اما ان كان شعور بالحركة وفي الارادية واما ان لم يكن له شعور بها فاما ان
يكون على وفق طبعه والاول الطبيعية والثاني القسرية اذا ثبت هذا
فما في السموات والارض وما بينهما مما يحركات الافلاك والشمس والقمر والنجوم
والرياح والسحاب والمطر والنبات وحركات الاجنة في بطون امهاتها
فانما هي بواسطة الملئكة المدبرات امرا فالمقسمات امرا كما دل على ذلك
نصوص القرآن والسنة في غير موضع والايمان بذلك من تمام الايمان بالملئكة

لعله الايمان

فان الم

فان الله وكل بالرحم ملئكة وبالقطر ملئكة وبالنبات ملئكة وبالرياح ملئكة
وبالافلاك وبالشمس وبالقمر وبالنجوم وكل بكل عبد اربعة من الملئكة كما بين على
يمينه وشماله وحافظين له من بين يديه ومن خلفه وكل ملئكة بقبض روحه
وتجهيزها الى مستقرها من الجنة والنار وملئكة بمسالته وامتحانه في قبره و
عذابه هنالك ونعيمه وملئكة تسوقه الى المحشر اذا قام من قبره وملئكة
لتعذيبه في النار وملائكة تنعمه في الجنة وكل بالجبال ملئكة وبالسحاب
ملئكة تسوقه حيث امرت به وبالقطر ملئكة تنزل بامر الله بقدر معلوم كما يشاء
الله وكل ملئكة بغرس الجنة وعمل انهارها وفرشها وبنائها والقيام عليها وملئكة
بالنار كذلك فاعظم جند الله الملئكة ولفظ الملك يشعر بانه رسول منفذ لامر
غيره فليس لهم من الامر شيء بل الامر كله لله وهم يد بر ون الامر ويقسمونه بامر الله
واذنه قال الله تعالى اختيارا عنهم وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك وما كان ربك نسيا وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني
عني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى واقسم سبحانه بطوائف
الملئكة المنفذين لامره في الخليقة كما قال تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا
فالتاليات ذكرا فالمقسمات امرا وقال تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا وقال تعالى والنازعات غرقا
والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا وقد
ذكرنا معنى ذلك وسر الاقسام به في كتاب ايمان القرآن وانما عرف ذلك بجميع
تلك المخلوقات والحركات والارادات والافعال هي عبادة منهم لرب الارض
والسموات وجميع الحركات الطبيعية والقسرية تابعة لها فلولا الحب ما
دارت الافلاك ولا تحركت الكواكب المنيرات ولا هبت الرياح المسخرات
ولا مرت السحاب الحاملات ولا تحركت الاجنة في بطون الامهات ولا بصدع
عن الحب انواع النبات ولا اضطربت امواج البحار الزاخرات ولا تحركت
المدبرات ولا المقسمات وانسبحت بحمد فاطرها الارضين والسموات وما
بينهما من انواع المخلوقات فسبحان من تسبح السموات السبع والارض ومن

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

ينهى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا

فصل اذا عرف ذلك فكل حي له ارادة ومحب وعمل بحسبه وكل متحرك فاصل حركته المحبة والارادة والاصلاح للموجودات الاباين تكون حركاتها ومحبتها لفاطرها وباريها وحده وكما لا وجود لها الا بابداعه وحده وهذا قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فلم يقل سبحانه لما وجدتا او كانا معدومين ولا قال لعدمتا اذ هو سبحانه قادر على ان يبقيهما على وجه الفساد لكن لا يمكن ان يكونا على وجه الصلاح والاستقامة الا ان يكون الله وحده هو معبودهما ومعبود ما حوتاه وسكن فيهما فلو كان للعالم الهان لفسد نظامه غاية الفساد فان كل اله يطلب مغالبة الاخر والعلو عليه وتفرده دونه بالالهية اذ الشركة تنقص بنافي كمال الهيئة والاله لا يرضى لنفسه ان يكون الها ناقصا فان فرض احدهما الاخر كان هو الاله وحده والمقهور ليس بالاله وان لم يقهر احدهما الاخر لزم عجز كل منهما ونقصه ولم يكن نام الالهية فيجب ان يكون فوقهما الله قاهرا لهما حاكما عليهما والا ذهب كل منهما بما خلق وطلب كل منهما العلو على الاخر وفي ذلك فساد امر السموات والارض ومن فيهن كما هو المعهود من فساد البلد اذا كان فيه ملكان متكافيان وفساد الزوجة اذا كان لها زوجان والشول اذا كان فيه فحلان واصل فساد العالم انما هو من اختلاف الملوك والخلفاء ولهذا لم يطمع اعداء المسلمين فيهم في زمن من الازمنة الا في زمن تعدد فيه ملوك المسلمين واختلافهم وانفراد كل منهم ببلاد وطلب بعضهم العلو على بعض وصلاح السموات والارض واستقامتها وانتظام امر المخلوقات على اتم نظام من اظهر الادلة على ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير وان كل معبود من لدن عرشه الى قرار ارضه باطل الا وجهه الاعلى قال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون وقال ام اتخذوا الهة من الارض

هم ينشرون

هم ينشرون لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال الله تعالى قل لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ففيه المعنى لابتغوا السبيل اليه بالمغالبة والقهر كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض ويدل عليه قوله في الاية الاخرى ولعلى بعضهم على بعض قال شيخنا والصحيح ان المعنى لابتغوا اليه سبيلا بالتقرب اليه وطاعته فكيف بعبد ونهم من دونه وهم لو كانوا الهة كما تقولون لكانوا عبيدا له قالوا ويدل على هذا وجوه منها قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه اي هؤلاء الذين يعبدونهم من دوني هم عبادي كما انتم عبادي ترحمني وتخافون عذابي فاذا تعبدونهم الثاني سبحانه لم يقل لابتغوا عليه سبيلا وقل لابتغوا اليه سبيلا وهذا اللفظ انما يستعمل في التقرب كقوله تعالى اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وانما في المغالبة فانما يستعمل كقوله فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا الثالث انهم لم يقولوا ان الهتهم تطلب العلو عليه وهو سبحانه قد قال قل لو كان معه الهة كما تقولون وهم انما كانوا يقولون ان تبتغي التقرب اليه وتقربهم زلفا اليه فقال لو كان الامر كما تقولون لكانت تلك الالهة عبيدا له فماذا تعبدون عبدي من دونه فصل والمحبة لها اثار وتوابع ولوازم واحكام سواء كانت محمودة او مذمومة نافعة او ضارة من الوجد والذوق والحلاوة والشوق والانس والايصال بالمحبوب والقرب والانفصال عنه والبعد منه والهجران والفرح والسرور والبكاء والحزن وغير ذلك من احكامها ولوازمها والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه واخرته وهي عنوان سعادته والمحبة المذمومة التي تجلب لصاحبها ما يضره في دنياه واخرته وهي عنوان شقاوته ومعلوم ان الحي العاقل لا يختار محبة ما يضره وشقيه وانما يصدر ذلك عن جهل وظلم فان النفس قد تهوى ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم من الانسان لنفسه اما بان يكون جاهلا بحال محبوبها بان تهوى الشئ وتحبه غير عالم بما في محبته من المضرة وهذا حال من يتبع

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

هواه بغير علم واما عالمه بما في محبة من المضرة لكن تؤثرها على علمها وقد
تتركب محبتها من امور من اعتقاد فاسد وهوى مذموم وهذا حال من اتبع
الظن وما تهوى الانفس فلا تنفع المحبة الفاسدة الامن جهل او اعتقاد فاسد
وهوى غالب او ما تركب من ذلك فاعان بعضه بعضا فشق شبهة يشبه بها
الحق والباطل يزين له امر المحبوب و شهوة تدعوه الى حصوله فيساعد
جيش الشهوة والشبه على جيش العقل والايمان والغلبة للاقوى هما واذا
عرف هذا فتوابع كل نوع من انواع المحبة له حكم متبوعه فالمحبة النافعة
المحمودة التي هي عنوان سعادة العبد توابعها كلها نافعة له حكمها حكم
متبوعها فان بكا نفعه وان ضرب نفعه وان فرح نفعه وان تقبض نفعه
وان انبسط نفعه فهو يتقلب في منازل المحبة واحكامها في مزيد وترج وربه
والمحبة الصادقة المذمومة توابعها واثارها كلها ضاره لصاحبها متعبة له
من ربه كيف ما تقلب في اثارها في منازلها فهو في خسران وبعد وهذا
شان كل فعل تولد عن طاعة ومعصية وكل ما تولد عن الطاعة فهو زيادة
لصاحبه وقربه وقوته وكلما تولد عن المعصية فهو خسران لصاحبه وبعد
قال تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون
موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا
يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا
الا كتب لهم به عمل صالح ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فاخبر سبحانه
في الاية الاولى ان المتولد عن طاعتهم وافعالهم كتب لهم عمل صالح واخبر
في الثانية ان اعمالهم الصالحة التي باشروها كتبت لهم انفسها والفرق
بينهما ان الاول ليس من فعلهم وانما تولد عنه فكتب لهم به عمل صالح والثاني
نفس اعمالهم فكتبت لهم فليتامل قتيل المحبة هذا الفصل حق التامل ليعلم
ماله وعليه بيت شعر سيعلم يوم العرض اي بضاعة اضاع وعند الوزن ما كان حصلا

فصل وكما ان المحبة والارادة اصل كل فعل كما تقدم فهي اصل كل دين
سواء كان حقا او باطلا فان الدين هو من الاعمال الباطنة والظاهرة

والمحبة

والمحبة والارادة اصل ذلك كله والدين هو الطاعة والعبادة والخلق فهو الطاعة اللازمة
الدائمة التي صارت خلقا وعادة فلهذا فسر الخلق بالدين في قوله تعالى وانك لعلى
خلق عظيم قال الامام احمد عن ابن عيينة قال ابن عباس لعلى دين عظيم وسئلت عائشة
رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن والدين فيه معنى
الاذلال والقهر وفيه معنى الذل والخضوع والطاعة فكذلك يكون من الاعلى الى الاسفل كما يقال
دنسته فدان اي قهرته فذل قال الشاعر هو دان الرباب اذ هو الدين فاصبحوا بعزة وصياصه
ويكون من الادنى للاعلى كما يقال دنت الله ودنت لله وفلان لا يدين لله دينا ولا يدين لله
دين فلان الله اي اطاع الله واحبه واخافه واداله اي خشع له وخضع وذل و
انقاد والدين الباطن لا بد فيه من الحب والخضوع كالعبادة سوا بخلاف الدين الظاهر
فانه لا يستلزم لك وان كان فيه انقياد وذل في الظاهر وسمي الله سبحانه يوم القيمة يوم
الدين فانه اليوم الذي يدين الناس فيه باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وذلك
يتضمن حسابهم وجزاهم فلذلك فسر يوم الجزا ويوم الحساب قال تعالى فلولا ان
كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين اي هلا ترد ون الروح الى مكانها
ان كنتم غير مربوبين ومملوكين ولا مجزيين وهذه الاية تحتاج الى تفسير فنها
سبقت بالاحتجاج عليهم في انكارهم البعث والحساب ولا بد ان يكون الدليل
مستلزما لمدلوله بحيث ينتقل الذهن منه الى المدلول لما بينهما من التلازم فكل ملزوم
دليل على لازمه والعكس بالعكس ووجه الاستدلال انهم اذا انكروا البعث والجزا
فقد كفروا بربهم وانكروا قدرته وربوبيته وحكمته فاما ان يقروا بان لهم ربا قاهرا
لهم متصرفا فيهم كما يشا بمشيتهم اذا شا ويجيبهم اذا شا ويامرهم وينهاهم ويثيب
بحسنهم ويعاقب مسيئهم واما ان لا يقروا برب هذا شانه فان اقروا به امنوا بالبعث
والنشور والدين الامري والجزا ان وان انكروا به فقد زعموا انهم غير مربوبين
ولا محكوم عليهم ولا لهم رب يتصرف فيهم كما اراد فهنا لا يقدرون على دفع الموت عنهم
اذا جاهم وعلى رد الروح الى مستقرها اذا بلغت الحلقوم وهذا خطاب للحاضرين
عند المحتضر وبا ينون موته فهنا لا ترد ون روحه الى مكانها ان كان لكم قدرة ويصرف
فلستم مربوبين ولا مقهورين لقاهر قادر يمضي عليكم احكامه وينفذ فيكم اوامره
وهذا غاية التقبيح لهم اذا بين عجزهم عن رد نفس واحدة من مكان الى مكان ولو

اجتمع عليه الثقلان فيالها من اية دالة على ربوبيته سبحانه ووحدانيته و
تصرفه في عباده ونفوذ احكامه فيهم وجريانها عليهم والدين دينان دين شرعي
امري ودين احساني جزائي وكلاهما لله وحده فالدين كله لله سبحانه امره وجزاء
والمحبة اصل كل واحد من الدينين فان من شرعه الله سبحانه وتعالى وامره فانه
يحبه ويرضاه ومانهى عنه فانه يكرهه ويبغضه لمنافاته لما يحبه ويرضاه فهو يحب
ضده فعاد دينه الامري كله الى محبته ورضاه ودين العبد انما يقبل اذا كان
عن محبة ورضى قال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد رسولا فهذا الدين قايم بالمحبة وسببها شرع وعليها اسس وكذلك
دينه الجزائي فانه يتضمن مجازاة المحسن باحسانه والمسيئ باساءته فكل من الامرين
محبوب للرب فانها عدله وفضله وكلاهما من صفات كماله وهو سبحانه محبة
اسمائه وصفاته ويحب من يحبها وكل واحد من الدينين فهو صراط المستقيم
الذي هو عليه سبحانه فهو على صراط مستقيم في امره ونهيه وثوابه وعقابه كما
قال تعالى اخبارا عن نبيه هود انه قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء
مما تشركون به من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي
وربكم ثم اخبر عن قدرته وقهره لكل ما سواه وذل كل شيء لعظمته فقال ما من دابة
الا هو اخذ بناصيتها فكيف خلق ما ناصيته بيد غيره وهو في قبضته وتحت
قهره وسلطانه دونه وهذا الامر اجهل الجهل واقبح الظلم ثم اخبر سبحانه
انه على صراط مستقيم في كل ما يقضيه ويقدره فلا يخاف العبد ظلمه ولا الجور و
انما يخاف ما دونه فان ناصيته بيده ولا اخاف جوره ولا ظلمه فانه على صراط مستقيم
فهو سبحانه ماض في عبده حكمه عدل فيه قضاؤه له الملك وله الحمد لا يسئل عما يفعل
في عباده حكمه عدل والفضل ان اعطى واكرم وهدى ووفق وتفضل
ورحمته وان منع واهان واضل وخذل واشقى فبعدله وحكمته وهو على
صراط مستقيم في هذا وهذا وفي الحديث الصحيح ما اصاب عبدا قط هم ولا حزن
فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكم عدل
في قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته

احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران ربيع قلبي
ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا اذهب الله همه وغمه وابدله
مكانه فرجا هذا يتناول حكم الرب الكوني والامري وقضاؤه الذي يكون باختيار
العبد وبغير اختياره وكلا الحكمين ماض في عبده وكلا القضائين عدل فيه
فهذا الحديث مشتمل على هذه الاية بينهما اقرب نسب فصل ويتم الحال
بفصل يتعلق بعشق الصور وما فيه من المفاسد العاجلة والاجلة والاجلة
وان كانت اضعاف ما يذكره ذاكر فانه يفسد القلب بالذات واذا فسد فسدت
الارادات والاقوال والاعمال وفسد تحقيق التوحيد كما تقدم وكما سقرره ايضا
ان شاء الله تعالى والله سبحانه انما حمى هذا المرض عن طائفتين من الناس وهما
اللوطية والنساقا جزع عن عشق امراة العزيز ليوسف وعاراودته وكادته
به واجزع عن الحال التي صار اليها يوسف بصبره وعفته وتقواه مع ان الذي
ابتلي به امر لا يصبر عليه الا من صبره الله فان موافقة الفعل حسب قوة الداعي
وزوال المانع وكان الداعي ها هنا في غاية القوة وذلك لوجوه احدها ما ركبه
الله سبحانه وتعالى في طبع الرجل من ميله الى المراة كما يميل العطشان الى الماء والجايع
الى الطعام حتى ان كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء
وهذا لا يذم اذا صادف حلالا بل يحمد كما في كتاب الزهد للامام احمد من
حديث يوسف بن عطية الصفار عن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حبب
الي من دنياكم النساء والطيب واصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن الثاني
ان يوسف عليه السلام كان شابا وشهوة الشباب وحدته اقوى الثالث
انه كان عزبا ليس له زوجة ولا سرية تكسر سورة الشهوة الرابع انه كان في بلاد
غربة يائسا فيها الغريب من قضى الوطر مما لا يتاتى له مع وطنه بين اهله و
معارفه الخامس ان المراة كانت ذات منصب وجمال بحيث ان كل واحد من هذين
الامرين يدعو الى موافقتها السادس انها غير ممتنعة ولا ابية فان كثيرا من
الناس يزيله رغبة المراة اياها وامتناعها لما يجد في نفسه للخضوع والذل
لها وكثير من الناس يزيده الاباء والامتناع ارادة وحبا كما قال الشاعر

عن انسى وهم

الثالث
الرابع

وزادني كلفا في الكلب ان منعت ﴿﴿ احب شيئ الى الانسان ما منعتا ﴿﴿

فطباع الناس تختلف في ذلك فمنهم من يتضاعف حبه عند بذل المراة وبرغبتها ويضمحل عند اباحتها واعتناعها و اخبرني بعض القضاة ان ارادته وشهوته تضمحل عند امتناع امراته او سريته وابائها بحيث لا يعاودها ومنهم من يضاعف حبه وارادته بالمنع فيشتد شوقه كلما منع ويحصل له من اللذة بالظفر بالضد بعد امتناعه وفقده فاللذة بادراك المستلذ بعد استصعابها وشدة الحرص على ادراكها السابع انها طلبت وارادت وبذلت الجهد فكفته مونة الطلب وذل الرغبة اليها بل كانت هي الراغبة وهو العزيز المرغوب اليه الثامن انه في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث يخشى ان لم يطاوعها من اذاها له فاجتمع داعي الرغبة والرهبة التاسع انه لا يخشى ان تنم عليه والا احد من جهتها فانها هي الطالبة الراغبة وقد غلقت الابواب وغيبت الرقباء العاشر انه كان في الظاهر مملوكا في الدار بحيث يدخل ويخرج فيحضر معها ولا ينكر عليه فكان الامن سابقا على الطلب وهو من اقوى الدواعي كما قيل لامراة شريفة من اشراف العرب ما حملك على الزنى قالت قرب الوساد ولين السوادين سنا الحادي عشر انها استعانت عليه بلمة المكر والاحتيال فاراها اياه وشكت حالها اليها لتستعين بها عليه واستعانة هو بالله عليها فقال والا انصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين الثاني عشر انها تواعدته بالسجن والصغار وهذا نوع اكراه اذ هو يهدى مما يغلب على النفوس وقوع ما هدد به فيجتمع داعي الشهوة وداعي السلامة مما ضيق السجن والصغار الثالث عشر ان الزوج لم تظهر منه الغيرة والنخوة ما يغيظ ويشق ويبعد كلا منهما عن صاحبه بل كان غاية ما قابلها به ان قال ليوسف اعرض عن هذا والمراة استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وشتان والغيرة في الرجل من اقوى الموانع وبهذا لم تفلس منه غيرة ومع هذا الدواعي كلها فاش من رضات الله وخوفه وحمله حبه لله على ان اختار السجن على الزنى فقال رب السجن احب الي مما تدعونني اليه واعلم ان لا يطيق

صرف ذلك عن نفسه وان ربه تعالى ان لم يعصمه ويصرفه عنه صبا اليهن بطبعه فكان من الجاهلين وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم على ما يزيد على الف فائدة لعلنا ان وفق الله ان نفردها في مصنف مستقل فصل والطائفة الثانية الذين ذكرهم الله عشق هم اللوطية كما قال تعالى وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فهذه عشقت فحماه الله سبحانه عنها عن طائفتين عشق كل منهما ما حرم الله عليه من الصور ولم يبال بما في عشقه من الضرر وهذا داء اعيا الاطباء دواؤه وعز عليهم شفاؤه وهو لعمر الله الداء العضال والسهم القتال الذي ما علق بقلب الا وعز على الورى استنقاذه من اسار ولما اشتعلت نار في مهجة الا وضعت على الخلق حلعها من نار وهو اقسام تارة يكون كفرا كمن اتخذ معشوقة مع الله يحبه كما يحب الله فكيف اذا كانت محبته اعظم من محبة الله في قلبه فهذا عشق لا يغفر لصاحبه فانه من اعظم الشرك والله لا يغفر ان يشرك به وانما يغفر بالتوبة الماحية وعلامة هذا العشق الشركي الكفري ان يقدم العاشق رضا معشوقه على رضا ربه واذا تعارض عنده حق معشوقه وحظه وحق ربه وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه وآثر رضاه على رضاه وبذل لمعشوقه انفس ما يقدر عليه وبذل لربه ان بذل ادنى ما عنده واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب اليه وجعل لربه ان اطاعه الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعاته فتامل حال اكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك ثم ضع حالهم في كفة وتوحيدهم في ايمانهم في كفة وزن وزنا يرضى الله ورسوله ويطابق العدل وربما صرح العاشق منهم بان وصل معشوقه احب اليه من توحيد ربه كما قال العاشق الخبيث

Copyright © King Saud University

بين سقف سمائي رشفات ٤ هن احلى فيه من توحيدي ٤ وكما صرح
الخبيث الاخر بان وصل معشوقه اشهى اليه من رحمة ربه فعياذا بك اللهم من
هذا الخذلان تقال ٤ وصلك اشهى المفوادي ٤ من رحمة الخالق الجليل ٤
ولاريب ان هذا العشق من اعظم الشرك وكبيره يصرح بانه لم
يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة بل قد ملك معشوقه عليه قلبه
كله فصار عبدا محضا من كل وجه لمعشوقه فقد رضي هذا من عبودية
الخالق جل جلاله بعبودية مخلوق مثله فان العبودية هي كمال الحب
والخضوع وهذا قد استفرغ قوى حبه وخضوعه وذله لمعشوقه
فقد اعطاه حقيقة العبودية ولا نسبة بين مفسدة هذا الامر العظيم
وبين مفسدة الفاحشة فان تلك ذنب كبير لفاعله حكم امثاله من مفسدة
الفاحشة هذا العشق مفسدة الشرك وكان بعض الشيوخ من العارفين
يقول مفسدة الفاحشة لئن ابتلى بالفاحشة مع تلك الصورة احب
الي ان ابتلى بعشق يتعبد لها قلبي وتشغله عن الله فصل
ودواء هذا الداء القتال ان يعرف ما ابتلي به من الداء المضاد للتوحيد
اولا ثم ياتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة
فيه وكثرة الالتجاء والتضرع الى الله سبحانه وتعالى في صرف ذلك عنه وان يرفع
بقلبه اليه وليس له دواء انفع من الاخلاص لله وهو الدواء الذي ذكره
في كتابه حيث قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا
المخلصين فاخبر سبحانه انه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل
باخلاصه فاه القلب اذا اخلص واخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور
فانه انما يتمكن من قلب فارغ كما قيل ٤ فصادف قلبا خاليا فتمكنا
وليعلم العاقل ان العقل والشرع يوجبان تحصيل المصالح وتكميلها
واعدام المفاسد وتقليلها فاذا عرض للعاقل امر تردد فيه مصلحة
ومفسدة وجب عليه امران امر علمي وامر عملي فالعلمي معرفة طلب
الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة فاذا تبين له الرجحان وجب عليه

اتيان الاصلح له وان المعلوم انه ليس في عشق الصور مصلحة دينية ولا
دنيوية بل مفسدة الدينية والدنيوية اضعاف اضعاف ما يقدر فيه
من المصلحة وذلك من وجوه احدها الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب
رب العالمين تخلو ذكره لا يجتمع في القلب فهذا وهذا الا ويقهر احدهما
صاحبه ويكون السلطان والغلبة له الثاني عذاب قلبه بمعشوقه
فان من احب شيئا غير الله عذب به ولا بد ٤

٤ فما في الارض اشقى من محب ٤ وان وجد الهوى حلو المذاق ٤
٤ تراه باكيا في كل حين ٤ مخافة فرقة او لاشتياق ٤
٤ فيبكي ان نأوا شوقا اليهم ٤ ويبكي ان دنوا حذر الفراق ٤
٤ فيبكي عينه عند التلاقي ٤ ويبكي عينه عند التلاقي ٤

الثالث ان العاشق قلبه اسير في قبضة معشوقه يسومه ان الهوان الكين
لكرم العشق لا يشعر بصابة فقلبه كعصفور في كف طفل يسومها حياض
الردى والطفل يلهو ويلعب فعيش العاشق عيش الاسير الموثق وعيش الخلي
عيش المسيب المطلق ٤ طليق تراه العين وهو اسير ٤ عليل على قرب الهلال يدور ٤
٤ وبيت يرى في صورة الحي غاديا ٤ وليس له حتى النشور نشور ٤
٤ اخو عبرات ضاع فيهن قلبه ٤ فليس له حتى الممات حضور ٤

الرابع ان يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه فليس شيء اضيع لمصالح الدين
والدنيا من عشق الصور اما مصالح الدين فانها منوطة بلم شعث القلب
واتباله على الله وعشق الصور اعظم شيء وتشتيتا له واما مصالح
الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين فمن افرطت عليه مصالح دينه
وضاعت عليه لمصالح دنياه اضيع واضيع الخامس ان افات الدنيا والآخرة
اسرع الى عشاق الصور من النار في يابس الحطب وسبب ذلك ان القلب
كلما قرب من العشق وقوي ايصاله به بعد من الله فابعد القلوب من الله
قلوب عشاق الصور واذا بعد القلب من الله طرقته الافات من كل ناحية
فان الشيطان يتولاه ومن يتولاه عدوه ليسرع اذا امكنه ايصاله اليه

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

الا وأصله فما الظن بقلب تمكن منه عدوه واحرص الخلق على غيه وفساده و
بعد منه وليه ومن لاسعاده له والافلاح والسرور الابقربه وولايته السادس
انه اذا تمكن من القلب واستحكم وقوى سلطانه افسد الذهن واحدث
الوسواس وربما انتهى صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا
ينتفعوا بها واجناس العشاق في ذلك موجودة في معاضعها بل بعضها
مشاهد بالعيان واشرف ما في الانسان عقله وبه تميز على سائر الحيوانات
فاذا عدم عقله التحق بالحيوان البهيم بل ربما كان حال الحيوان اصلح
من حاله وهل اذهب عقل مجنون ليلى واضرابه الا العشق وربما ازداد
جنونه على حزنه بمجنون غيره كما قيل

قالوا جننت لمن تهوا فقلت لهم ٤ العشق اعظم مما بالمجانين ٤
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ٤ وانما يصرع المجنون في الحين ٤

السابع انه ربما افسد الحواس او بعضها اما فسادا معنويا او صوريا
اما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب فان القلب اذا فسدت
العين والاذن واللسان فيرى القبيح حسنا منه ومن معشوقه كما في المسند
مرفوعا حبك الشيء يعمي ويصم فهو يعمي عين القلب عن رؤية مساوي المحبوب
وعيوبه فلا ترى العين ذلك ويصم اذنه عن الاصغاء الى العذل فيه فلا تسمع
الاذن ذلك والرغبات تستر العيوب فالراغب في الشيء لا يرى عيوبه حتى
اذا زالت رغبته فيه ابصر عيوبه فشدة الرغبة غشاوة على العين تمنع
من رؤية الشيء على ما هو به كما قيل

هويتك اذ عيني عليها غشاوة ٤ فلما انجلت قطعت نفسي لومها ٤

والدخل في الشيء لا يرى عيوبه والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه
والذي عيوبه الامن دخل فيه ثم خرج منه ولهذا كان الصحابة الذين
في الاسلام بعد الكفر خيرا من الذين ولدوا في الاسلام قال عمر رضي الله عنه انما ينقض الاسلام عروة عروة من اذا ولدوا في الاسلام من
لم يعرف الجاهلية واما فساده الحاصل من ظاهر فانه يرض البدن ويهلكه وربما

ادى الى تلفه كما هو معروف في اخبار من قبلهم العشق وهوان رجلا
رفع الى ابن عباس وقد كان يعرفه شابا قد اخذ حتى صار كالحمل على عظم فقال
ما شان هذا قالوا به العشق فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامة
يومه الثامن ان العشق كما تقدم هو الافراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق
على قلب العاشق حتى لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه بحيث لا يغيب
عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوى النفسانية
والحيوانية فتتعطل بتعطيلها مما الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه
ويتعذر تستغير افعاله وصفاته وعقاصله وهو يحتمل جميع ذلك بحر البشرة
صلاحه كما قيل ٤ الحب اول ما يكون لجاجة ٤ ما تي به وتسوقه الاقدار ٤
حتى اذا خاض الفتى بحر الهوى ٤ جاءت امور لا تطاق كباد ٤

والعشق مبادية سهلة حلوة واوسطهم وشغل قلب وسقم واخره عطب
وقيل ان لم تداركه عناية من الله كما قيل

وعشق خاليا فالحب اوله عنا ٤ واوسطه سقم واخره قتل ٤ وقال الآخر
تولع بالعشق حتى عشق ٤ فلما استقل به لم يطق ٤
راى لجة ظنها موجه ٤ فلما تمكن منها غرق ٤

والذنب له فهو الجاني وقد قعد تحت المثل السائر بذك وفوك نح

فصل والعاشق له ثلاث مقامات مقام ابتداء ومقام توسط
ومقام انتهاء فاما مقام ابتداء فالواجب عليه فيه مدافعته بكل ما يقدر عليه
اذا كان الوصول الى معشوقه متعذرا قدرا او شرعا فان عجز عن
ذلك راى قلبه لا يستقر الا الى محبوبه وهذا مقام التوسط والانتهاء فعليه
بكتمان ذلك وان لا يفشيه الى الخلق ولا يشيب بمحبوبه فيهتك بين الناس
فيجمع بين الشرك والظلم فان الظلم في هذا الباب من اعظم انواع الظلم
وربما كان اعظم ضررا على المعشوق واهله من ظلمه في ماله فانه يعرض المعشوق
بهتكه في عشقه الى وقوع الناس فيه وانفسامهم الى مصدق ومكذب واكثر
الناس يصدق في هذا الباب بادنى شبهة واذا قيل فلان نعل بفلان او بفلانة

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

كذبه واحد وصدقه تسع مائة وتسعون وخبر العاشق المنهمك
عند الناس في هذا الباب يفيد القطع اليقيني بل اذا اخبرهم المفعول به
عن نفسه كذبا وافتراء على غيره جزموا بصدقه جزما لا يحتمل النقيض
بل لو جمعهما مكان واحد اتفاقا لجزموا ان ذلك عن وعد واتفاق بينهما
وجزمهم في هذا الباب على الظنون والتخييل والشبه والاوهام والاخبار
الكاذبة كجزمهم بالحسيات المشاهدة وبذلك وقع الافك في
الطيبة المطيبة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها المبراة
من فوق سبع سموات بشبهة بحي صفوان المعطل بها وحده خلف
العسكر حتى هلك من هلك ولولا ان تولى الله سبحانه وتعالى براءتها
عنها وتكذيب قاذفها والا كان امرا اخر والمقصود انه في اظهار المتسلي
عشقه من لا يحل له الاتصال به من ظلمه واذاه عدوان عليه وعلى اهله وتعريضه
التصديق كثير من الناس ظنونهم فيه فان استعان عليه بمن يستميله
اليه اما برغبة او رهبة تعدى الظلم فانتشر وصار ذلك الواسطة ديوثا
ظالما واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد لعن الراشي وهو الواسطة بين الراشي
والمرتشي في اتصال الرشوة فما الظن بالديوث الواسط بين العاشق
والمعشوق في الوصلة المحرمة فيساعد العاشق والديوث على ظلم المعشوق
وظلم غيره ممن يتوقف حصول غرضها على ظلمه في نفس ومال او عرض فانه كثيرا
ما يتوقف المطلوب فيه على قتل نفس تكون حياتها مانعة ممن عرضه تكم من
قتيل ظلم دمه بهذا السبب من زوج وسيد وقريب وكم خبثت امرأة على
بعلها وجارية وعبد على سيدهما وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ذلك وتبرأ منه وهو مما اكبر الكبائر واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد نهى ان يخطب الرجل على خطبة اخيه او يستام على سوم اخيه لكف
بمن سعى في التفريق بينه وبين امرأته حتى يصل بها وعشاق الصور
ومساعدوهم ممن الديثة لا يرون ذلك ذنبا فان ظلب العاشق وصل
معشوقه ومشاركة الزوج والسيد ففي ذلك من اثم ظلم الغير ما لعله

يقصر

يقصر عن اثم الفاحشة ان لم يربو عليها ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة
فان التوبة وان اسقطت حق الله تعالى حق العبد باق له المطالبة يوم القيمة فان
ظلم الوالد بافساد ولده كبده ومن هو اعز عليه من نفسه وظلم الزوج بافساد
حبيبه وخيانته على فراشه اعظم من ظلم باخذ ماله كله ولهذا يوذيه ذلك اعظم
مما يوذيه باخذ ماله ولا يعدل ذلك عنده الا سفك دمه فيناله من ظلم اعظم اثما
من فعل الفاحشة فان كان ذلك حقا لغاز في سبيل الله وقف له المجاني الفاعل
يوم القيمة وقيل له خذ من حسناته ماشئت كما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي فما تظنون يبقى له من حسناته فان انصاف
الى ذلك ان يكون المظلوم جارا او ذا رحم تعدد الظلم وصار ظلما موكدا بقطيعة
الرحم واذى الجار ولا يدخل الجنة قاطع رحم ولا من لا يامن جاره بوائقه فان استعان
العاشق على وصال معشوقه بشياطين الانس اما بسحر او استخدام ونحو ذلك ضم
الى الشرك والظلم كفر السحر فان لم يفعله هو ورضي كان راضيا بالكفر غير كاره لحصول
مقصده وهذا ليس ببعيد من الكفر والمقصود ان التعاون في هذا الباب تعاون
على الاثم والعدوان واما يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المنتشر المتعدي
ضرره فامر لا يخفى فانه اذا حصل له مقصوده من المعشوق فان للمعشوق اغراضا
اخر يريد من العاشق اعانته عليها فلا يجد من اعانته بدا فيبقى كل منهما يعين الاخر
على ظلم من يتصل به من اهله واقاربه وسيده وزوجه والعاشق يعين المعشوق
على ظلم من يكون فيه ظلم الناس فيحصل العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما
في الفتح لتعاونهما على الظلم كما جرت العادة بين العشاق والمعشوقين من
اعانة العشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وبغي وعدوان حتى ربما يسعى له في
منصب لا يليق به ولا يصلح لمثله وفي تحصيل مال من غير حله وفي استطالته
على غيره فاذا اختصم معشوقه وغيره او تشاكيا لم يكن الا في جانب المعشوق ظالما
كان او مظلوما هذا الى ما ينضم الى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على اخذ
اموالهم والتوصل الى المعشوق بسرقة او غصب او خيانة او يمين كاذبة او
قطع طريق ونحو ذلك وربما ادى ذلك الى قتل النفس التي حرم الله ليا خذ ماله

Copyright © King Saud University
الشبكة الألوكة
www.alukah.net

يتوصل به الى معشوقه وكل هذه الافات واضعافها واضعاف اضعافها تنشا
من عشق الصور ويحمل على الكفر الصريح وقد يفضي جماعة ممن نشا في الاسلام بسبب
العشق كما جرا البعض الموذنين حين ابصر امراة جميلة على سطح فعلق بها فنزل
ودخل عليها وسالها نفسها فقالت هي نصرانية فانه دخلت في ديني تزوجتها
ففعل وقرئ ذلك اليوم على درجة عندهم فسقط منها فمات ذكر ذلك عبد
الحق في كتاب العاقبة واذا اراد النصارى ان ينصروا الاسير ارو امراة جميلة
والمرء وهان تطمعه في نفسها حتى اذا تمكن جهما مما قلب بل لبث له نفسها اذ دخل
في دينها فهنالك يبتئس الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وفي العشق من ظلم كل
واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه بما ونته له على الفاحشة وظلمه
لنفسه وصاحبه وظلمها متعد الى الغير كما تقدم واعظم من ذلك ظلمها بالشرك
فقد تضمن العشق انواع الظلم كلها والمعشوق اذا لم يتق الله فانه يعرض
العاشق لتلفه وذلك ظلم منه بان يطمعه في نفسه وبتماديه ويستميله بكل
طريق حتى يسخر له ماله ونفقه والتمكن من نفسه لئلا يزول غرضه بقضاوطره
منه فهو يسومه سوء العذاب والعاشق ربما قتل معشوقه ليشفي نفسه منه وكم
سيما اذا جاد بالوصال ليغرم فكم للعشق من قتيل من الجانبين وكم قد ازال من نعمة
وافقر من غني واسقط من رتبة وشتت من شمل وكم افسد من اله المنزل وولد
فان المراة اذا زارت بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هي معشوقا لنفسها فيصير
الرجل مترددا بين خراب بيته بالطلاق وبين القيادة فمن الناس من يؤثر
هذا ومن الناس من يؤثر ذاك فعلى العاقل ان لا يحكم على نفسه عشق الصور
لئلا يؤديه ذلك الى هذه المفاسد او اكثرها او بعضها ثم من فعل ذلك فهو المؤثر
بنفسه المغرور بها فاذا هلكت فهو الذي اهلكها فلولا تكرره النظر الى وجه
معشوقه وطمعه في وصله لم يتمكن عشقه من قلبه فانما اول الباب العشق الا ان
سواء تولد عن نظر او سماع فان لم يقارنه طمع في الوصال وقارنه الايس من ذلك لم
يحدث له العشق فانه افتره به طمع يصرفه عن فكره ولم يشغل قلبه لم يجد نظره

ذلك

ذلك فانه اطال مع ذلك الفكر في محاسن المعشوق وقارنه خوف ما هو اكبر عنده
من لذة وصاله اما خوف دين كدخوله النار وغضب الجبار واجتناب الاوزار
وغلب هذا الخوف على ذلك الطمع والفكر لم يحدث له العشق واذا فاته هذا الخوف
وقارنه خوف دنيوي كخوف اتلاف نفسه وماله وذهاب جاهه وسقوط مرتبته
عند الناس وسقوط من يعز عليه وغلب هذا الخوف لداعي العشق دفعه
وكذلك اذا خاف من فوات محبوب هو احب اليه وانفع له من ذلك المعشوق و
قدم محبته على محبة ذلك المعشوق كذلك الجذب اليه بكليته ومالت اليه
النفس كل الميل فان قيل قد ذكرتم آفات العشق ومضاره ومفاسده فهلا ذكرتم
منافعه وفوائده التي من جملتها رقة الطبع وترويح النفس وخفتها وزوال
ثقلها ورياضتها وحملها على مكارم الاخلاق من الشجاعة والكرم والمروة والرقة
الحاشية ولطف الجانب وقد قيل ليحيى بن معاذ الرازي ان ابنك عشق فلانة
فقال الحمد لله الذي صيره الى طبع الادمي وقال بعضهم العشق ذا افاد الكرام وقال
عزم العشق لا يصلح الا لذي مروة ظاهرة وخليقة طاهرة ولذي لسان فاصل
واحسان كامل ولذي ادب بارع وحسب ناصع وقال اخر العشق يشجع جبان
الجبان ويصفي ذهن الغبي ويسخي كف البخيل ويذل عزة الملوك ويسكن
بوادر الاخلاق وهو اني ما لا ابتي له وجليس ما لا جليس له وقال اخر العشق
ينزيل الاثقال ويلطف الروح ويصفي كدر القلب ويوجب الارتياح لافعال الكرام
كما قال

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم ‌ ‌ اذا غالها من جانب الحب غائله
كريم يميت السر حتى كانه ‌ ‌ اذا استفهموه عن حديث تذكره
يود بان يمشي بسقيما لعلها ‌ ‌ اذا سمعت عنه شكوى ترا سله
ويهتز للمعروف في طلب العلى ‌ ‌ ليحمد يوما عند ليلى شمائله

فالعشق يحمل على مكارم الاخلاق وقال بعض الحكماء العشق يرضي النفس و
يهذب الاخلاق اظهاره طبيعي واضماره تكلفي وقال اخر من علم بنهيج نفسه بالصوم
والوجه البهي فهو فاسد المزاج يحتاج الى علاج وانشد وانى ذلك

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ‌ ‌ فانت وعير الفلاة سواء

وقال اخر

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

٤ اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ٤ فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا ٤ وقال آخر

٤ اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ٤ فما انت من طيب الحياة نصيب ٤

وقال بعض العشاق اولوا العفة والصيانة عفوا تشرفوا واعشقوا تظرفوا

وقيل لبعض العشاق ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى فقال كنت امتع طرفي بوجهه وارتاح قلبي بذكره وحدثه واستريح منه الى ما يجب كشفه ولا اصير بقبيح الفعل الى ما ينقض عهده ثم انشد

٤ احلو به فاعف عنه تكرما ٤ خوف الديان لستر عشقانه ٤

٤ كالمالك في يديه صائم يلتذ به ٤ ظما فيصبر عن لذيذ مذاقه ٤

وقال اسحق بن ابراهيم ارواح العشاق عطرة لطيفة وابدانهم رقيقة خفيفة تزهقهم المؤانسة وكلامهم يحيي موات القلوب ويزيد في العقول ولولا العشق والهوى لبطل نعيم الدنيا وقال آخر العشق للارواح بمنزلة الغذاء للابدان ان تركته قتلك وان كثرت منه قتلك وفي ذلك قيل

٤ خليلي ان الحب فيه لذاذة ٤ وفيه شفاء دائم وكروب ٤

٤ على ذاك ما عيشي يطيب بغيره ٤ ولا عيشي الا بالحبيب يطيب ٤

٤ ولا خير في الدنيا بغير صبابة ٤ ولا في نعيم ليس فيه حبيب ٤

وذكر الخزائلي عن ابي عثمان قال مر ابو بكر الصديق رضي الله عنه بجارية وهي تقول

٤ وهويتها من قبل حلم تمائمي ٤ سقيا سقيا مثل القضيب الناعم ٤

فسألها اصرح انت ام مملوكة قالت بل مملوكة فقال من هواك فتلكأت فاقسم عليها فقالت ٤ وانا التي لعب الهوى بفؤادها ٤ فقتلت حب محمد بن القاسم ٤

فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن ابي طالب وقال هؤلاء فتى الرجال وكم والله قد هاب بهن كريم قتيل وعطب بهن سليم وهبت عثمان بن عفان جارية تسند عن عالم جليل من الانصار فقال لها عثمان ما تصنعين فقالت كلفني يا امير المؤمنين بابن اخيه فما افتك اراعيه فقال له عثمان اما ان تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالي فقال انها لك يا امير المؤمنين انها لم تخني لا انكر فساد العشق الذي تتعلقه نعد الفاحشة

بالمعشوق

وذكر

بالمعشوق واما الكلام في العشق العفيف من الرجل الظريف الذي يتأتى له دينه وعفته ومروءته ان يفسد ما بينه وبين الله وما بينه وبين معشوقته من الحرام وهذا العشق السليم الكرام الائمة الاعلام فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود احد الفقهاء السبعة عشق حتى اشتهر امره ولم ينكر عليه وعد ظالما من لامه وفي شعره

٤ كتمت الهوى حتى اضر بك الكتم ٤ ولمت اقواما ولو مهم ظلم ٤

٤ فتم عليك الكاشحون وقبلهم ٤ عليك الهوى قدما لو ينفع الكتم ٤

٤ فاصبحت كالهدار اذ مات حرة ٤ على اثرها هند اوكى شفه سقم ٤

٤ تجنبت اياه لكيما تائما ٤ الا ان هجران الحبيب هو الاثم ٤

٤ فذق هجر ما قد كنت تزعم انه ٤ رشاد الا يا بئس ما كذب الزعم ٤

وهذا عمر بن عبد العزيز عشقه جارية فاطمة بنت عبد الملك امرأته مثله سورة وكانت جارية بادعة الجمال وكان معجبا بها وكان يطلبها من امرأته ويحرض على ان تهبها له فابى ولم تزل الجارية في نفس عمر فلما استخلف امرأته فاطمة بالجارية فاصلحت وكانت مثلا في حسنها وجمالها ثم دخلت على عمر وقالت يا امير المؤمنين انك كنت معجبا بجاريتي فلانة وسألتنيها فابيت عليك والآن قد طابت نفسي لك بها فلما قالت له ذلك لطمها الفرح في وجهه وقال عجلي بها فلما اراد خلعها عليه ازداد عجبا وقال لها الق ثيابك ففعلت ثم قال على رسلك اخبريني لم كنت تأبين علي اول مرة فقالت فاطمة فقالت اغرم الحجاج عاملا بالكوفة مالا وكنت في رقيق ذلك العامل فاخذني وبعث بي الى عبد الملك فوهبني لفاطمة قال وما فعل ذلك العامل قالت هلك قال فهل ترك ولدا قالت نعم قال فاحالهم قالت سبيه فقال اشتري عليك ثيابك واذهبي الى مكانك ثم كتب الى عامله بالكوفة ان ابعث الي فلان بن فلان على البريد فلما قدم قال له ارفع الي جميع ما غرمه الحجاج لابيك فلم يرفع اليه شيئا الا دفعه اليه ثم امر بالحجاج بالجارية فدفعت اليه ثم قال له اياك واياها فلعل اباك كان الم بها فقال الغلام هي لك يا امير المؤمنين قال لا حاجة لي بها قال فابتعها مني قال لست اذا ممن يبيع النفس عن الهوى فلما عزم العمي على الانصراف بها قالت ايها وجدك بي يا امير المؤمنين قال على حالك كما وقد زاد ولم تزل الجارية

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

في نفسي عمر حتى مات رحمه الله تعالى وهذا ابو بكر بن محمد الظاهري العالم المشهور
في فنون العلوم من الفقه والحديث والتفسير والادب وله قول في الفقه وهو
من اكابر العلماء وعشقه مشهور قال بغطويه دخلت عليه في مرضه الذي مات
فيه فقلت كيف بحبك فقال حب من تعلم اورثني ما ترى فقلت وما يمنعك
من الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر
المباح والآخر اللذة المحضورة فاما النظر المباح فهو الذي اورثني ما ترى و
اما اللذة المحضورة فمنعني منها ما حدثني ابي قال حدثنا سويد بن سعيد
حدثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه
من عشق وكتم وعف وصبر غفر له وادخله الجنة ثم انشد

انظر الى السحر يجري في لواحظه ... وانظر الى درج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه ... كانهن مدارد في عاجي
مالهم انكروا سوادا بخده ... ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بديد الشعر ... فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له كيف تصيب القياس في الفقه واتبثه في الشعر فقال غلبة الوجد
وملكه الوجد النفس دعوا اليه ثم مات من ليلته وبسبب معشوقه صنف
كتاب الزهرة وهي كلامه فيه من ناسي ممن يهواه ولم يبت من وقته سلا
وذلك ان اول روعات الناس تاتي القلب وهو غير مستعد لها فاما الثانية
فتاتي القلب وقد وطاته لها الروعة الاولى والتقى هو وابو العباس بن شريح
في مجلس ابي الحسن علي بن عيسى الوزير فتناظرا في مسئلة من الايلاء فقال
له ابن شريح انت بان تقول مما دامت لحصانة كنت حسرانة احذق منك
بالكلام على الفقه فقال الان كان ذلك فاني اقوله

انزه في روض المحاسن مقلتي ... وامنع نفسي ان تنال محرما
واحمي من نقل الهوى ما لو انه ... يصب على الصخر الاصم تهدما
رايت الهوى دعوى من الناس كلهم ... فلست ارى مدعيا مسلما

فقال له ابو العباس ابن شريح بئس تفخر علي ولو شئت قلت

ومطاعم

ومطاعم كالشهد في نغماته ... قد بت امنعه لذيذ سنانه
صبابه وبحسنه وحديثه ... وانزه اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح كاد عموده ... ولا جنائم ربه وبراته

فقال ابو بكر يحفظ على الوزير ما اقربه حتى يقيم عليه شاهدين على انه
ولى بجنائم ربه وبراته فقال ابن شريح يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك

انزه في روض المحاسن مقلتي ... وامنع نفسي ان تنال محرما

وقال لقد جمعتما لطفا وظرفا وكذلك ابو بكر الخطيب في تاريخه وجاء يوما
فتيا مضمونها

يا بن داود يا فقيه العراق ... افتنا في فوائد الاحداق
هل عليها بما اتت من جناه ... ام حلال لهادم العشاق

فاجاب الجواب بخطه تحت البيتين

عندي جواب مسائل العشاق ... فاسمعه ما فرح الحشا مشتاق
لما سالت عن الهوى هيجت لي ... وارقت دمعا لم يكن بمراق
ان كان معشوقا يعذب عاشقا ... كان المعذب انعم العشاق

قال صاحب كتاب ضمان الاحباب شهاب الدين محمد بن سلمان بن فهد
صاحب الانشا وقلت في جواب البيتين على وزنهما مجيبا للسائل

قل لي يا سائلا عن لحاظ ... هن يلعبن في دم العشاق
ما على السيف في الضريبة من جناح ... ان ثنى الحد عن دم مهراق
وسيوف اللحظ اولى بان ... تصنع مما جنت على العشاق
انما كان قتلى شهدا ... ولهذا يفوق صبا وهراق

ونظير ذلك فتوى ورد على الشيخ ابي الخطاب محفوظ بن احمد الكلوذاني شيخ الحنابلة في وقته

قل للامام ابي الخطاب مسئلة ... جاءت اليك وما خلق سواك لها
ماذا على من غدا دام الصلاة غدا ... لاحت لخاطره ذات الجمال لها

فاجابه تحت سؤاله

قل للاديب الذي وافا بمسئلة ... سرت فؤادي لما ان اصبحت لها
ان التي فتنته عن عبادته ... فريدة ذات حسن فاق وجها
انا تائب ثم قضى عنه عبادته ... فرحمة الله تغشى من عصى وتها

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

عبد الله بن معمر القيسي حجت سنة ثم دخلت مسجد المدينة لزيارة قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا جالس ذات ليلة بين القبر والمنبر اذ
سمعت انينا فاصغيت اليه فاذا هو يقول

اشجاك بوح حمائم السدر ٤ فاهجت منك بلابل الصدر ٤
ام عز نوعك ذكر غانية ٤ اهدت اليك وساوس الفكر ٤
يا ليلة طالت على دنف ٤ يشكو السهاد وقلة الصبر ٤
اسلمتني لهوى كرجوى ٤ متوقد كتوقد الجمر ٤
فالبدر يشهد انني كلف ٤ مغرى كحب شبيه البدر ٤
ماكنت احسبني اهيم بها ٤ حتى بليت وكنت لا ادري ٤

ثم انقطع الصوت فلم ادر من اين جاء وانا به قد اعاد البكاء والانين ثم انشد

اشجاك من ربا خيال زائر ٤ والليل مسود الذوائب عاكر ٤
واعتاد مهجتك الهوى بن رسه ٤ واهاج مقلتك الخيال الزائر ٤
ناديت ربا والظلام كانه ٤ يم يلاطم فيه موج زاخر ٤
والبدر يسري في السماء كانه ٤ ملك تربع والنجوم عساكر ٤
وتري به الجوزاء تقرع الدجا ٤ رقص الحبيب علا سكر طاهر ٤
يا ليل طلت على حبيب ماله ٤ الا الصباح نهى مساعد وموازر ٤
فاجابني من حيث افكر واعمل ٤ ان الهوى لهو الهوان الحاضر ٤

قال وكنت قد ذهبت عند ابتدائه بالابيات فلم يتنبه الا وانا عنده
فرايت شابا مقتبلا يستانه قد غرق الدمع في خده حزنا فسلمت عليه
فقال اجلس يا انت قلت عبد الله بن معمر القيسي قال الك حاجة قلت نعم
كنت جالسا في الروضة فاراعني الا صوتك فنفسني افديك فما الذي
تجد فقال انا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري عدوت
يوما الى مسجد الاحزاب وصليت فيه ثم اعتزلت غير بعيد فاذا انسوة
قد اقبلن يتهادين مثل القطا فاذا في وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة
الملاحة فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من تطلب وصلك

ثم يلاطم فيه
موج زاخر

ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا وقفت لها اثرا وانا حيران انقلب
من مكاني الى مكان ثم صرخ واكب مغشيا عليه ثم افاق كما ما صفت وصفاه بوزن
ثم انشد

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة ٤ فيا هل ترى يرعى الفؤاد على بعد ٤
فؤادي وطرفي يا سفان عليكم ٤ وعندكم روحي وذكركم عندي ٤
ولست الذ العيش حتى اراكم ٤ ولو كنت في الفردوس في جنة الخلد ٤

فقلت يا بني اجنب الى ربك واستغفره من ذنبك فبين ذلك هو المطلع فقال
ما انا بسال حتى القارضاد ولم ازل معه الى ان طلع الفجر فقلت قم بنا
الى مسجد الاحزاب فلعل الله ان يكشف كربتك قال ارجو ذلك ان شاء الله
بركة طلعتك قد هبنا حتى اتينا مسجد الاحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الاربعاء اما ٤ ينفك يحدث بعد النهي طربا ٤
ما ان ينزال غزالا منه يقلقني ٤ ياتي الى مسجد الاحزاب منتقبا ٤
يخبر الناس ان الاحر هيته ٤ وما اتى طالبا للاجر محتسبا ٤
لو كان يبغي ثوابا ما اتى صلقا ٤ مضمخا بقشيب المسك مختضبا ٤

ثم جلسنا حتى صلينا الظهر واذا بالنسوة قد اقبلن وليست الجارية فيهن
فوقفن عليه وقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وهاشفة بالك قال وما
بالها قلن اخذها ابوها وارتحل بها الى ارض السماوة فسالتهن عن الجارية
فقلن هي ريا بنت الغطريف السلمي فوضع عتبة راسه بين يديه وقال

خليلي ريا قد اجد بكورها ٤ وسارت الى ارض السماوة غيرها ٤
خليلي اني قد عشقت من البكا ٤ فهل عند غيري معقلة استغيرها ٤

فقلت له انى وردت بلاد جرير اريد به اهل اليمن فوالله لابذلن امامك حتى
نبلغ رضاك وفوق الرضا فقام بنا الى مسجد الانصار فقمنا وسرنا حتى اشرفنا
على ملاعبهم فسلمت فاحسنوا الرد فقلت ايها الملا ما تقولون في عتبة وابيه
قالوا ومن سادات العرب فقال انه قد رمي بداهية من الهوى وما اريد منكم
الا المساعدة الى السماوة فقالوا سمعا وطاعة فركبنا وركب القوم معنا حتى
اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم الغطريف بنا فخرج مبادرا فاستقبلنا وقال

حييتم بالاكرام فقلنا وانت فحياك الله انا لك اضياف فقال انزلتم اكرم
منزل ثم نادى يا معشر العبيد انزلوا القوم فعرت الانطاع والنمارق وذبحت
الذباح فقلنا لسنا بذائقي طعامك حتى تقضي حاجتنا فقال وما حاجتكم
فقلنا تخطب عقيلتك المكرمة لعتبة ابن الحباب بن المنذر فقال ان الي
تخطبونها امرها الى نفسها وانا ادخل اخبرها ثم دخل فغضبا على ابنته
فقالت يا ابت مالي اراك قد وجمت فقال قد ورد الانصار يخطبونك فما قلت
سادة كرام استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة منهم فقال لعتبة بن الحباب
فقالت والله قد سمعت من عتبة هذا امنة يفي بما وعد ويدرك اذا قصد
فقال اقسمت لان وجئك به ابدا ولقد نمى الي بعض حديثك معه فقالت
ما كان ذلك ولكني اذا اقسمت فان الانصار لا يردون رد قبيحا فاحسن لهم الرد
فقال يا بني شئ قالت اغلظ لهم المهر فانهم يرجعون ولا يجيبون فقال ما احسن
ما قلت ثم خرج حتى بادرالهم فقال ان فتاة الحي قد اجابت وكيف اريد
مهرا مثلها فمن القائم فقال عبد الله بن معمر انا فقال ما شئت فقال مائة اوقية
من الذهب وحلة من الابراد وخمسة اكرشه عنبر فقال عبد الله
ذلك ذلك فهل اجبت فقال اجل قال عبد الله فانفذت نفر من الانصار الى المدينة
فاتوا بجميع ما طلب ثم صنعت الوليمة واثنى على ذلك ايام ثم قال خذوا فانتم
والنصر فوا مصاحبين ثم حملها في هودج وجهزها بثلاثين راحلة من المتاع
والتحف فودعناه وسرنا حتى بقي بيننا وبين المدينة مرحلة خرجت علينا
خيل تريد الغارة احسبها من سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل منهم
رجالا وجندل اخرين ثم رجع وبه طعنة تقود دما فسقط الى الارض فانتشا
بخده فطردت عقل الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتباه فضمتنا الجادة
فالفت نفسها على البعير وجعلت تصيح بحرقة وانشدت

تصببت لاني صبرت وانما ... اعلل نفسي انها بك لاحقة
فلو انصفت روحي لكانت رفيقتي ... امامك في دون البرية سابقة
فما احد بعدي وبعدك منصف ... خليل ولا نفس لنفس موافقة

الى الرد

ثم شهقت

ثم شهقت وقضت نحبها فاحتفرنا لها قبرا واحدا ودفناهما فيه ثم رجعت
وانا سبع سنين ثم ذهبت الى الحجاز وعدت المدينة فقلت والله لابين
قبر عتبة ازوره فاتيت القبر فاذا عليه شجرة عليها عصائب حمر وصفر
فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة قالوا شجرة العروسين ولو لم
يكن في العشق من الرخصة المخالفة للتشديد الا الحديث الوارد بالحسن من
الاسانيد وهو حديث سويد عن سعيد عن علي بن مسهر عن ابي يحيى
القتات عن مجاهد عن ابن عباس من عشق وكتم وعف فمات
فهو شهيد ورواه سويد ايضا عن ابن مسهر عن هشام عن عروة عن ابيه
عن عائشة رضي الله عنها من فوقها ورواه الخطيب عن الازهري عن المعافى
ابن زكريا عن فطنة ابن الفضل عن احمد بن مسروق عنه ورواه الزبير
ابن بكار عن عبد العزيز الماجشون عن عبد العزيز بن ابي حازم عن ابن
ابي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس وهذا سيد الاولين والاخرين ورسول
رب العالمين نظر الى زينب بنت جحش فقال سبحان مقلب القلوب وكانت
تحت زيد بن حارثة مولاه فلما هم بطلاقها قال اتق الله وامسك عليك
زوجك فلما طلقها زوجها الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات فكان
هو وليها وولي تزويجها من رسوله الله صلى الله عليه وسلم وعقد عقد نكاحها
فوق عرشه وانزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ تقول للذي انعم الله
عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك
ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وهذا داود نبي الله
لما كان تحته تسع وتسعون امراة ثم احب تلك المراة فتزوج بها وكمل
بها المائة قال الزهري اول حب كان في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم
عائشة وكان مسروق يسميها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
مولى عبد الله بن عمر ارسلني عبد الله بن عمر الى ام سلمة اسالها لاي شئ كان النبي صلى
الله عليه وسلم يقبل اهله وهو صائم فقالت له فقال ان عائشة رضي الله عنها قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها وهو صائم فقالت ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

كان اذا راى عائشة لم يتمالك عنها وذكر سعد عن ابراهيم عن عامر بن سعد
عن ابيه قال كان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم يزوره جبريل في كل يوم على
البراق من شغفه به وقلة صبره عنه وذكر الخرائطي ان عبد الله بن عمر
اشترى جارية رومية فكان يجبها حبا شديدا فوقعت ذات يوم عن بغلة
له فجعل يمسح التراب عن وجهها ويقبلها وكانت تكثر ان تقول له يا نطرون
انت قالون تعني يا مولاي انت حسن ثم انها هربت منه فوجد عليها وجدا شديدا
وقال ع قد كنت احسبني قالون فانصرفت ع فاليوم اعلم اني غير قالون ع
قال ابو محمد بن حزم وقد احب من الخلفاء الراشدين والائمة المهديين كثير
وقال رجل لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين رايت امراة تعشقها فقال ذاك
ما لا يملك فالجواب ـــــ وبالله التوفيق ان الكلام في الباب لا بد فيه من
التمييز بين الواقع والجائز والنافع والضار ولا يستجاز عليه بالذم والانكار
ولا المدح والقبول من حيث الجملة وانما يتبين حكمه وينكشف امره بذكر
يتعلقه والا فالعشق من حيث هو لا يحمد ولا يذم ونحن نذكر النافع من
الحب والضار والجائز والحرام اعلم ان افضع المحبة على الاطلاق واوجبها
واعلاها واجلها محبة من جبلت القلوب على محبته وفطرت الخليقة
على تالهه وبها قامت السموات والارض وعليها فطرت المخلوقات وهي
شهادة ان لا اله الا الله فان الاله الذي تالهه القلوب بالمحبة والاجلال
والتعظيم والذل والخضوع وتعبده والعبادة لا يصلح الا له وحده
والعبادة هي كمال الحب مع كمال الخضوع والذل والشرك في عبادة
من اظلم الظلم الذي لا يغفر الله والله تعالى يحب لذاته من جميع الوجوه وما
سواه فانما يحب تبعا لمحبته وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة
ودعوة جميع رسله وفطرته التي فطر عباده عليها وما ركب فيهم من النعم
وما اسبغ عليهم من النعم فان القلوب مجبولة مفطورة على محبة من
انعم عليها واحسن اليها فكيف بمن كل الاحسان منه وما بخلقه جميعهم من
نعمة فمنه وحده لا شريك له كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم

الضر

الضر فاليه تجارون وما تعرف الى عباده من اسمائه الحسنى وصفاته العلى
وما دلت عليه اثاره مصنوعاته من كماله وبهائه وجلاله وعظمته والمحبة لها
داعيان الجمال والاجلال والرب تعالى له الجمال المطلق من ذلك فانه جميل يحب الجمال
بل الجمال كله له والاجمال كله منه فلا يستحق ان يحب لذاته من كل وجه
سواه قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى
يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
اذلة على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله
ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم راكعون
ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون والولاية
اصلها الحب فلا موالاة الا بحب كما ان العداوة اصلها البغض والله ويلي
الذين امنوا وهم اولياءه فهم يوالونه بمحبتهم له وهو يواليهم بمحبته لهم
فالله يوالي عبده المؤمن بحسب محبته له ولهذا انكر سبحانه على من اتخذ من
دونه اولياء بخلاف من والى اوليائه فانه لم يتخذهم من دونه بل موالاته لهم
من تمام موالاته وقد انكر على من سوى بينه وبين غيره في المحبة واخبر ان من
فعل ذلك فقد اتخذ من دونه اندادا يحبهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله واخبر عن من سوى بينه وبين الاندادا في الحب انهم يقولون في النار
لمعبودهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وبهذا
التوحيد والحب لله بعث الله سبحانه وتعالى جميع رسله وانزل جميع كتبه واطبقت
عليه دعوة الرسل من اولهم الى اخرهم وللجنة خلق السموات والارض
والجنة والنار فجعل الجنة لاهله والنار للمشركين به فيها واقسم النبي صلى
الله عليه وسلم انه لا يومن عبد حتى يكون هو احب اليه من ولده ووالده
والناس اجمعين فكيف بمحبة الرب جل جلاله وقال لعمر الخطاب
لا حتى اكون احب اليك من نفسك اي لا تومن حتى اكون احب اليك تفصل
محبتك الى هذه الغاية واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اولى بنا من انفسنا في

Copyright © King Saud University
الألوكة
www.alukah.net

المحبة ولوازمها افليس الرب جل جلاله وتقدست اسماؤه وتبارك اسمه
وتعالى جدك اولى بمحبته وعبادته وعباده من انفسهم وكل حامد منه الى عبده المؤمن
يدعوه الى محبته من ما يحب العبد او يكره نعماؤه ومنعه ومعافاته وابتلاؤه
وقبضه وبسطه وعدله وفضله وامانته واحياؤه ولطفه وبره ورحمته
واحسانه وستره وعفوه وحلمه وصبره على عبده واجابته له عليه وكشف
كربه واغاثته لهفته وتفريج كربته من غير حاجة منه اليه بل مع غناه التام
عنه من جميع الوجوه كل ذلك داع الى القلوب الى تالهه ومحبته بل تكاد
عبده من معصيته واعانته عليها وستره حتى يقضى وطره منها وكلاءته
وحراسته له وهو يقضى وطره من معصيته بعينه وهو يستعين عليها
بنعمه من اقوى الدواعى الى محبته فلو ان مخلوقا فعل لمخلوق ادنى شئ
من ذلك لم يملك قلبه عن محبته فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه
من يحسن اليه على الدوام بعدد الانفاس مع اساءته فحجره نازل وشره
اليه صاعد يتحبب اليه بنعمه وهو غنى عنه والعبد يتبغض اليه بالمعاصى
وهو فقير اليه فلا احسانه وبره وانعامه عليه يصده عن معصيته
ولا معصية العبد ولومه يقطع احسان ربه عنه فالام اللوم تخالف
القلوب عن محبة هذا شانه وتعلقها بمحبة سواه وايضا من محبه من
الخلق ويحبك انما يريدك لنفسه وغرضه منك والله سبحانه يريدك لك
كما فى الاثر الالهى عبدى كلنى يريدك لنفسه وانا اريدك لك فكيف لا يستحق
العبد ان يكون ربه له بهذه المنزلة وهو معرض عنه مشغول بحب غيره
وقد تحبب اليه بانواع المحبة سواه وايضا فكل من تعامله من الخلق انما يعاملك
عليك لم يعاملك فلا بد له من نوع من انواع الربح والرب لكن انما يعاملك
لتربح انت عليه اعظم الربح واعلاه فالدرهم بعشرة امثاله الى سبعمائة ضعف
الى اضعاف كثيرة والسيئة بواحدة وهى اسرع شئ محوا وايضا فهو سبحانه
خلقك لنفسه وخلق كل شئ لك فى الدنيا والاخرة فى اولى منه بالتزام
الوسع فى محبته وبذل الجهد فى مرضاته وايضا فمطالبك بل مطالب الخلق

كلام

كلام جميعا لديه وهو اجود الاجودين واكرم الاكرمين اعطى عبده قبل ان
يساله وفوق ما يؤمله يشكر القليل من العمل ويثيبه ويغفر الكثير من
الزلل ويجيب سائله مما فى السموات والارض كل يوم هو فى شان لا يشغله
سمع عن سمع ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين فى الدعا
ويحب ان يسأله ويغضب اذا لم يسئل يستحيى من عبده حيث لا يستحيى العبد
منه ويستر حيث لا يستر نفسه ويرحمه حيث لا يرحم نفسه دعاه بنعمته
واحسانه وادناه الى كرامته ورضوانه فابى فارسل رسله فى طلبه وبعث
معهم عهده ثم نزل سبحانه بنفسه وقال من يسالنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له
ادعوك للوصل تابى ابعث رسولى فى الطلب انزل اليك بنفسى
انا لك فى المنام وكيف لا تحب القلوب من لا ياتى بالحسنات الا هو
ولا يذهب السيئات الا هو ولا يجيب الدعوات ويقيل العثرات ويغفر
الخطيئات ويستر العورات ويكشف الكربات ويجيب الملهفات ويقبل
الطلبات سواه فهو احق من ذكر واحق من شكر واحق من عبد واحق
من حمد وانصر من ابتغى واراف من ملك واجود من سئل واوسع من اعطى و
ارحم من استرحم واكرم من قصد واعز من التجئ اليه واكفى من توكل عليه ارحم
بعبده من الوالدة بولدها واشد فرحا بتوبة التائب من الفاقد لراحلته
التى عليها طعامه وشرابه فى الارض المهلكة اذ يتاتى من الحياة ثم وجدها
وهو الملك لا شريك له والفرد لا ند له كل شئ هالك الا وجهه لم يطع
الا باذنه ولم يعص الا بعلمه يطاع فيشكر ويتوفيقه ويغمته اطيع ويعصى
فيغفر ويعفو وحقه اضيع فهو اقرب شهيد واجل حفيظ واوفى ولى ونعم
بالعهد واعدل قائم بالقسط حال دون النفوس واخذ بالنواصى وكتب
الاثار ونسخ الاجال والقلوب له مفضية والسر عنده علانية والغيب
لديه مكشوف وكل احد اليه ملهوف عنت الوجوه لسنوده وجهه وعجزت
العقول عن ادراك كنهه وذلت الفطر والادلة كلها على استاع مثله وبهره
اشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت له الارض والسموات واصلحت

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار فاخبرهم
ان الدنيا متاع يتمتع بها الى غيرها وان الاخرة هي دار المستقر واذا عرف
ان لذات الدنيا ونعيمها متاع ووسيلة الى لذات الاخرة ولذلك خلقت
الدنيا ولذاتها فكل لذة اعانت على لذة الاخرة واوصلت اليها لم يذم
تناولها بل يحمد بحسب اتصالها الى الاخرة اذا عرف هذا فاعظم نعيم الاخرة
ولذاتها النظر الى وجه الرب جل جلاله وسماع كلامه منه والقرب منه كما ثبت
في الصحيح في حديث الرؤية فواضل ما اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر اليه
وفي حديث اخر انه اذا تجلى لهم و ما هم فيه من النعيم وفي السنائي و
مسند الامام احمد من حديث عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه
واسالك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وفي كتاب السنة لعبد الله
ابن الامام احمد مرفوعا كان الناس يوم القيمة لم يسمعوا القران
اذا سمعوها من الرحمن وكانهم لم يسمعوا قبل ذلك فاذا عرف هذا
فاعظم الاسباب التي تحصل هذه اللذة هو اعظم لذات الدنيا على الاطلاق
وهو لذة معرفة الله سبحانه وتعالى ولذة محبته فان ذلك هو جنة الدنيا
ونعيمها العالي ونسبة لذاتها الفانية الى لذاتها الباقية كنسبة قطرة في بحر فان الروح والقلب
والبدن انما خلق لذلك فاطيب ما في الدنيا معرفة ومحبته والذي في
الجنة رويته ومشاهدته لمحبته ومعرفته قرة العيون ولذة الارواح وبهجة
القلوب ونعيم الدنيا وسرورها بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب
الما وعذابا وبقي صاحبها في المعيشة الضنك فليست الحياة الطيبة الا بهذا
وكان بعض المحبين تمر به اوقات فيقول اه ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم
لفي عيش طيب وكان غيره يقول لو علم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف
واذا كان صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب على قول المحب يقول في حالة
وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى ولا خير فيمن لا يحب ويعشق
وبقول الاخر ان الدنيا مع لم يكن صاحب الدنيا مجيبا او حبيب
ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها وانت وحيد مفرد غير عاشق

عليه جميع المخلوقات لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه
يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه
لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ما اعتاض باذل حبه
لسواه من عوض ولو ملك الوجود بأسره **فصل** وههنا امر عظيم
يجب على اللبيب الاعتناء به وهو ان كمال اللذة والسرور والفرح ونعيم
القلب وابتهاج الروح تابع لامرين احدهما كمال المحبوب في نفسه و
جماله ولذته اولى باثبار المحبة من كل ما سواه والامر الثاني كمال محبته و
استفراغ الوسع في حبه وايثار قربه والوصول اليه على كل شيء وكل عاقل
يعلم ان اللذة بحصول المحبوب بحسب قوة محبته فلما كانت المحبة اقوى كانت
لذة المحب اكمل فلذة من اشتد ظمأه بادراك الماء الزلال ومن اشتد جوعه
بأكل الطعام الشهي ونظائر ذلك على حسب شوقه وشدة ارادته ومحبته
واذا عرف هذا فاللذة والسرور والفرح امر مطلوب في نفسه بل هو
مقصود كل حي واذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها فهل تدوم اذا عقبها
اعظم منها او منعت لذة خيرا منها فكيف اذا اعقبه اعظم الحسرات وفوت
اعظم اللذات والمسرات وكم اذا اعانت على لذة عظيمة دائمة مستقرة لا تنقطع
فيها والنكد بوجه من الوجوه وهي لذة الاخرة ونعيمها وطيب العيش فيها
قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى وقال سحرة
فرعون لما امنوا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انا
امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى والله
سبحانه خلق الخلق ليبلوهم هذه اللذة الدائمة في دار الخلد واما هذه
الدار فمنقطعة ولذاتها لا تصفو ابدا ولا تدوم بخلاف الاخرة فان
لذاتها دائمة ونعيمها خالص من كل كدر والم وفيها ما تشتهيه الانفس و
تلذ الاعين مع الخلود ابدا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين بل
فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا هو
الذي قصده الناصح لقومه بقوله يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد

واجلهم

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبقول الاخر ﴿ اسكن الى السكن تلذ بحبه ﴿ ذهب الزمان وانت متفرد ﴿
وبقول الاخر ﴿ تشكى المحبون الصبابة ليتني ﴿ تحملت ما يلقون من بينهم وحدي ﴿
﴿ فكانت لقلبي لذة الحب كلها ﴿ فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ﴿
فكيف المحبة التي هي حياة القلوب وغذاء الارواح وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة الا بها واذا فقدها القلب كان له اعظم من الم العين اذا فقدت نورها والاذن اذا فقد سمعها واللسان اذا فقد نطقه بل فساد القلب اذا خلا من محبة فاطره وباريه والهه الحق اعظم من فساد البدن اذا خلا من الروح وهذا امر لا يصدقه الا من في قلبه حياة وما يخرج بميت ايلام ﴿ والمقصود ان اعظم لذات الدنيا هو السبب الموصل الى اعظم لذة الاخرة ولذات الدنيا ثلاثة انواع فاعظمها واكملها ما اوصل الى لذة الاخرة ويثاب الانسان على هذه اللذة اتم ثواب ولهذا كان المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله كالاكل والشرب واللباس والنكاح والشفاء بنظره الى عدو الله وعدوه فكيف بلذة ايمانه ومعرفته ومحبته له وشوقه الى لقائه وطمعه في رؤية وجهه الكريم في جنات النعيم

النوع الثاني لذة تمنع لذة الاخرة ويعقب الالم اعظم منها كلذة الذين اتخذوا من دون الله اوثانا مودة بينهم في الحيوة الدنيا يحبونهم كحب الله ويستمتعون بعضهم ببعض كما يقولون في الاخرة اذا لقوا ربهم ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ولذة اصحاب الفواحش والظلم والبغي في الارض والعلو بغير الحق وهذه اللذات في الحقيقة انما هي استدراج من الله لهم ليذيقهم اعظم الالم ويحرمهم بها اكمل اللذات بمنزلة من قدم لغيره طعاما لذيذا مسموما مستدرجة به الى هلاكه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين قال بعض السلف في تفسيرها كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة حتى اذا فرحوا بما اوتوا

اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقال تعالى لاصحاب هذه اللذات يحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال في حقهم فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وهذه اللذات تنقلب اخرا الاما من اعظم الام كما قيل

﴿ ما رب كانت في الحيوة لاهلها ﴿ عذابا فصارت في المعاد عذابا ﴿

النوع الثالث لذة لا تعقب لذة في دار القرار ولا الما ولا تمنع اصل لذة دار القرار وان منعت لذة كمالها وهذه اللذة المباحة التي يستعان بها على لذة الاخرة فهذه زمامها يسير لتمنع النفس بها قدر ولابد ان يشتغل عما هو خير وانفع منها وهذا القسم هو الذي عنا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل الا رميه بقوسه او تاديبه فرسه وملاعبته امراته فانهن من الحق فما اعان على اللذة المطلوبة لذاتها فهو حق وما لم يعن عليها فهو باطل فصل فهذا الحب لا ينكره ولا يذم بل هو احد انواع الحب وكذلك حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما يعني المحبة الخالصة وهي التي تشغل قلب المحب وتكرم وذكره لمحبوبه والاكمل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله لا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في درجات هذه المحبة تفاوتا لا يحصيه الا الله فبين محبة الخليلين ومحبة غيرهم ما بينهما فهذه المحبة التي تلطف وتخفف اثقال التكاليف وتحلي التحميل وتشجع الجبان وتصفي الذهن وتروض النفس وتطيب الحيوة على الحقيقة لا محبة الصور المحرمة واذا بليت السرائر يوم القيامة كانت سريرة صاحبها خير سرائر العباد كما قيل

﴿ سبقى لكم في مضمر القلب والحشا ﴿ سريرة حب يوم تبلى السرائر ﴿

هذه المحبة التي تنور الوجه وتشرح الصدر وتحيي القلب وكذلك محبة كلام الله فانه من علامة محبة الله واذا اردت ان تعلم ما عندك غيرك من محبة الله فانظر محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ اصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب اليه كما قيل

﴿ ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي ﴿ اما املت ما فيه من لذيذ خطابي ﴿

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله وكيف يشبع المحب
من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لعبد الله بن مسعود
اقرا علي فقال اقرا عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح
وقرا سورة النساء حتى اذا بلغ الى قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع راسه فاذا عيناه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذرفان من البكاء وكان الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى
ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون فلمحبي القران من الوجد والذوق والحلاوة و
السرور اضعاف ما ليس لمحبي السماع الشيطاني فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده
وطربه وتشوقه في سماع الآيات دون سماع الايات وفي سماع الحان ودوتار
القران فهو كما قيل ؎ تقرا عليك الختمة ؎ وانت حامد كالحجر ؎ وبيت من الشعر
تميل كالسكران ؎ فهذا من اقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله وكلامه ورسوله
بحبة سماع الشيطان والمغرور يعتقد انه على شيء ففي محبة الله وكلامه ورسوله اضعاف
اضعاف ما ذكر السائل من فوائد العشق ومنافعه بل لا تحب على الحقيقة الا نفع منه
وكل حب سواذلك باطل ان لم يعن عليه ويشوق المحب اليه **فصل** والمحبة
النسوان فلا لوم على المحب فيها بل هي من كماله وقد امن الله سبحانه وتعالى بها على عباده
فقال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم
مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فجعل المراة سكنا للرجل يسكن
قلبه اليها وجعل بينهما خالص الحب وهو المودة المقرونة بالرحمة وقد قال تعالى
عقيب ذكره ما احل من النساء وما حرم منهن يريد الله ليبين لكم ويهديكم
سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب
عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان
يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا **فائدة** سفيان الثوري في تفسيره عن ابن
طاوس عن ابيه قال كان اذا نظر الى النساء يصبر وفي الصحيح من حديث جابر
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى امراة فاتى زينب فقضى حاجته منها وقال ان
المراة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة

فاعجبته

فاما

واما

فاعجبته فليات اهله فان ذلك يرد ما في نفسه ففي هذا الحديث عدة فوائد
الارشاد الى التسلي عن المطلوب بجنسه كما يقوم الطعام مقام الطعام والثوب
مقام الثوب ومنها الامر بمداواة الاعجاب بالمراة المعروفة لشهوتها بما نفع الادوية
وهو قضاء وطرم من اهله وذلك تنقص شهوتها وهذا كما ارشد المتحابين الى
النكاح كما في سنن ابن ماجه مرفوعا لم ير للمتحابين مثل النكاح فنكاح المعشوقة
هو دواء العشق الذي جعله الله دواه شرعا وقدرا ومن تداوى داوى صلى الله
عليه وسلم ولم يرتكب نبي الله محرما وانما تزوج المراة ومنها الى نسائه لمحبته لها وكانت
تواتيه بحسب مرضاته عند الله وعلو مرتبته ولا يليق بنا المزيد على هذا **واما** قصة
زينب بنت جحش فزيد كان قد عزم على طلاقها ولم توافقه وكان يستشير النبي صلى
الله عليه وسلم في فراقها وهو يامره بامساكها فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مفارقها
ولم يجد فاخفى في نفسه ان يتزوجها اذا فارقها زيد وخشي مقالة الناس ان رسول
الله تزوج زوجة ابنه فانه كان قد تبنى زيدا قبل النبوة والرب تعالى يريد ان
يشرع شرعا عاما في مصالح عباده فلما طلقها زيد وانقضت عدتها من ارسله
اليها يخطبها لنفسه فجاء زيد واستدبر الباب بظهره وعظمت في صدره لما ذكرها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنادها من وراء الباب بان ربك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى محرابها فصلت فتولى الله
عز وجل نكاحها من رسوله صلى الله عليه وسلم بنفسه وعقد النكاح له فوق عرشه
وجاء الوحي بذلك فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم لوقته فدخل عليها وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وتقول
زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات فهذه قصة زينب وقد ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع زينب والاريب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حبب اليه النساء كما في
الصحيح من حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت
قرة عيني في الصلاة هذا لفظ الحديث الا ما يس وفيه بعضهم حبب الي من دنياكم ثلاثة
زاد الامام احمد في كتاب الزهد في هذا الحديث اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر
عنهن وقد حسد اعداء الله اليهود على ذلك فقالوا ما همه الا النكاح فرد الله سبحانه وتعالى

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن رسوله وكافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله
فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما خليل الله
ابراهيم عليه السلام امام الحنفا كان عنده سارة اجمل نساء العالمين واحبها وتزوج
بها داود كان عنده تسع وتسعون امراة فاحب تلك المراة وتزوج بها فكمل بها الا
وهذا سليمان ابنه كان يطوف في الليلة على تسعين امراة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن احب نسائه اليه فقال عائشة وقال عن خديجة انى قد رزقت حبها لمحبة الله من
كمل الانسان ابن عباس جزء من الامة اكثرها نساء ذكر الامام احمد ان عبد الله
ابن عمر وقع في سهمه يوما جارية كان عشقها ابن بني فضة قال عبد الله فما صبرت ان قبلتها
والناس ينظرون وبهذا احتج الامام احمد على جواز الاستمتاع من المسبية قبل
الاستبراء بخلاف الوطي بخلاف الامة المشتراة والفرق بينهما انه لا يتوهم في المسبية كالامة
المشتراة فقد يفسخ بها الملك فيكون مستمتعا باهة غيره وقد شفع النبي صلى
الله عليه وسلم لعاشق ان تواصله معشوقته بان تتزوج به فابت وذكر في قصة
معيث وبريرة فانه راه يمشي خلفها بعد فراقها ودموعه تجري على خديه فقال
لها لو راجعتيه فقالت اتامرني يا رسول الله قال لا انما اشفع فقالت لا حاجة
لي به فقال لعمه يا عباس الا تعجب من حب معيث بريرة ومن بغضها له ولم يكن
عليم حبها وان كانت قد بانت منه فان هذا مما لا يملكه وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يسوي بين نسائه في القسم ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا املك يعني
القلب قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم يعني
في الحب والجماع ولم يزل الخلفاء الراشدون والرحماء من الناس يشفعون في العشاق
الى معشوقهم الجائز وصلهن كما تقدم مما فعل ابي بكر وعثمان وكذلك علي ابن ابي طالب
من العرب وجدني دار قوم بالليل فقال ما قصتك قال لست بسارق ولكني اصلح

تعلقت في دار الرباحي خودة ... يذل لها من حسن منظرها البدر
لها في بياض الروم حسن ومنصب ... اذا افتخرت بالحسن حولها الفخر
فلما طرقت الدار مهجة اهلها ... وفيها من تهوى قد هجع السمر
تبادر اهل الدار بي ثم صيحوا ... هو اللص يخشى ماله القتل والاسر

فلما سمع

فلما سمع امير المؤمنين علي رضي الله عنه شعره رق له وقال للمهلب بن رباح اسمح له
بها فقال يا امير المؤمنين سله من هو فقال النمانش بن عيسة فقال خذها مني لكرمك
واشترى معاوية رضي الله عنه جارية فاعجب بها اعجابا شديدا يوما سمعها يوما تنشد ابياتا منها

وفارقته كالغصن يهتز في الثرى ... طويل وسيما بعد ماظن شاربه
انها تحب سيدها فردها اليه وفي قلبه منها وذكر الزمخشري في ربيعة ان بيده قراب في طريق
مكة على حائط امامي في عباد الله او في امانه كوم يجلي الهم عن ذاهب العقل
له مقلة اما المها في قريحة ... واما لحشا فالنار منه على رجل

فتذرت ان تحتال لقائلها انا عرفته حتى يجمع بينه وبين من يحبه فبيناهي في المزدلفة
اذ سمعت من ينشد البيتين فظلبته فزعم انه قالهما في ابنة عم له بدر اهلها انا لا
يزوجوها منه فوجهت الى الحي وما زالت تبذل لهم المال حتى زوجوها منه فاذا المراة
اعشق لي منه لها فكانت تورد من اعظم حسناتها وكانت تقول ما انا بشيء اسر في
من جمعي بين ذلك الفتا والفتاة قال الحرائطي وكان لسليمان بن عبد الملك غلام وجارية يتحابان فكتب الغلام
اليها يوما

ولقد رايتك في المنام كانما ... عاطفي من ريق فيك البارد
وكانا كفك في يدي وكانتا ... بتنا جميعا في فراش واحد
فطفقت يومي كله متراقدا ... لاراك في نومي ولست براقد
خير ارايت وكلما ابصرته ... ستنالة مني برغم الحاسد
اني لارجو ان تكون معانقي ... فتبيت مني فوق ثدي ناهد
واراك بين جلاجلي ودمالجي ... واراك فوق توانجي ومحاسدي
وتكون انعم عاشقين تعاطيا ... ملح الحديث بلا مخافة راصد

فبلغ ذلك سليمان فاكرمهما الغلام واحسن حالهما على فرط غيرته وقال جامع بن مراجم
سالت سعيد بن المسيب مفتي المدينة هل في حبهما من وزر فقال سعيد بن
المسيب انما يلام على ما يستطيع مما الامر فقال سعيد والله ما سالني احد عن هذا
ولو سالني ما كنت اجبت الا بما قلت العشق ثلاثة اقسام عشق هو قربة وطاعة
وهو عشق الرجل امراته وجاريته وهذا العشق عشق نافع فانه ادعى الى
المقاصد التي شرع الله لها النكاح واكف للبصر والقلب عن التطلع الى غير اهله

وقال

ولهذا يحمد هذا العشق عند الله وعند الناس وعشق هو مقت من الله ولعدمي
رحمته وهو اضر شيء على العبد في دينه ودنياه وهو عشق المردان فما ابتلي به الامم
سقط من عين الله وطرد عن بابه وابعد قلبه وهو من اعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال
بعض السلف اذا اسقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة
التي جلبت على قوم لوط ما جلبت فما اتى الامي هذا العشق قال الله تعالى انهم لفي سكرتهم
يعمهون ودواء هذا الداء الاستعانة بمقلب القلوب وصدق الالتجاء اليه والتضرع
بذكره والتعوض بحبه وقربه والتفكر في الالم الذي يعقبه هذا العشق واللذة التي
تفوته به فيترتب عليه فوات اعظم محبوب وحصول اعظم مكروه فان اقدمت نفسه على
هذا اوانثته فليكبر عليه تكبيره على الجنازة وليعلم ان البلاء قد احاط به والقسم الثاني
من العشق عشق مباح لا يملك كعشق من وصفت له امرأة جميلة او رآها بحاجة من
غير قصد فاوقعت ذلك عشقا لها ولم يحدث له ذلك العشق معصية فهذا لا يملك ولا
يعاقب عليه والانفع له مدافعته والاشتغال بما هو انفع له والواجب على هذا
ان يتكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله على ذلك ويعوضه على صبره وعفته
وتركه طاعة هواه وايثار مرضات الله وما عنده **فصل** والعشاق
ثلاثة اقسام منهم من يعشق الجمال المطلق ومنهم من يعشق الجمال المقيد
سواء طمع في وصاله او لم يطمع ومنهم من لا يعشق الا من يطمع في الوصال اليه
وبين هذه الانواع تفاوت في القوة والضعف فعاشق الجمال المطلق قلبه لهم
في كل واد ولد في كل صورة جميلة مراد شعر

يوما بجزوى ويوما بالعذيب وبي ... ما بالعقيق ويوما بالخليصاء
وثالث ينجي نجدا واودية ... شعب العقيق وطورا قصر سيماء

فهذا عشقه واسع ولكنه غير ثابت كثير التنقل وقال آخر

هم بهذا ثم يعشق غيره ... ويسئلهم عما وقته حين يصبح

وعاشق الجمال المقيد اثبت على معشوقه واديم محبة له ومحبته اقوى من محبة
الاول لاجتماعها في واحد ونقسيم الاولى ولكن يضعفها عدم الطمع في الوصال وعاشق
الجمال الذي يطمع في الوصال اعقل العشاق واعرفهم وجه اقوى لان الطمع بما

ويقويه

فصل واما حديث من عشق وكف فهذا يرويه سويد بن سعيد
فقد انكره حفاظ الاسلام عليه قال ابن عدي في كامله هذا الحديث احد ما انكر
على سويد وكذا ذكره البيهقي وابن طاهر في الذخيرة والتذكرة وابو الفرج ابن
الجوزي وعده في الموضوعات وانكره ابو عبد الله الحاكم على تساهله وقال انا اتعجب
منه **قلت** والصواب في الحديث انه من كلام ابن عباس مرفوعا عليه فغلط من غلط
في رفعه قال محمد بن خلف بن المرزبان حدثنا ابو بكر الاثرم عن سويد به
فعائشة على ذلك فاسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكان بعد ذلك يسأل عنه فلا يرفعه
ولا يشبه هذا الكلام النبوة واما رواية الخطيب له عن الزهري **ثنا** المعافا بن زكريا
ثنا قطن بن الفضل **ثنا** احمد بن مسروق **ثنا** سويد **ثنا** ابن مسهر عن هشام
ابن عروة عن ابيه عن عائشة مرفوعا من عشق فعف ثم كتم غفر الله له وادخله الجنة
عائشة مثل هذا عند ادنى من شم ادنى رائحة من الحديث ونحن نشهد بالله ان
عائشة ما حدثت بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قط **واما** حديث الماجشون عن
عبد العزيز بن ابي حازم عن ابيه عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا فكذب
على ابن الماجشون فانه لم يحدث بهذا ولا حدث به عنه الزبير بن بكار وانما هذا من
تركيب بعض الوضاعين وبالجملة الله كيف يحمل هذا الاسناد مثل هذا المتن ففتح الله
الوضاعين وقد ذكر ابو الفرج من حديث محمد بن جعفر بن سهل **ثنا** يعقوب
ابن عيسى **ثنا** ولد عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عوف عن ابن ابي نجيح عن مجاهد
مرفوعا وهذا غلط قبيح فان محمد بن جعفر هذا هو الخرائطي ووفاته سنة سبع
وعشرين وثلثمائة فمحال ان يدرك شيخه يعقوب ابن ابي نجيح لا سيما وقد رواه
في كتاب الاعتلال عن يعقوب هذا عن ابن الزبير عن عبد الملك عن عبد العزيز
عن ابن ابي نجيح والخرائطي هذا مشهور بالضعف في الرواية ذكره ابو الفرج بن
الجوزي في الرواية في كتاب الضعفا وكلام حفاظ الاسلام في هذا الحديث هو الميزان
واليهم يرجع في هذا الشان وما صححه بل ولا حسنه احد يعول في علم الحديث عليه
ويرجع في الصحيح اليه ولا من عادته التساهل والتسامح فانه لم يطب نفسه له ويكفي ان
ابن طاهر الذي يتساهل في احاديث الصوفية ويروي منها الغث والسمين والمختلقة

Copyright © King Saud University
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٨٠٢

والموقودة قد انكره وشهد ببطلانه نعم ابن عباس غير مستنكر ذلك عنه وقد ذكر
ابو محمد بن حزم عنه انه سئل عن الميت عشقا فقال قتيل الهوى لا عقل ولا قود ودفع
اليه بعرفات شاب قد هار كالرمح فقال ما شانه فقالوا العشق فجعل عامة يومه
يستعيد من العشق فهذا نفى من قال من عشق وعف وكتم ثم مات فهو شهيد ومما
يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم عد الشهداء في الصحيح فذكر المقتول في الجهاد و
المبطون والحرق والنفساء بقتلها ولدها والغرق وصاحب ذات الجنب ولم يذكر
منهم العاشق يقتله العشق وحسب قتيل العشق ان يصح له هذا الاثر عن ابن عباس
على انه لا يدخل تحته حتى يصبر ويعف ويكتم وهذا لا يكون الا مع قدرته
على معشوقه وايثار محبة الله وخوفه ورضاه وهذا من احق من دخل تحت قوله تعالى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وتحت قوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان فنسئل الله العظيم رب العرش العظيم ان يجعلنا ممن
ازجره على هواه وابتغى بذلك قربه ورضاه بمنه وكرمه انه جواد كريم ثم
الكتاب بحمد الله تعالى وعونه ومعونته وحسن توفيقه نسئل الله العظيم ان
يلهمنا رشدنا واه يقينا شرور انفسنا وسيئات اعمالنا واه يختم لنا بخير
عافيته انه ارحم الراحمين ورب العالمين

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك ضحى يوم الاحد آخر شهر ربيع الاول
سنة ثلاث واربعين وماتين بعد الالف من الهجرة النبوية على مهاجرها افضل
الصلاة واتم التسليم وكان تمامه على يد احقر العباد الى الله واوفرهم ولهو طامع
احمد بن محمد بن عبد الله بن جمال الغامدي الشافعي غفر الله له ولوالديه
والمسلمين اجمعين امين وصلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه وسلم والحمد لله رب
العالمين

اللهم صل وسلم على سيدنا
محمد الذي ادي
وعلى آله

Copyright © King Saud University
Copyright © King Saud University